

جواهر الكلام

في عَقَائِدِ أَهْلِ الْأَسْلَامِ

تأليف

عبد الكريم المدرسي

في الحضرة القادرية

غفر الله له ولسائر المسلمين آمين

بغداد

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على رسوله ومصطفاه
محمد وآله^(١) وصحبه^(٢) وكل تابع له من بعده

(١) قول الناظم « وآله » : آل الرجل نسله ورهطه الاقربون • وخصه الرسول بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم بمؤمني بني هاشم وبني المطلب في حديث تحريم الصدقات الواجبة عليهم • وقد استعمل لكل مؤمن تقي من أمته صلى الله عليه وسلم • كما استعمل بمعنى جميع أمة الاجابة له ، أي المؤمنين به صلى الله عليه وسلم •

(٢) قول الناظم « وصحبه » : اسم جمع لصاحبه صلى الله عليه وسلم : وهو من اجتمع مؤمناً بمحمد صلى الله عليه وسلم ومات على الايمان • ولم يشترط فيه طول الصحبة ولا الجهاد معه ولا الرواية عنه ، ولا عدم تخلل المانع للدين في الحياة ، فالمؤمن به ، ثم المرتد ، ثم المؤمن بعد ذلك ، من الصحابة • وهم أشرف جميع امة الاجابة لظاهر قوله تعالى : « كنتم خير امة اخرجت للناس » (البقرة / ١١٠) وآيات أخرى كآية : « محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم » (الفتح / ٢٩) وقوله تعالى : « لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة » • (الفتح / ١٨) وقوله تعالى : « والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا

وبعد : فاعلموا بأن ما هنا
اصولنا في إعتقاد الدين
أساسها نص كتاب الله
وعلمها فرض على المكلف
منظومة من درر ثمينة
أبياتها ألفان مع كسور
وإسمها (جواهر الكلام)
دثار فضل وشعار الشرف
والله أرجو نفعها للدين
وجعلها كسوة فضل فاخرة
فإنه الموفق المعين
وبابه ففتح بالاحسان
مائدة الإنعام عمت الامم
فكيف لا لسائل مرتقب
صلى عليه الله بالدوام
ما بسطت موائد الانعام
لقبها : « علم الكلام^(٣) » وكفى

فضل من الله أتاكم بالهنا
حجتها أدلة اليقين
وسنة المولى رسول الله
وحفظها سهل بلا تكلف
قلادة الرقبة الامينة
أرجو بها العفو عن القصور
في إعتقاد ملة الاسلام
وسام خير خلف للسلف
لي ولكل طالب أمين
لي ولهم بين أنام الآخرة
وفضله معمم معين
للملك والجن والإنسان
عدوه يدخل يأخذ النعم
خادم مولاه الرسول العربي
وآله وصحبه الكرام
على براياه بفيض عام
دأباً لأصحاب الخلوص والصفاء

عنه (التوبة/ ١٠٠) وكذلك تدل عليه احاديث عديدة • وعلى ذلك
استقرت الأمة الاسلامية فلا مجال للريب فيه باقاويل باطلة تحكى ، فان
كل ذلك لا قيمة له عند هذه النصوص الواضحة • فرضي الله تعالى عنهم
وعمن تبعهم باحسان الى يوم الدين •

(٣) قول الناظم « لقبها علم الكلام » : قال : لقبها ، لأن اللقب ما أشعر
بمدح أو ذم ، وهذا اللقب يشعر بمدحه ، بأنه علم يورث لعالمه قوة في

باعتقاد المسلمين مطلقا
والرسل الكرام في الممالك
رسله بفضل جلال
والقدر المقرون بالرضاء
مربوط اعتقادنا كما نرى
علم بذى العقائد الشريفة
تفيدنا اليقين دون شبهة
لكل من في قلبه إيمان

موضوعه^(٤) المعلوم^(٥) مما علما
كالذات والصفات والملائك
والكتب التي تنزلت الى
واليوم الآخر وكالقضاء
وغيرها من كل معلوم جرى
تعريفه بجملة لطيفة :
اكتسبت من الأدلة التي
غايتها^(٦) اولا اطمئنان

الكلام الحق لرد المبطلين وإرشاد الطالبين ، ولأنه قرر أهل التحقيق أن
اسماء العلوم : أعلام شخصية ، حيث وضعت لمجموعة معينة من المسائل .
ثم إن من العلماء من قال : ان اسماء العلوم وضعت لمسائلها ، وهي
قضايا كلية ، مثل : كل فاعل مرفوع ، وكل مفعول به منصوب في النحو ،
وهكذا . ومنهم من قال : إنها وضعت للتصديق بتلك المسائل . ومنهم
من يقول : إنها وضعت للملكة الحاصلة من تكرار التصديقات .

(٤) قول الناظم « موضوعه » : موضوع كل علم ما يبحث في ذلك العلم
عن عوارضه الذاتية ، فإن الكلمة موضوع ، وجميع مسائل النحو يبحث
عن عوارضها وأحوالها ، ولو بالواسطة . فان قول النحوي : كل فاعل
مرفوع ، لفظ الفاعل يدل على اسم استدلالية فعل أو شبهه . والاسم
قسم من الكلمة فعاد البحث الى الكلمة .

(٥) قول الناظم « المعلوم » : اختيار هذا لانه يشمل جميع ما وقع موضوعا
في مسائل علم الكلام من ذاته تعالى وصفاته والملائكة والانبياء والرسل
والكتب واليوم الآخر والقضاء والقدر وسائر ما يقع الاستعمال له .

(٦) قول الناظم « غايته » : غاية الشيء ما يترتب عليه . وبما أن غاية مسائل

يوثانياً تعليم كل طالب	مسترشد في الحق ساع راغب
يوثالثاً رد لكل ملحد	معاند لديننا ومفسد
حسب نصوص الدين واستدلال	نقلاً وعقلاً قدر المجال
ورابعاً الفوز بالسعادة	وهذه عاقبة العبادة
نفعنا الله به بالرحمة	فإنه ولي كل نعمة

الكلام الاعتقاد بها لاشيء آخر ، يقال : إن غاية مسائل الكلام هي انفسها ، دون الفقه وأمثالها ، فإن غايتها غيرها ، كالعمل في الفقه وحفظ اللسان عن الخطأ في النحو وهكذا . وعلى ذلك فالغايات المذكورة هنا من غايات الغايات ، لا نفس الغاية الاساسية التي هي الاعتقاد .

* * *

بيان أسباب تأليف علم الكلام وغيره من العلوم

يعلم كل مؤمن بالله أن حسبنا ديناً كتاب الله (١)
إذ فيه أمر بإطاعة له كذا إطاعة لمن ارسله

(١) قول الناظم « أن حسبنا ديناً كتاب الله » : خلاصة ما فيه أن مرجع الدين الاسلامي اعتقاداً وعملاً : الكتاب والسنة النبوية ، والاجماع ، والاستدلال من المجتهدين .

وفي القرآن الكريم كل ذلك . فان فيه الأمر بإطاعة الله تعالى وإطاعة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وإطاعة أولي الأمر من الائمة المجتهدين ، وأمراء الحكم العادلين . وإن حصل نزاع بين المسلمين فالمرجع كتاب الله ، وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفيه الأمر الضمني باتباع إجماع المؤمنين في قوله الكريم : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً (النساء/ ١١٥) » وأكد ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « إن أُمّتي لا تجتمع على ضلالة » (رواه ابن ماجه) وبقوله : « الجماعة رحمة والفرقة عذاب » (رواه احمد بن حنبل) . وفيه الامر بالعمل بالاجتهاد في قوله تعالى : « فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم » (التوبة/ ١٢٢) وأكد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « اذا حكم الحاكم واجتهد واصاب فله اجران ، واذا حكم ثم اخطأ فله اجر واحد » (رواه البخاري ومسلم وغيرهما) . واستقر على ذلك امة الاسلام .

فكل حكم ديني يدل عليه الكتاب باحدى دلالاته الاربع أو

كذا إطاعة أولي الامر وهم
وفيه تقرير للاجماع على
كذلك تقرير للاجتهاد
وفيه احكام^(٢) الشريعة التي
والله قد خول في البيان
وهو قد بين بالإمكان
ففهم الناس وقد تعلموا
أتوا بما توقف الأمور
من صدر الاسلام الى زماننا
من علم الاعتقاد بالاصول
وسائر الفنون مما قد أتى

من لإدارة الوري عينهم
حكم لدين الله حسبما انجلي
من أهل فقه حائز الرشاد
جاء بها الرسول طبق الحكمة
رسوله النبيوع للعرفان
جميع ما يحتاج للبيان
وعلموا الأناس حكماً يلزم
عليه مما ناله الشعور
صيانة لمقتضى إيماننا
وبالفروع^(٢) شرعة الرسول
تأليفه من عالم تثبتنا

السنة كذلك ، وما اجمع عليه ولو إمامان مجتهدان ، وما ثبت بالاجتهاد
من المجتهد ، فهو من دين الاسلام •

وأما البدعة الشرعية التي سميت بدعة وضلالة ، فهو ما خرج عن الأدلة
الأربعة • وما اشتهر بين الناس ان ما لم يكن في عهد الرسول صلى
الله عليه وسلم فهو بدعة قول باطل ، فانه وإن كان بدعة بالمعنى اللغوي
لكنه ليس بدعة شرعية ، وإلا لزم أن يكون جمع القرآن الكريم وتدوين
السنة النبوية وانشاء المدارس وأبنية الفتوى والقضاء ، أو تأليف
العلوم التي تتوقف عليها معرفة الكتاب والسنة بدعة وضلالة ، ولا يقول
بذلك إلا الجاهلون • فخذ واعمل بمقتضاه تكن من الراشدين •

(٢) الاحكام التي شرعها الله تعالى اما اصلية واعتقادية ، والغاية منها
الاعتقاد بها • واما فرعية وعملية ، والغاية منها عمل المكلف بها مثل :
الصلوات الخمس واجبة •

نحواً وصرفاً ، لغة ، بلاغة
فما أتوا بدعة في العرف
لأن بدعة الهوى هي التي
كتاب ربي ، سنة الرشاد ،
فان ديناً خالداً في العالم^(٣)
وغيرها مما ترى ابلاغه
اي عرف الاسلام ولو بحرف
خرج منها من الأريمة :
اجماع امّة ، والاجتهاد ،
وجامعاً وثابت المعالم

(٣) قول الناظم « فان ديناً خالداً في العالم » : يعني انه لما ثبت عياناً وبرهاناً
ان ادلة الدين عبارة عن الكتاب والسنة والاجماع والاجتهاد ، اتسع
المجال لاهل العلم العادلين أن يخدموا هذا الدين في جميع جهاته بالتأليف
والتفسير والتعليم والبيان • ولذلك لما رأى سيدنا علي بن ابي طالب
اختلاط العجم بالعرب ، والعرب غير العرباء بالعرب العرباء ، وكثير
منهم لا يعرفون لغة القرآن الكريم إعراباً وبناءً ومادته اشتقاقاً ، بدأ
بتأليف علم النحو • وعاونه في ذلك أبو الأسود ، واستمر ذلك وزاد
الناس عليه الى أن وصلت العربية الى القمة • وألف الناس علم
الصرف لمعرفة بناء الكلمات : جموداً واشتقاقاً ، وألّفوا علم البلاغة
لمعرفة النكات التي بني عليها العلم ببلاغة القرآن ، وعلم اصول الفقه
لمعرفة الادلة التي بني عليها الفقه والاستنباط لاحكام الشرعية • وعلم
اصول الدين لمعرفة العقائد الاسلامية على ضوء أدلتها • وألّفوا علم
المنطق لمعرفة طرق التعاريف والبراهين المثمرة للنتائج بوجه سليم • وعلم
المناظرة لمعرفة الحق من الباطل من الأقطار فكل ذلك مما يتوقف عليه
فهم الكتاب والسنة بالوجه الكافي • وعدم حاجة أهل عصر الرسول
صلى الله عليه وسلم لذلك لأمر :

منها : اكتفاء الناس ببيان الرسول بالوجه الكافي الوافي السهل

السليم •

لا يقبل الميل الى الجمود فيما يرى موافق الحدود
يجتهد الأهل للاستبطاط في الرد والقبول لانضباط
وكيف ينصاع الهدى الى الهوى ولا يرد قول مفسد غوى ؟
حضر درس الحسن البصري^(٤) التابعي العارف العصري
من لقي الصحب الى خمسمائة واهل علم فئة على فئة
طلبة مستكشفون للغطا وفيهم النواصل وهو ابن عطا

ومنها : عدم استعداد الاميين لمعرفة الاصطلاحات والامور التي
لم يسبق لهم العلم بها •

ومنها : اشتغالهم بالأهم الأهم ، أعني الجهاد لبث التوحيد ،
وارشاد الانام إلى أصل الاسلام الى غير ذلك ... فلا تصفوا الى
الجهال المنكرين لهذه العلوم ، فان المرء عدو لما جهل •

وكذلك علينا واجبات كفاية كثيرة مما يتوقف عليه أمر الاسلام
والمسلمين ادارة واقتصاداً واجتماعاً وغيرها • وعليك بمراجعة الكتب
الفقهية كشرح الروض والانوار ، حتى يظهر لك الحق الحقيقي بالقبول •

(٤) قول الناظم « حضر درس الحسن البصري » : قال ابن القيم رحمه
الله تعالى : توفي الرسول عن عدد كثير من اهل الاجتهاد والفتوى من
الصحابة الكرام يبلغ عددهم مئة وثلاثين او نحوها ، وكانوا يعلمون
الصحابة الدين اعتقاداً وعملاً على ضوء الكتاب والسنة وما عندهم من
المواهب الروحية الموافقة للدين • ونشأ من التابعين كثيرون • مثل
الحسن البصري الذي يقال انه رأى خمسمائة صحابي • وابي ادريس
الخولاني في الشام وغيرهما من العلماء • وكان الحسن يدرس من حضر
عنده في البصرة وحضر عنده واصل الغير الواصل ، فظهر مفسد على
ما ذكروا ، فطرده الحسن عن مجلسه فصار رئيس المعتزلة •

وكان يأتي بشذوذ اللغوه
فرده الامسام رداً بملل
فراح يسعى في الورى حول الفتن
أتتهم النفس مع الشيطان
لا سيما في الذات والصفات
بعذر عدل الله^(٥) والتوحيد
يجعل فوق زيد حق رغو
وفال : قد خرج عنا واعتزل
حتى ابتلى الناس بذاك وافتتن
بموجبات البغي وافتتان
وانحرفوا عن ظاهر الآيات
قد أوجبوا الصلاح للبعد

(٥) قول الناظم : بعذر عدل الله الى آخر الايات : يعني ان الفرقة
الاعتزالية تشبثوا باذيال الفلاسفة وجاءوا بعقائد فاسدة في الواقع •
فبعذر ان الله تعالى عدل اوجبوا عليه رعاية ماهو الاصلح للعباد • ولم
يمعنوا النظر في ان العدل هو رعاية الانصاف بين متخاصمين لم يكونا
مملوكين للحاكم • وان الله تعالى مالك جميع الكائنات ، احيائها
وجماداتها • ثم لم ينظروا ما معنى الوجوب على الله ، ومن هو
الموجب عليه •

وبملاحظة توحيد الباري تفوا صفاته السبع لانها قديمة ويتعدد بها
الواجب الواحد ولم يعلموا ان الفاسد هو تعدد الذوات القديمة لا
وجود الذات القديم مع صفاته • فان ذات الواجب الكامل لا يتصور
بدون صفاته الكمالية ، وكذا صفاته الكاملة لا تتصور بدون قيامها
بذات الواجب ، وان الاوصاف ليست اعتبارية فحسب بل معان قديمة
قائمة بذاته لكنها من لوازم الذات ، فلا مجال للكلام فيها بانها عين
للذات او غيرها كما ستكشف لك •

وتفوا علم ذات الباري بالجزئيات بحجة أنها لا تعلم بغير الحواس
المادية ، وقاسوا الغائب على الشاهد ولم يتفكروا في ان الله تعالى قادر
على خلق العلم في الممكنات بالحواس ، وهو متصف بالعلم بها بصفته

وقد تفوا صفات ذات الباري للاكتفا بالوصف الاعتباري
وخالفوا ظواهر النصوص والوصف أمر ثابت خصوصي

الذاتية التي لا تشبه صفات غيره تعالى •

وتفوا ارادته للشرور بحجة ان ارادة الشر شر" وجب تنزيهه
تعالى عنها ، ولم يعلموا ان الشر هو اتصاف الذات بالشر لا بارادته في
غيره لحكمه كخلق النار المحرقة ، والماء المغرق وارادته لاحتراق اشياء
بالنار ، واغتراق اشياء بالماء •

وتفوا قدرة ذات الباري على مثل مقدورات البشر بحجة انه يلزم توارد
المؤثرين اذا اجتماعا وبمخالفة مقدور البشر لمقدور الله اذا تفارقا •
وتفوا كلام الباري واتصافه به قديما وحديثاً إلا بخلق الاصوات في
الهواء والاشجار بحجة ان الكلام مركب من الاحرف المتعاقبة المنافية
للقدم ، واعتمدوا على قياس الباري تعالى على الحوادث ولم يتفكروا
في ان الباري تعالى حي بدون البنية ، عالم بدون جهاز القلب ، وسميع
وبصير بدون آلات السمع والبصر •

وانكروا رزق الناس من الحرام اذا اتاهم من الله لأن خلق الحرام
حرام ولم ينظروا في ان الخلق غير الاكتساب والاكل والشرب •

ونسبوا الخلق والايجاد للعباد ، ولم يتفكروا في ان الخالق لا بد
له من علم بما يخلقه • وان العبد ليس بعالم بما يعمل به وانما هو كاسب
ومدرك لاكتسابه •

وعددوا الاجل بحجة ان الشاب لو لم يقتل لبقى سنين ولم يعلموا ان
الاجل هو الوقت المعلوم لانتهاى حياة الحي أينما كان وكيف كان فلا
يتعدد ابداً ، وأخرجوا المؤمن من ايمانه ان لم يتب بحجة ان الايمان

إلا بوجه شامل كلي
وبالفقوا كالجاهل المعرور
في مثل مقدرات نفس الخلق
إلا بخلق لصوت في الافاق •
بعذر فقدان جهاز البشر
بعذر الامتزاج بالآثام
لم يرزق الخونة الكسابة
في العمل الصالح والفساد
بالطبع والهجوم للآفات
إن لم يتب عن كابر عصيانه
كذا الثواب لأولي الخيرات
لخالق المبدء والمعاد
لمن أتى بالعمل الشنيع

وعلم ذات الحق بالجزئي
تفوا ارادته للشرور
كذا تفوا قدرة ذات الحق
تفوا كلام الله بالاطلاق
تفوا صفة سمعه والبصر
وانكروا الرزق من الحرام
على خلاف نص ما من دابه
ونسبوا الایجاد للعباد
وعددوا آجال ذي الحياة
واخرجوا المؤمن من إيمانه
وأوجبوا العقاب للعصاة
اذ أوجبوا الأصلح للعباد
وانكروا شفاعة الشفيع

هو التصديق مع الصيانة عن المعاصي أو التوبة عنها ، ولم يتفكروا في
انه يلزم فقدان المؤمن في العالم إلا ما شذ من المعصومين •

واوجبوا العقاب على العصاة بحجة رعاية العدالة والثواب للمحسنين
كذلك • وانكروا الشفاعة للشفعاء بحجة انها تدعو الانسان الى المعاصي
على امل الشفاعه ، وان العفو بعد الاجرام خلاف العدالة ولم يتفكروا
في ان الاثابة والعقاب من خاصة ذاته وليس لاحد علاقة فيهما وان
العاصي ربما لا يتصور وجود الشفيع في المستقبل عند إقدامه على ما
يكتسبه من الجرم كما لم يتفكروا في ان قبول الشفاعه فضل ورحمة
من الله ، كاعطاء الاموال والاولاد والمراتب والجاه للانسان في العالم ،
وكذا لم ينظروا الى النصوص الدالة على وجود الشفاعه لمن اذن له
الرحمن •

وانكروا عذاب قبر العاصي^(٦) اذ ليس للميت من حواس
وانكروا الحساب والميزانا والجسر والمرور مهما كانا

(٦) قول الناظم : وانكروا عذاب قبر العاصي ، اي بحجة ان الميت عبارة
عن جسد هامد جامد ليس له حس ولا حركة فكيف يعذب لاسيما كثير
من الاموات تأكله السباع او تبلعه الحيتان او تحرق ويذر غباره في
الجو . ولم يعلموا ان الروح باق وخالد الى وقت البعث والنشور
وبعده الى الابد وإن الجنة والجحيم داران للخلود . كما لم يعلموا ان
الجسد البرزخي مقدور للباري تعالى بأن يخلقه ويتعلق به الروح فيتعذب
الميت او يتنعم فيه . كما لم ينظروا في ان الملك المأمور بالوحي قد ينزل
على الرسول بالجسد الانساني .

وكذلك انكروا الحساب في الآخرة بحجة ان الله عالم بالاعمال
فلا وجه له . وان الميزان يوزن به الاعيان لا الاعمال ، ولم يعلموا ان
الموازين كثيرة وليست منحصرة في ميزان الباعة للمواد .

كما انهم انكروا الجسر والمرور عليه بحجة ان المرور عليه ممتنع
عادة ولم يعلموا ان الناجين يعبرون كالبرق وما دونه وان الهالكين
يقعون في جهنم من الجسر ، والجسر شبكة اهلاكهم وايقاعهم فيها .

وشرح هذه الامور يحتاج الى زمان ، وأسباب هذه الاختلافات
كثيرة ، منها أو اهمها : ضعف ايمان الجيل البعيد عن التابعين الكرام ،
وضعف علميتهم بسبب ضعف حركة التعليم . ومنها : تعود الناس على
بقايا عقائدهم الفاسدة السابقة .

ومنها وجود الاختلافات السياسية لاسيما في وادي العراق
وما جاورها ، ومنها إلقاء جمع كثير مختلف بين المسلمين من الحاقدين

وغيرها مما يطول ذكره
فافتتن الناس بهم ومالوا
فضل من ضل غوى من قد غوى
فمرت الأيام في تلك الردى
فاوصلوا الغبار والبخارا
وطيروا للمغرب الغرابا
فوقع المسلم في تزلزل
حتى اتى الزمان للجبائي^(٧)

ودخل الشيطان فيهم مكره
لاسيما الفساق والجهال
لا غرو ان قد ركبوا على الهوى
ما اقبح الفتنة مع طول المدى
الى سماء الصحو في بخارى
لا واحداً بل سيروا أسرابا
من أسفل الوادي لأعلى الجبل
ابى علي مقتدى الأهواء

على الاسلام • ومنها ضعف اهتمام الامراء بناحية الدين بسبب انشغالهم
برياساتهم وسياساتهم •

(٧) قول الناظم حتى اتى الزمان للجبائي : وهو كان رئيس المعتزلة في
البصرة في ايام ابي الحسن الاشعري ، وهو كان طالباً عنده وعلى عقيدته
حتى نازعه وغلب عليه ، فاعلن رفضه وترك الاعتزال ورجع للسنة •
وهو من أحفاد ابي موسى الاشعري الصحابي الجليل الذي تولى قضاء
البصرة ايام الخليفين الراشدين عمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما •
في كتاب (تبين كذب المفترى) لابن عساكر الدمشقي الصحيفة
٣٤ قال : اخبرنا الامام ابو بكر احمد بن الحسين بن علي البيهقي
الحافظ ، قال : رأيت في كتاب اصحابنا : ابو الحسن علي بن اسماعيل
بن اسحاق بن سالم بن اسماعيل بن عبدالله بن موسى بن بلال بن
أبي بردة بن ابي موسى الاشعري انتهى •

وقد ولد في البصرة في مثتين وسبعين وتوفي بعد ثلثمائة واربع
وعشرين للهجرة • وقد درس على أبي علي الجبائي وكان على عقيدته،
ولكنه وقع في قلبه ان الجبائي خارج عن السنة • وانه ينشر البدع

فقام في رد ضلال المفتري
الزمه وبهت الذي فسق
الزمه بقصة الاخوان
واشتهرت صيحة هذا العالم
فانتقل الامام بالشرافة
بغداد دار الخير والسلام
فاجتمع الناس الكرام حوله
فارجع النصوص للحقايق

امامنا ابو الحسن الاشعري
وعاد روح لفؤاد من صدق
فأخزي الفتان في الخلان
وانتشرت الى علا العوالم
الى مقر صاحب الخلافة
مجمع أوليائه الكرام
وأيدوا فكرته وقوله
فسرها لهم بوجه لائق^(٨)

والاهواء ، وبينما هو كذلك إذ وقع بينهما نزاع ومناقشة في وجوب
رعاية الأصلح ، فسأله عن الاخوة الثلاثة كما في شرح العقائد
للتفتازاني ، فغلبه أبو الحسن وبهت الجبائي • ثم اعلن تركه لاعتقاد
ابي علي الجبائي وتمسكه بظاهر النصوص من الكتاب والسنة • ودعا
المسلمين الى اتباع الحق فنصره الله تعالى على المعتزلة كافة ، وتبعه
المسلمون ثم هاجر الى بغداد ، واخذ ينشر عقيدته المشهورة بعقيدة ابي
الحسن الاشعري ، الموافقة للكتاب والسنة • فكان عموداً عظيماً
لبيت الاسلام • وتوفي في بغداد ودفن في مسجد يظهر بالعلامات انه
المسجد المعروف بالقلانية ، القريب من الجسر عند جامع الوزير
والآصفية رضي الله تعالى عنه امين •

(٨) قول الناظم : فارجع النصوص ، الى آخره : يعني أن الامام ابا الحسن
الاشعري رضي الله عنه التزم ما عليه الرسول صلى الله عليه وسلم
 واصحابه من الكتاب والسنة وطبقوها حسب تقسيم الباري تعالى للايات
الى المحكمات والمتشابهات ، فعمل بظواهر المحكمات ما لم يكن هناك
مانع من التخصيص والتقييد والنسخ وغيرها • وترك المتشابهات وآمن

فعادت الآيات للاحكام
ابقى جميع المحكمات للهدى
والمتشابهات قد سلمها
سلم معناها ولم يعطل
لكنه قال بلا كيف وحد
ومن يرى خلاف ذا للاشعري
من طالع التبيين قد تبينا
سعى الامام الاشعري للدين
على الذي كان عليه المصطفى
ونور العالم باعتقاد
هو الذي فسر دين الرحمة
دعا الى توحيد امة النبي
وحصر السبب في بقاها
حصر عمره على التأليف
جدد دين المصطفى في عصره
فاشتهرت عقيدة المرء السري
ولد بعد مائتين معها

وسد باب خلل الاحكام
على معانيها كما له بدا
بما من الحكمة قد ألهمها
فوضها لله لم يؤول
لا يعلم التأويل غيره احد
يرده « تبين كذب المفتري »
عقيدة الامام حقاً بينا
بينه كأصله الامين
وصحبه الكرام اصحاب الصفا
موافق لمنهج الرشاد
بما يفي عصور كل الامة
في اعتقادها بحسن الأدب
بحصره الكرم في تقاها
منتصراً لدينه الشريف
اخرج اهل دينه من عصره
باسم عقيدة الامام الاشعري
خمس وسبعون فما أرفعها

بها وبمعانيها وفوض تأويلها الى الله تعالى على ظاهر الوقف على كلمة
الجلالة ، ولم يحملها على ظواهرها ، فخرج بذلك عن التعطيل وعن
التجسيم وعن نسبة كل شيء لا يناسب مقام الباري تعالى اليه . وذلك
دأب السلف الصالحين . ومن ادعى انه قال بالتجسيم وغيره من
مناسبات التجسيم فقد افترى عليه ، فهو تكلم مرات فيها بقوله : بلاحد
ولا كيف ، أي ان تأويلها راجع الى الله تعالى . وعليكم بمطالعة كتاب
« تبين كذب المفتري » لابن عساكر الدمشقي رضي الله عنه .

على دوام السعي في الارشاد
وأربع عشرين حسب الهجرة
متصل بجامعة قبلاني
رحمة ذات الملك العلام
ذات ابي المنصور بافتخار
احسن به في المنتهى كالمبتدا
عند سمرقند بلا ترديد
قد استفاد غالب الانام
جزاهما عن الهدى للمسلمين

توفي الإمام في بغداد
وفاته عام ثلاثمائة
مدفنه الشبيه بالجنان
فاضت على قبره بالدوام
كذا بدا في مشرق الأنوار
فملاً المشرق من نور الهدى
مولده بلدة « ماتريد »
من علمه الواسع في الاسلام
عليهما رضوان رب العالمين



على نظام للحديث الوارد
محمد ذي الجاه والوصول

وبعد ذا بدء بالمقاصد
ايماننا التصديق^(٩) بالرسول

(٩) قول الناظم : « ايماننا التصديق الى آخره » مما ينبغي معرفته ان
هناك اموراً مهمة :

الأمر الأول : الفرق بين معنى الايمان لغة وعرفاً وشرعاً • فاعلموا ان
الايمان مصدر باب الافعال ، من الأمن ، ومعناه لغة : جعل الغير أميناً
من المكروه مطلقاً • ثم نقل في العرف العام الى جعل الغير أميناً من
التكذيب • ونقل شرعاً الى امن الرسول صلى الله عليه وسلم من
التكذيب ، فيما جاء به من الله تعالى وتصديقه فيه • ففي لفظ الايمان
نقل الى العرف العام ونقل الى الشرع •

الأمر الثاني : ان الايمان بمعنى التصديق علم • وهو من الكيفيات
النفسانية التي لا اختيار لنا فيها • فالتكليف من الله تعالى به تكليف
بكسب مقدماته التي يحصل هو منها ، كالنظر في الانفس والآفاق

في كل ما جاء به من ربه مفصلاً أو مجملاً في بابه
مفصلاً في ما أتى مفصلاً ومجملاً فيما أتانا مجملاً

للايمان بوجود صانع واجب الوجود • والنظر في احوال الرسول
وافعاله ومعجزاته للايمان بأنه رسول من الله تعالى ، كما ان التكليف
بالصحة تكليف برعاية اسباب الصحة وشرب الدواء النافع عند
الأمراض • وعلى ذلك فمعنى آمنوا بالله : انظروا في الانفس والافاق
لتؤمنوا به ، ومعنى آمنوا بالرسول : انظروا في اخلاقه ومعجزاته
لتعلموا أنه رسول من الله تعالى • وعليه فاذا حصل للانسان ايمان
وتصديق بلا اختيار فلا يصير المؤمن به مؤمناً حتى يرجع الى نفسه
ويتبين له صدق الرسول مثلاً في ما جاء به • لكنه لما كانت تلك الصورة
نادرة جداً لم ينظر إليها مع انه كل من حصل له الايمان موهبة يدوم
معه مكسبة ايضاً • فتبين ان الايمان تصديق واذعان علمي كما في
التصديق المنطقي • ولكن المعتبر ما هو مكتسب للمؤمن •
الأمر الثالث : إن هذا الاذعان العلمي لا يكفي في تحقق الايمان شرعاً
إلا بشروط :

الشرط الأول : مقارنته للاذعان الفعلي والتسليم والرضا ، والقبول
النفسي من المؤمن لما علمه من صدق الرسول ، ولذا عطف الله تعالى
التسليم عليه وقال : « وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً » (الاحزاب / ٢٢)
فلو صدق شخص بالرسول ولكن عارضه نفسه فهو باق على كفره
كما قال تعالى : « وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلماً وعلواً »
(النمل / ١٤) •

الشرط الثاني : عدم اظهار المؤمن لاي قول او عمل يدل على الاستنكار
ظاهراً ، كتحقير شأن الرسول والرسالة أو القرآن الكريم أو شعار من

بالله والملك والرسول البشر والكتب والبعث وبالقضاء قدر
والنطق بالشهادتين يعتبر لقادر إذ به ايمان ظهر

شعائر الدين المبين كما يستفاد ذلك من الآية المذكورة وغيرها •
وانما اكتفى في تعريف الايمان بالتصديق فقط وقالوا : الايمان هو
التصديق بما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن التصديق
هو الاساس المهم ، وان الغالب أن كل مصدق به يسلم بالقلب ما أتى
به إلا اذا كان هناك عناد ومعارضة كما بين بعض اهل الكتاب مع
الرسول صلى الله عليه وسلم •

الشرط الثالث : تلفظ القادر بالشهادتين • وذلك لاجراء احكام المسلم
عليه ، فمن قدر على التلفظ ولم يتلفظ بدون مانع اعتبر كافراً • والدليل
على ان هذا الاقرار شرط للايمان وليس ركناً له ، انه يسقط عند وجود
المانع من الخوف عن ظالم كافر ، كما في قوله تعالى : « إلا من اكره
وقلبه مطمئن بالايمان » ، (النحل / ١٠٦) •

واما الاعمال فليست داخلة في حقيقة الايمان ، لأنها امور كثيرة سلباً
وايجاباً ، اي تركاً للمحرمات ، وإتياناً بالواجبات • فاذا اعتبر كلها فلا
يوجد ايمان إلا من المعصومين • واذا اعتبر بعضها لم يكن هناك ضابط
يعتمد عليه • مع العلم ان وجود الايمان في القلب لا ينفك عن بعض
الاعمال التي عليها مدار الاسلام ، وإن اختلف ذلك باختلاف الناس في
قوة الايمان وضعفه ، فعدم الإتيان بالاعمال مطلقاً يدل على عدم وجود
الايمان فيه ، والمحدثون المعتبرون لكون الاعمال جزءاً منها لهم
مسامحة عن النظر الدقيق لما قلنا آنفاً •

واما قول من قال : إن الايمان هو الاقرار بالشهادتين لاكتفائه به صلى
الله عليه وسلم ، فهو مبني على المسامحة بما يمكن العلم به حيث لا

شرط لأجراء الامام العام عليه حكم الدين في الاسلام
وسره ان جميع ما استقر اصلاً وفرعاً فيهما قد استتر

يعرف ما في القلب إلا الله • ولان المقر اذا بقى عندنا ولازم ادابنا
حصل له كمال التصديق •

الأمر الرابع : قبول الايمان للزيادة والنقص لانه كما علمت انه التصديق
وللتصديق مراتب :

منها : الظن ، ولا يكتفي به للايمان ابداً • فان الظن لا يغنى
عن الحق شيئاً لخلوه عن الجزم •

واما مراتب التقليد واليقين فهي كثيرة مختلفة من التقليد مع دليل أو
دليلين • ومن علم اليقين او عين اليقين الحاصل به الاطمئنان وذلك
واضح جداً •

وما اشتهر من ان بعض الأئمة قال بعدم قبوله لهما ، أراد ان
الجزم الذي يحصل به الايمان كاف فيه ، فلا حاجة الى الزيادة في درجاته •
والدليل على ما قلنا آيات ظاهرة كثيرة ، نحو « واذا تليت عليهم آياتنا
زادتهم ايماناً » (الأتفال / ٢) •

الأمر الخامس : معرفة النسبة بين الايمان والاسلام ، حتى نعرف النسبة
بين المؤمن والمسلم • فاعلم ان الايمان هو التصديق ، وهو علم وكيف
تفساني ، والاسلام تسليم ، وهو فعل من أفعال النفس • فهما متباينان
ذاتاً ومفهوماً • ولكنهما بينهما عموم وخصوص من وجه بحسب
التحقق ، لوجود الايمان والاسلام من شخص له التصديق والتسليم •
وافتراق الايمان عن الاسلام في كتابي " له التصديق علماً برسالة سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم حسب ما في كتب الأولين ، ولكنه خال عن
التسليم والقبول لرسالته لوجود العناد والاستكبار فيه ، وافتراق

إن لم يكونا هكذا لم يتركنا من مكره لخوفه توركا
والعمل المشروع بالإيجاب أو نديه الآتي على الصواب

التسليم عن الايمان في شخص يبل ما جاء به الرسول حسب التقليد
الصرف بدون اي علم ومعرفة ، وإن كان هذا النوع نادر جداً ، لكن
لما كان الغالب على الحال ان المؤمن العالم متصف بالقبول والتسليم ،
وان اهل التسليم والقبول عالمون ومصدقون ، يقال : انهما متساويان
في الوجود • كما يظهر من قوله تعالى : « فخرجنا من كان فيها من
المؤمنين ، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين » • (الذاريات / ٣٥) •

الامر السادس : هو أنه لما كان الإيمان في الشرع عبارة عن التصديق
لسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - في ما جاء به من الله تعالى ،
وأهمه التوحيد لله تعالى • • علم قطعاً ان إيمان المؤمن الناطق بكلمتي
الشهادتين لا يوجد مع الإشراك ولا مع أي نوع من الكفر ، لأن ذلك
التصديق جاء للبراءة المطلقة من تلك المفاصد الاعتقادية •

وقوله تعالى : (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) نازل
في جمع من المشركين يريدون جمع الإيمان بأصنامهم مع الإيمان بالله ،
فنزلت الآية الكريمة ردعاً وزجراً لهم عن تلك الدعوى الفاسدة • والإيمان
في قوله (وما يؤمن) إيمان لغوي ، وليس الإيمان المعتبر في عرف
الشرع • فدعوى وجود الإشراك في المؤمنين الموجودين في عصرنا
بشبهة بعض الأوهام • • دعوى باطلة فاسدة لا أصل لها • صرح بذلك
العلامة السعد في شرح العقائد التفتازانية • على أن من تفكر في الجملة
الأولى او الثانية من كلمتي الشهادتين علم أن المؤمن برىء من الإشراك
مطلقاً ، لأن الجملة الأولى معناها لا معبود إلا الله ، إذ لا خالق
إلا الله ، والخالق هو المعبود بالحق ، ولا واجب في الوجود إلا الله ،

وترك ما حرم من اعمال
لو كانت الاعمال من اركانه
لكن علينا ان نرى الايمان
يعني به التسليم والقبول
ايماننا التصديق وهو علم
والفرق بين العلم والفعل لدى
وعطف تسليم على الايمان
كان اليهود يعرفونه كما
وجحدوا واستيقنت أنفسهم
يومي بطرف عينه العرفاني
وضابط الايمان عقد جازم

ونحوه الآثار للكمال
لقل مؤمن على امكانه
يجب ان يقارن الاسلاما
لكل ما أتى به الرسول
اسلامنا فعل رضاء سلم
اهل العقول أظهر مما بدا
حجتنا في آية القرآن
قد عرفوا ابناءهم بلا عى
بانه في الانبياء اقدسهم
« مقاصد السعد » لذا البيان
فالجزم في الايمان شرعاً لازم (١٠)

لأن غيره تعالى من الممكنات ففيها التوحيد في العبادة والخالقية ووجوب
الوجود • وتؤيد كل ذلك الجملة الثانية لأن الاعتراف برسالة محمد
— صلى الله عليه وسلم — معناه الاعتراف بكل ما أتى به من الله تعالى •
(١٠) قول الناظم : وضابط الايمان الى آخره : يعني ان المعتبر في التصديق
هو العقد الجازم ، سواء كان برهانياً او بديهياً او تقليدياً ، فلا عبرة
بالظن ، لانه اذعان راجح لا جازم •

ومما ينبغي ان يعلم ان الانسان اذا وصل الى حد الرشد ، فاما ان يكون
رشيداً او سفيهاً لا يفهم • فان كان الأول فأول واجب عليه معرفة ربه
وخالقه ، لان معرفته اساس كل ما يتوجه اليه من التكاليف ، اعتقاداً
وعملًا فيجب عليه النظر في مقدماتها حتى تحصل له •

ومن الناس من يساعده التوفيق واللفظ ومواهب الباري تعالى فيصل
الى درجة من معرفة ربه كأنه يراه عياناً ، بحيث يكون وجود الواجب

يكون من موهبة المنان
للجزم حقاً درجات تخلص
وقد يرى الجزم من التقليد
من منع التقليد لا يعول
مادام الايمان كذا في الشرع
فالآية الدالة في القرآن
كما أتت في يوسف ذي الجاه
إلا وهم » وبعد هذا «مشركون»
في وصف جمع مشرك يعاني
كانوا يريدون مع الله الأجل

أو اكتساب لذوي العرفان
يزيد ايمان بها وينقص
من عاقل لمؤمن رشيد
عليه ، أو كلامه مؤول
فامنع مع شرك بمنع قطعي
على وجود الشرك مع ايمان
« ما يؤمن اكثرهم بالله
ايمان اهل اللغة وذا يهون
ايمانه بالله مع أو ثمان
إشراك لات أو مناة أو هبل

تعالى المتصف بالكمال المنزه عن النقص نصب عين بصيرته ، فيجعل
وجود ذاته تعالى بهذه الصفات دليلاً على ان الكائنات من خلقه وآثار
قدرته ، وهذه درجة الانبياء والمرسلين ، ومن أراد الله ان يقربه إليه
فيجعله من اصفياء عباده .

ومنهم من لا يصل الى درجة المواهب هذه . ولكنه يوفقه ربه
للاستدلال بالانفس والافاق فيجاهد للوصول الى معرفته وكسب
مرضاته ، فيوصله ربه إليها ، كما قال تعالى : « والذين جاهدوا فينا
لنهديهم سبلنا » (العنكبوت / ٦٩) . اي إن الذين سعوا في الوصول
الى الحق وجاهدوا حق الجهاد ، لنوصلهم الى الافكار والاعمال
والاخلاق المرضية التي تعين السالك في الوصول إلينا . وهذه درجة
الاعيان من العلماء العاملين واهل الطاعة والتقوى الواصلين . وبين
الفريقين فرق واسع ، ولكل درجات بعضها ارقى من بعض ، كما قال
تعالى هذا المفهوم بآيات في شأن الرسل والاصفياء من عباده .

فكان ايماننا على عرف اللغة لمشركين انهمكوا في دغدغة
وليس ذا في عرفنا المجيد والدين فيه خالص التوحيد •
قد صرح السعد به في شرحه عقيدة للنسفي أحسن به
فاين تذهبون أيها اللغاة تفسيرها روح المعاني بلّغا

« الاحسان »

احساننا لمن له الاخلاص وفي تقى الله له اختصاص
ان تعبد الله كأن تراه (١) على خلوص العبد من مولاه
إن لم تكن تراه بالعيان فأنه يراك كل آن
دائرة الإيمان جدا واسعة (٢) وكل دورة بحق نافعة
ولاية في كل دورة له مع الإله فاتبه حقاً له
ادنى الولايات باصل دينه ولو يقارن كدرأ في حينه

ومنهم من ليس موهوباً ولا مستدلاً مكتسباً بل يكتفي بتقليد
الناس في اعتقاده • فهذا الصنف ان لم يحصل له العقد الجازم في دينه
فلا يعتبر مؤمناً ، مادام له قابلية الاستدلال ويتركه للاكتفاء بالتقليد •
ومن وصل الى العقد الجازم اعتبر مؤمناً ثابت الايمان لكنه يعصي بترك
الاستدلال مع القدرة عليه • فقول من قال : لا عبرة بايمان المقلد ،
محمول على القسم الأول ، أو محمول على انه عاص بترك الاستدلال ،
وأما ايمانه فثابت ، وهذا خلاصة ما ذكروا هنا •



(١) قول الناظم : ان تعبد الله كأن تراه : اشارة الى الحديث الشريف
الوارد في الاحسان جواباً لجبريل عليه السلام •

(٢) قول الناظم : دائرة الايمان جداً واسعة ، وقوله : ولاية من كل دورة

وفوقه ولاية بالتقوى إن أولياؤه أتى بالفتوى
وفوقه ولاية استقامة من استقام فاز بالسلامة
وفوق ذا ولاية الحضور وعدم الغفلة بالشعور

له ، اشارة الى فوائد جلية في الموضوعين • وخلاصة ما في المقام ان الدين الاسلامي الحنيف اعتقادات واعمال • فالاعتقادات من اصول الايمان ومما لا يعلمه إلا الله • واجمالها : الايمان بالله تعالى وملئكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقضاء والقدر ، ودرجة الاخلاص وهي ان تعبد الله بلا تردد ولا دغدغة في وجوده الواجب كأنك تراه ، فان لم تكن تراه بعينك فانه يراك ولا تغيب عنه ابداً •

وأما الاعمال فاركانها الاصول الخمسة المفسرة بالشهادتين ، والصلوات الخمس في كل يوم وليلة ، وصيام شهر رمضان من كل سنة ، واعطاء زكاة المال ، وحج بيت الله الحرام •

وأما فروعها الحسنة فلها ميدان واسع ، كما في الحديث الشريف: « الإيـمان بضع وسبعون شعبة ، اعلاها كلمة « لا اله إلا الله » وأدناها إمـاطة الأذنى عن الطريق » (رواه ابو داود والنسائي وابن ماجه) أو كما قال • ثم انه ينتج من الدين اصلاً وفرعاً واعتقاداً وعملاً ولاية العبد لربه تعالى ، ومحبته له تعالى ، ولها درجات اربع :

الأولى : الايمان بالله تعالى وبسائر ما يجب الايمان به ، وإن كان مع مقارنة بعض الامور غير المرضية من الذنوب • ذلك لان الايمان اعظم نور في قلب الانسان يهتدي به الى مرضاة الله ، ويشير اليها قوله تعالى : « إِتْمَا وَلِيَشْكُمُ اللّٰهُ وَرَسُوْلُهُ وَالَّذِيْنَ آمَنُوا » (المائدة/ ٥٥) •

فلا تكن في الغافلين عنهم
مقرر له مائة شعبة
والباقي من عمله الرشيد
والله سبحانه هو الموفق
وجاهدن لها بوجه لايق
أولها منها الشهادتان
شهادة تليق للإنسان
وخالقاً لعالم معبودا
في كل ظرف الدهر «إلا الله»
وهو «رسول الله» في نشر الهدى

والسابقون السابقون منهم
حديث من نصره بالرغبة
أعلى الجميع جملة التوحيد
يحوي جميع ذلك الموفق
فلا تكن من منكري الحقائق
مظهرة الاسلام ذو أركان
نشهد بالقلب وباللسان
«ان لا اله» واجباً وجودا
لعابد يسعد من تقواه
«واشهد ان محمداً» بدا

الثانية ولاية ثابتة للمتقين الذين يتقون عن الكفر ويدخلون في
الايمان • ويتقون عن الذنوب الكبائر والاصرار على الصغائر ،
ويدخلون في العدالة ، ويتقون السفاسف والدنايا ، ويدخلون في مقام
الثبات والتمكين ، ويشير اليها قوله تعالى : « إن ° أو ° لياؤه إلا
المتقون » (الانفال / ٣٤) •

الثالثة : درجة اهل الاستقامة الذين يستقيمون في السراء والضراء
وحين البأس ويصبرون على العلة والذلة والقلّة • والذين لا يخافون في
الله لومة لائم ، وهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه • ومن نزل
فيهم قوله تعالى : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم
الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا » (فصلت / ٣٠) •

الدرجة الرابعة : درجة الانبياء والمرسلين الذين في مقام الحضور وعدم
الغفلة عن الله دائماً • ولهذا البحث مجال واسع •



بمعجزاته الجليلة علماً
من هاشم شريف عَجَمٍ وعرب
عبد المناف زهرة ذوي حسب
مفروضة حتى حوانا الرمس
في كل عام طبقاً على طبق •
للمستحق خالصاً دون رياء
وعمرة خالصة لله
اعدادها تصل ثنتي عشرة

الى جميع الانس والجن كما
وهو ابن عبدالله عبدالمطلب
وأمه آمنة بنت وهب
والثاني منها الصلوات الخمس
ثالثها صيام رمضان بحق
رابعها زكاة مال الاغنياء
خامسها الحج لبيت الله
آدابنا في ديننا مقرررة

التفصيل في الآداب

فأصغ للتفصيل في الكلام
خالق كل ممكن موجود
عبادة تفيدنا السعادة
نفوس مؤمن بها مستبشرة
اقرها قوم أولو شخصية

وإذ أخذت مجمل المرام
تؤمن بالله الكثير الجود
معبودنا المخصوص بالعبادة
صفاته كاملة مبشرة
منها الوجود صفة نفسية^(١)

(١) قول الناظم : منها الوجود صفة الى آخره ، تصريح بما قرره علماء
من ان صفات الباري عشرون ، أولها : الوجود وهو صفة نفسية ،
يعني انه يدل على نفس ذات الباري بدون أي شيء آخر • وخمس منها
صفات سلبية ، وهي : الوحدة والقدم والبقاء والاستغناء عن ما سواه
ومخالفته له • فالوحدة عدم تعدده ذاتاً ، لا اله إلا الله • وصفة ،
أي لا صفة لاي موجود تماثل صفاته • وفعلاً ، أي لا تأثير أبداً لمن
عداه • وكل ما يرى مما يتوقف عليه شيء عادة فهو من الاسباب
العادية ، جرت عادته تعالى بخلق الاشياء معها ، فهي أسباب عادية ،

لكن عده من الصفات لا يرتضى عند أولى الثبات
اذ الثبوت أمر اعتباري ومبدأ الآثار ذات الباري

لا وسائط عقلية فان الله تعالى خالق بالاختيار لا بالاجاب وبالذات
لا بالواسطة •

والقدم معناه : لم يسبق عليه العدم ، ووجوده أزلي •

والبقاء معناه : لا يلحقه العدم ووجوده أبدي •

والاستغناء عن الحوادث معناه : انه القيوم القائم بذاته المقيم
لغيره ، المستغنى عما سواه • وهذا معنى الصمدية له تعالى ، ومخالفته
للحوادث معناه : انه لا يكافئه ولا يماثله ذاتاً أو صفةً أو فعلاً أحد •
وسبعة منها صفات ذاتية مشهورة بصفات المعاني ، وهي : الحياة ،
والعلم ، والقدرة ، والارادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، وهي
أوصاف ذاتية موجودة للحق بالحق بدون اعتبار • واتصاف ذاته تعالى
بها تسمى بالصفات المعنوية ، وهي كونه تعالى حياً عليماً قديراً مريداً
سميعاً بصيراً متكلماً •

وتسمى معنوية ، لأنها أمور اعتبارية معنوية ، وليست أموراً
موجودة ، ولكن منشأ انتزاعها وهو الله الواجب الوجود موجود ،
وتنتزع هي من اتصافه بصفاته الذاتية ، فهي اعتبارية واقعية ، وليست
أموراً مخالفة للواقع ككون الامي كاتباً ، وكون الابيض اسود احتمالاً
واعتباراً ، فالاعتباريات قسمان : قسم اعتباري واقعي ، لأنه انتزع من
أصل ثابت وهو صحيح ثابت ، وقسم اعتباري صرف ، صرح به الخطيب
في حاشيته على المطول ، وغيره في مواضع شتى •

ورمزوا إلى صفات المعاني بجملة : « أحق سببك » ترمز الالف

فالحق ان ليس من الاوصاف
له صفات خمسة سلبية
وحدته قدمه بقاؤه
عدم مثلثته لغيره
وليه سبعة من المعاني
حياته وعلمه إرادته
كلامه وسمعه وبصره
حيّ عليم ومريد وقدير
واتصاف ذاته العلية
ككونه حياً عليمًا شائياً
بها نرى صفاته عشرين
ولنتكلم حسب الأوصاف

كما بدا عند اولى الانصاف
بها سلوب النقص والردية
عن كل ما سواه استغناؤه
اذ ما سواه طالب لخيره
« أتحق سبئك » رمزها للعاني
وقدرة تظهر منها سطوته
يبدو بها كماله وأثره
متكلم سميع وبصير
بها صفات له معنوية
وقادراً فكن لها مراعيًا
فكن بها من المبشرين
اذ بحثها نور" لقلب صافي

للإرادة ، والحاء للحياة ، والقاف للقدرة ، والسين للسمع ، والباء
للبصر ، والكاف للكلام •

وتدل على جميع صفات المعاني والصفات الوجودية والسلبية
سورة الاخلاص • فكلمة الجلالة « الله » تدل على الذات الواجب
الوجود ، الموصوف بصفات المعاني • و « أحد » على الوحدة •
والصمدية على الاستغناء ، لانه يؤول إلى معنى المرجع لكل شيء ،
وجملة « لم يلد » إلى البقاء لأن الحاجة للولادة لغرض بقاء الممكنات
الخاصة • وجملة « لم يولد » للقدم ، والباقي لمخالفته للحوادث •

(٢) أي لأنه إذا أريد من الوجود معنى الكون والثبوت ، فهو أمر اعتباري
وليس من الحقائق ، وإن أريد به الوجود بمعنى المبدأ للأثار فهو
نفس ذات الباري لا صفته ، فتأمل •

وجوده الواجب ذو الكمال	منزه عن العيوب خالي ^(٢)
وذاة ربى ازلـى أبـدى	مـبرء عن حاجة لأحد
وحدّه لا يحتويه من احد	ولو سعى الآن الى مد الأبد
وانما المعلوم منه رسمه	افعاله آثاره واسمه
وجوده بذاته قد وجبا	بستر غيب عن سواه احتجبا
ادراك كنه ذاته عز وجل	أو وصفه في الامتناع قد دخل

(٣) قول الناظم : وجوده الواجب الخ : اشارة بل عبارة عما قال المحققون من ان الوصول الى معرفة كنه ذات البارى تعالى ممتنع ، لانه ليس فيه تركيب من جنس وفصل ، وما به الاشتراك وما به الامتياز ، ولا طريق الى تحديده ، والجزئى لا يحد ، وانما يعرف بالآثار ، كما قال تعالى : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم » (فصلت/ ٥٣) . وبهذا المنهج اى الاستدلال بما فى الانفس والآفاق وصل الى معرفته من وصل ، والعاقبة التصور بالجزم ، والايمان بوجود ذات واجب الوجود موصوف بالكمال ، ومبرأ عن النقص . وليس العجز عن إدراك كنه البارى معناه عدم الوصول الى معرفته سبحانه وتعالى ، لأن كثيراً من الحقائق لا تعرف الا بالفوائد والآثار ، فان من دق عليك الباب وتكلم علمت منه انه الانسان الموجود وراء الباب ، ومع ذلك لا تعرف أحواله واخلاقه وآثاره ؛ وذلك لان البارى تعالى من حيث الوجود أزلى لا سابق عليه وابدى لا يأتية عدم ، والعقل المنتهى المحدود لا يصل الى معرفة ذات موصوف بالابتدائية واللاإنتهائية .

ومن العلماء من قال : إن العجز عن ادراك ذاته تعالى متعسر وليس متعذراً . والتعذر بالنسبة الى العامة اى الذين لم يفتح الله تعالى عليهم باب المعارف الربانية وإلا فالإدراك سهل لمن هو اهل .

اذ كشف كنه الأزلي الأبد
ودرك محدود للامحدود
لكن آثار وجوده السري
في نفسه كذاك في الآفاق
اذ حاجة الممكن للايجاد
ومن بايجاد سواء استقل
ألا فالإبصار لما لا ينتهي
فاين منه من اللامنتهي
فمنتهى إدراكنا المحدود
والعجز عن ادراك كنه الواجب
وقد يفيض الرب بالإحسان
ألا بذكر الله تطمئن
رب أفى نور الهدى علينا

ممتع لممكن محدد
ممتع في فكرة المسعود
معلومة مكشوفة للبشر
عند التفكير السليم الراقى
واضحة لصاحب الرشاد
لاشك ذات واجب عز وجل
من منه ليس لدى منته
واين إدراك لنا ندرك به
انه ذات واجب الوجود
كمالنا وارفع المراتب
على القلوب نور الاطمئنان
قلوبنا ودونه تئن
ليطمئن قلبنا لدينا •

« الاستدلال على وجوده تعالى »

وان ترد شيئاً من الدليل^(١) على وجود ذاته الجليل
فاولاً دلالة الآثار عليه من تقايس الأقطار

(١) قول الناظم : وإن ترد شيئاً من الدليل الى آخره ، يعني ان في إثبات وجوده تعالى أدلة كثيرة ، منها خطابية اقناعية ، ومنها براهين ، وتقيد العلم قطعاً •

فمن القسم الأول : الاستدلال بالآثار على وجود الصانع المختار •
فان من نظر الى صناعات المحترفين كالخياط والزراع والنجار يستدل بنفس آثار اعمالها على وجود أصحابها • وبجسنها وجودتها على

زراع أو خياط أو نجار
فالعالم المنتظم المرتب
تلك البروج العاليات الحسنة
والبحر والأنهار والمنابع
ألا تدل عند عقل سالم
وثانياً نرى بهذا العالم
فقد نرى المجموعة الشمسية
للدورة اليومية الغريبة
كل له من صنعه آثار
والشمس والقمر ثم الكوكب
دورها المعلومة المستحسنة
وهذه الخيرات والمنافع
على إله خالق للعالم
مسخراتٍ خدمة للآدمي
قد سخرت بجذبة قدسية
او سنوية لها عجيبة

قابليتهم ومهارتهم فيها • فمن هذا الباب يفيد النظر في العالم العلوي
وكواكبه والشمس والقمر ودوران الامور على نظامها ، وفي العالم
السفلي من الهواء والرياح والبحار والأنهار والجبال والصحارى ، وما
فيها من المعادن والمنابع والمنافع على وجود صانعها العليم الخبير كما
قال الأعرابي في جواب سؤال عن وجود الباري ما نصه : « البعرة
تدل على البعير ، وأثر الأقدام على المسير ، فأرض ذات فجاج ، وسماء
ذات أبراج ، ألا تدلان على اللطيف الخبير » •

ومن جهة أخرى يرى الانسان ان الحقائق الامكانية المحسوسة
والمعلومة كلها مسخر لخدمة تعود الى الانسان او غيره من الحيوانات
والسخرة للخدمة شأن الخدم والعبيد ، لا شأن الخالق والسيد • فتدل
هذه الأمور أيضاً على وجود خالق عليم خبير • والى هذه الاشارة
بقوله تعالى : « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ... »
الآية (٥٣ / فصلت) • بل من تفكر في نفسه وجسده وهيكله واعصابه
وعروقه ومعدته وشرائينه والقوى المودعة فيها انتقل ذهنه الى الايمان ،
والعلم بوجوب ذات العالم الصانع الخالق الخبير •

كل مسخر لخدمة البشر
ولا يكون خالق بخادم
وثالثاً العالم المشهود^(٢)
أو بعضه الواجب اما الباقي
أو كله الممكن يقبل العدم
والأول الباطل أننا نرى
كذلك الثاني خيال باطل
فبقي الثالث وهو أنه
واحتياج ممكن للخالق
إذ ممكن مؤثر في ممكن
أو غيره على نظام استمر
بل أمر ناهٍ لأهل العالم
اما جميعاً واجب وجود
فممكن عدمه يلاقى
مثل الوجود لهما فيه القَدَم
ان الفناء على كثير قد جرى
ولا يراه أهل فهم عاقل
كله ممكن وذا موجبه
حقيقة من أظهر الحقائق
كملت لميت مؤمن

(٢) قول الناظم : وثالثها العالم المشهود : اشارة الى ادلة برهانية قطعية على
ثبوت ذات الصانع الواجب الوجود المتصف بالكمال ، المنزه عن
النقص ، بان تستدل وتقول : العالم إما جميع اجزائه واجب الوجود
ويمتنع عدمه ، واما جميعها ممكن الوجود والعدم • واما بعضها واجب
وبعضها الآخر ممكن •

والشق الأول باطل بالبداهة ، فان ما نجده ونحس به يفنى أو
يتبدل بغيره ، وما لا نجده مماثل له •

وكذلك الشق الثاني ، اذ لا فضل لبعضها على الآخر ، حتى أن بعض
الناس لما صعدوا الى القمر واخذوا بعضاً من اجزائه وجدوه لا يمتاز
عن سائر المواد الارضية القابلة لما يقبله الآخر • فلم يبق إلا الشق الآخر
وهو أن كل اجزائه ممكن والممكن لإمكانه محتاج إلى المؤثر الذي
يرجح أحد طرفيه من الوجود أو العدم على الآخر ، وهذا المؤثر هو
الواجب الوجود ولا يحتاج إلى غيره •

وإن تظن بالهوى تسلسلاً^(٢) تشخصُ المجموع ذاك ابطلا
فكله يحتاج الى المؤثر مؤثر من عيب الامكان يرى
علاوة ذلك الذي قد وجداً اليك يا موجود كان عددا
بالفرد أو بالزوج حتما ينتهي فيستهي الكل لدى المنتبه
ولست محتاجاً الى التطبيق صعب عليك موجب التدقيق
فانحصر الممكن في حدٍ يرى وفوقه الواجب خلاق الورى

(٣) قول الناظم : وان تظن بالهوى تسلسلاً : بيان لدفع ما يتوهم أن
الممكنات لا تحتاج الى المؤثر الواجب لأنها سلسلة تؤثر السابق في
اللاحق وهكذا ، فلا حاجة إلى الواجب •

وحاصل الدفع أن الممكن في حد ذاته بالبداهة محتاج إلى المؤثر
لاستواء طرفيه ذاتاً • وإذا توهمت تأثير السابق في اللاحق فقل في
إبطاله : بأن تلك السلسلة كل جزء منها ممكن ، فالمجموع ممكن •
فكيف يكون موجوداً بدون الصانع ، والحال أن تأثير الشيء في
نفسه وفي غيره مستحيل ؟

وعلاوة على بطلان الاستغناء عن المؤثر ، فوجود السلسلة
اللامتناهية من الممكنات باطل ؛ لأن المجموع متعدد ، والعدد إما زوج
فيكون أقل من عدد أزيد منه بفرد ، وإما فرد فيكون أقل من عدد
زوج فوقه ، فينتهي قطعاً •

وأيضاً إن المجموع الموجود لا بد له من تشخيص • إذ لا وجود
بدون التشخيص ، واللاتناهي للأجزاء مانع عن التشخيص • وبهذا
يبطل التسلسل قطعاً • ويؤول الأمر إلى الاعتراف بالخالق الواجب ،
الفرد الموصوف بالكمال ، ألا له الخلق والأمر فبارك الله •

إن قلت هذا العالم الموجود^(٤) براً وبحراً وهواءً وسما
تجمع أسباب الحياة كلها
وقد وجدناها على بقاء
فما هو المانع من أن يعتبر
قلنا : نرى بالعقل وصف الخلق
له شعور الحال والمآل
لا يقبل التحويل والتبديل
وذلك العالم فيه النقص
تبدل الصنف بصنف آخر
تبدل الماء بأرض من تراب

معقوله محسوسه المشهود
وكوكباً شمساً حزاماً أنجماً
ماءً وقوتاً ونعيماً جلّها
وقد سمعناها من الآباء
كواجب يخلق كل ما قدر
أمراً مهماً ثابتاً بالحق
وقدرة وهيبة الجلال
ولا تناهياً ولا تحليلاً
والزبد والتبدل رفع رخص
تبدل الهواء بماء فاتر
وفيه كون وفساد بحساب

(٤) قول الناظم : إن قلت هذا العالم ، وقوله : قلنا نرى بالعقل : بيان
لتوهم من توهم أن العالم المحسوس هو المؤثر في وجود ما يتفرع منه
ودفعه .

وحاصل الدفع : أن هذا العالم مركب من أجزاء متساوية في وصف
الإمكان ، وقابلية الحدوث والزوال والكون والفساد ، وهذه الأجزاء
مثل الكل لا فرق بينهما في ذلك الوصف ، والقابل لعروض العدم
والفناء لا يليق بوصف كونه واجب الوجود بذاته . بل من خارج
مؤثر فيه . وذلك لأن ذلك العالم المركب من الأعيان والأعراض ، وتلك
الأعراض كلها حادثة ، بعضها بالعيان ، وبعضها بعروض العدم عليها ،
وما لا يمكن وجوده بدون الحوادث ، لا بد يكون حادثاً ، فإن المحتاج
في البقاء إلى العوارض ، والمحتاج في الوجود والتحقيق إلى الحوادث .
حادث ، لأن الوجود والبقاء صفة الصانع الكامل في حد ذاته ، والمحتاج
في الوجود والبقاء إلى الحادث حادث بالبداهة .

قد أخذ الناس من أجزاء القمر والكشف بالعلم يرى في الشمس وكل ذي التبديل والتحويل من لم يكن ذا قوة في ذاته إن قلت قصدي نوعه لاشخصه^(٥) قلت : وذاك عندنا موجود والجامد الخالي عن الشعور والخلق يحتاج الى الإدراك مجموعة شمسيه باستمرار والارض منها ولها مدار ومثلها الكواكب السيارة هل دون خالق له نظام

فلم يكن فرق لها مع الحجر ضعف أشعة نشا عن نقص تراه مثل عاجز عليل كيف يسوّى مقتضى نياته ؟ والنوع باقٍ مستمر نفسه وجامد مسخر مشهود كيف يكون ناظم الأمور لنظم امر الارض والافلاك تدور حول الشمس في المدار من دورها ذا الليل والنهار على الدوام جملة دوّاره تظن دورة لها دوام ؟

(٥) قول الناظم : إن قلت قصدي ، وقوله : قلت وذاك عندنا موجود : إشارة إلى بقاء المتوهم على توهمه وتحريره لمراده مما توهمه مع رده أيضاً . وحاصل التحرير ؛ أن مرادي بتأثير العالم في أجزائه تأثير نوعه المستمر ، فإن الأرض تتبدل بالماء والماء بالهواء ، والهواء يعود ويتبدل بالأمطار ، وهكذا . والنوع موجود مستمر لائق بالتأثير في الحوادث . وحاصل الرد : أن ذلك النوع عبارة عن مادة علوية وسفلية ، تتبدل صورتها النوعية ، وهي في حد ذاتها من الجوامد ، أي من الأمور التي لا شعور لها . فلا يليق بالخلق . وإيجاد أمور متناسقة نظامية تعجب الناظر المستبصر فيها ، فوجب الاعتراف بوجود صانع لكل ، واجب وجوده ، وعالم بالأمور ، وقادر على كل ممكن من الأمور .

إن ينقلب وهمك للطبيعة^(٦) فتلك أخزى بدعةٍ شنيعة
فإن تكن من عرض فلا يرى دون محل مستقر جوهراً
أو جوهراً مادياً أو مجرداً فلا يرى دون كمال أبداً
والكامل الموصوف بالكمال منحصر في ذات ذي الجلال
ولا تُسمّ ذاك بالطبيعة بل هو رب حسن الصنعة
وقل بدون الريب واشتباه إنك أنت الحق يا إلهي

(٦) قول الناظم : إن ينقلب وهمك للطبيعة : بيان لحقيقة ما أراده المتوهم ودفعه . وحاصل ما أراده منه هو أن مقصودنا من العالم المؤثر ليس الأجزاء المادية المستمرة ، بل طبيعتها الواقعية المتمكنة من التأثير بالإيجاد والابداع ، والتنظيم للأمور المترتبة وليست هي من المواد . وحاصل الدفع أن تلك الطبيعة إما عرض قائم بالغير ، أو عين وقائم بالذات . فإن كانت الأول ، فهي محتاجة إلى ما يقوم به وجوده قبلها ، فكيف يكون خالقاً لما تقدمها ولغيرها وهي محتاجة ؟ وإن كانت عينا قائمة بنفسها ، فإما أن يكون ناقصة في الصفات الكمالية من الحياة والعلم والقدرة والإرادة وغيرها ، وإما متصفة بها ، فإن كانت ناقصة فيها فتوهم كونها مؤثرة من نقص العقل ، وإن كانت كاملة ومتصفة بالصفات الكمالية ، فليست إلا ذات الواجب الوجود الموصوف بالكمال ، وأنت سميتها بالطبيعة من عدم نظرك إلى اسم جليل جميل يليق بذاته تعالى وهو الله تعالى جل شأنه العظيم .

ومما أعجبني ما قاله بعض العلماء في هذا الموضوع بوجه سهل سليم ، فقال : بالعين المجردة نحس بالحركة للأجرام وللشروق والغروب ، والحركة صفة قائمة بالمتحرك . ولا بد للمتحرك من محرك له كيف كان . ولا يجوز أن يكون بلا شعور ، لأن النظام المستمر لا يمكن من عديم الشعور ، فوجب الاعتراف بوجود محرك عالم قادر يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو الله تعالى .

« أقسام الكفار »

من لم يكن يرى^(١) إلها كاملاً فهو سفيه سَمِيَّه « معطلاً »
وذاك راكب على متن الهوى وتاه في دور الضلال وغوى

(١) قول الناظم : من لم يكن يرى • بيان لتقسيم الكفار بذات واجب الوجود • وحاصله : أن المكلف إما أن لا يسند العالم إلى الخالق مطلقاً فهو معطل - بالكسر - أي جعل العالم عاطلاً عن الصانع • وإما أن يسنده إلى ما يتوهمه من طبيعة العالم نفسه ، وهو يسمى بالطبيعي ، لإسناده له إلى الطبيعة والحقيقة الثابتة من الأشياء • فإن الطبيعة بمعنى الثابتة ، وذلك الكافر لا يرى شيئاً ولا يعتبر إلا هذا العالم المحسوس ، وقد يسمى بالدهري • لإسناده له إلى الدهر ، بمعنى الزمان المستمر الذي يعتقده مؤثراً • وقد يسمى بالزنديق ، نسبة له إلى الزند • وهو كتاب مستوثق عند الفرس في سالف الأيام ، فأبدلت إحدى الياءين بالقاف ، ثم حرفوا ذلك الكتاب ، فآل دينهم إلى اللا دينية •

وأما من اعترف بواجب الوجود واشركه الاصنام والالوثان ، فيسمى مشركاً • بصيغة اسم الفاعل ، من باب الإفعال ، لإشراكه غيره تعالى معه في التأثير ، بإسناد الآثار العلوية إلى الله ، والآثار السفلية إلى الأوثان • أو بقوله باشتراكهما في إيجاد كل مخلوق • مع العلم أن ذلك الكافر إذا اعتبر واجب الوجود خالقاً وجب عليه أن يكتفي به ، إذ لا حاجة مع وجوده إلى غيره • ونشأ من هذه العقائد الفاسدة أمور وعقائد فاسدة يطول شرحها •

وأما من قال بواجب واحد متصف بالكمال منزّه عن النقص فهو

ومن يرى الهه الطبيعة
ومن يرى رباً له شريك
أو واحداً وواجب الوجود
وعبد مؤمناً أميناً أدباً
يا مرحباً أهلاً وسهلاً مرحباً
فلا تكن معطلاً بطالاً
ولا تر التأثير للجوامد
والحسن^٢ راعي الرعي للحيوان
كن مؤمناً بربك القديم
واعلم بعلم سالم كما هو
فاعقل وعقل المرء نور النفس
مخلع بخلعة شريفة
حتى يكون علماً جميلاً^(٢)
إن قلت اني لا أرى دياراً^(٣)

فجاهل مرتكب الشنيعة
فمشارك عن الهدى تريك
فذاك فاز رتبة الشهود
له معال شرفاً وحسباً
بعقل في دينه تهذيباً
كي لا تكون تأهلاً ضلالاً
ولا بمشارك عنيد فاسد
والعقل داعي الوعي للانسان
فرد عليم قادر قيوم
أن لا إله لك الا الله
العالم الموجود مثل شخص
مزيّن بزينة لطيفة
على وجود ذاته دليلاً
ولا أرى مهيمناً جباراً

مؤمن موحد • ولبت^٢ روح التوحيد ارسل الله تعالى رسلاً مبشرين
ومنذرين •

(٢) قول الناظم : حتى يكون علماً : إشارة الى أنه إنما سمي ما سوى الله
علماً ؛ لانه يعلم به الصانع دلالة الأثر على المؤثر ، فالعالم - بفتح
اللام - بمعنى ما يعلم به الصانع ، كالأخاتم بمعنى ما يختم به ، والطابع
بمعنى ما يطبع به •

(٣) قول الناظم : إن قلت إنني لا أرى دياراً : بيان لما توهمه بعض الناس ،
وقال : إنني أرى هذا العالم الموجود كدار فيها مَن فيها من أهلها ،
وما يحتاجون اليه ، ولا أرى دياراً ، أي : صاحب الدار مؤثر فيها ،

فكيف ايماني برب خالق لذلك العالم ذي الحقائق ؟
قلت : سؤالكم لطيف جدا أراك شخصا عاقلا مجدا

فكيف اعترف بوجوده ، أو بوجوب وجوده ؟

وحاصل قوله : قلت سؤالكم : بيان لدفع توهمه ، وحاصله انك
أيها السائل بعدما اعترفت بأن هذا العالم موجود محسوس ، وأجزاءه
ليست واجبة الوجود ، بل من الممكنات الخاصة التي يستوي وجودها
وعدمها ، علمت انها تحتاج الى وجود مؤثر ، لأن الأثر لا يكون بدون
مؤثر ، وظهور ذلك المؤثر كالبدهي عند العاقل ، لدلالة الصوت على
المصوت ، وحركات أغصان الاشجار على الرياح المحركة .

فإن القوة المودعة في الأثير لا ترى وآثاره من الكهرباء أو غيرها
محسوسة أو معلومة ، والهواء لا يرى بالعين ، وآثاره معلومة محسوسة
لنا . ومن دق الباب عليك لا يرى ، وصوت دقه له مسموع معلوم ،
ولكل إنسان أو حيوان روح لا يرى بالعين ، وآثارها في صاحبه
معلومة ، من القيام والقعود والكلام وغيرها ، وكواكب السموات
مشرقة ، ولها مالها من الدوران ، ومحركها لا يرى ، فوجود ذات المؤثر
معلوم ، ولكن حقيقته غير معلومة ، والحركات صفات للمحرك لا بد
لها من قوة محركة وإن كانت لا ترى ، فعدم العلم بحقيقة تلك القوى
لا يدل على عدمها عند العقل السليم .

ومجموع هذا العالم الذي وصل الاحساس والعلم إليه وإلى
آثاره أثر يدل دلالة قطعية على وجود مؤثر فيه يجب ان يعترف به
العاقل وإن كانت حقيقة تلك القوة المؤثرة مخفية . مع أن في العالم
قوانين غير اعتيادية كما في خوارق العادات ومعجزات الأنبياء والرسل
من عدم تأثير النار في الإحراق ، والماء في الإغراق ، والحجاب في

وخذ من المجيب قولاً الطننا
هنا مقامان لنا كلاهما
مقامنا الاول في الوجود
اما الوجود فهو كالبدهي
اذ عدم الرؤية للموجود
إن الاثير لا يرى لكن له
إن الهواء لا يرى في البين
من دق باباً لا يرى وجوده
لكن علمت أن عند الباب
وكل إنسان يرى ولا ترى
أعني قعوداً وقياماً حركة
وتدرك الحياة للحيوان
ترى كواكب السماء شارقة
كذا ترى الأرض هنا جهارا
والعالم الاسفل مع أعلاه
تجول حول مركز تدور
وحركات كل ذي تحرك
وليس في العقل محرك لها
فهل من المعقول أن تراها
أو هل يرى شعور ذي شعور

والمرء فوق الوسع لن يكلفا
مسلمان عند كل العلما
والثاني في حقيقة الوجود
في عقل شخص راشد منتبه
ليس دليلاً لا تنفا الوجود
آثاره في كهرب وهو له
آثاره معلومة بالعين
ووصفه وحالته وعوده
شخصاً يريد الخير بالحساب
من روح ذاك الشخص إلا الأثر
وهي كمنبع لكل بركة
ولا ترى الروح مع الأبدان
على مدارها ولن تفارقه
تبدي لنا الليل تلا النهار
مسخر ذاتاً لدى مولاه
أكثر من نصف عليه نور
بداهة تحتاج للمحرك
بدون قدرة وعلم حالها
دون عليم قادر يرعاها
نظام عالم بلا شعور

اغتيال ما وراءه • وذلك يدل واضحاً أن هناك مؤثراً واجبا موصوفاً
بالكمال لكل تلك الآثار سلباً وإيجاباً وإعداماً وإيجاداً ، وهو الله
تعالى •

فقل سماء^(٤) ربنا رفعها
والأرض والعجائب التي بها
وجود رب خالق لكل
ظهوره كالنور في المصباح
« الله نور » حجة الظهور
واذ نظرت نحو هذا العالم
على الموازين التي وضعها
من مبدأ الأمر لحد المنتهى
له كنور كان دون ظل
أو كظهور الشمس في الصباح
في الصورة المضافة للنور
نظرة حق لائق بالآدمي

(٤) قول الناظم : فقل سماء الخ : بيان لدلالة الآثار المعلومة في العالم من
السموات والأرض وما بينهما ، وهي تدل على وجود خالق واجب ،
ووجود ذلك الخالق ظاهر ظهور نور مصباح في مشكاة لا منفذ لها
حتى يستولي الهواء على حركات مخالفة للنور •

وجعل آية : « الله نور السموات » (النور / ٣٥) إشارة إلى
هذا المقصود المهم ، وذكرنا في التمثيل وجوهاً عديدة •

الأول : أن السموات والأرض كمشكاة ، وأحوالها وما يحدث فيها
وما يزول كمصباح ، ونظرنا وتفكرنا فيها نور يستنير به ويظهر وجود
الخالق الواجب الوجود •

الثاني : أن السموات والأرض مشكاة ، ونفوسنا المدركة مصباح ،
وزجاجة التفكير ، وشعلة المصباح نور القلب ، ونفس القلوب محل
خروج النور ومشعله •

الثالث : أن أبداننا مشكاة ، وصدورنا مصباح ، وزجاجةا ملاحظات
القلب ، وزيته استعدادنا المخلوق لنا ، وإشعالها الهداية والعناية
الربانية ، وتضيء في بيوت ذكر الله تعالى من المساجد ، وحلقات الذكر
والتدريس وهيئات الانس •

وذلك النور مقسوم ، ولكل من أصناف العباد المؤمنين نصيب

معلوم •

مشكاتها^(٥) مصباحها من حالها
نور دليل الواحد القهار
ارض سما النجوم سيارات
زجاجها التفكير الوفاق
ونورها الايمان بالجبار
نور وجود واجب الوجود
لما يرى في نصه الجميل :
صدورنا المصباح ذو الجامات
مظهر أنوار الهدى الشريفة
أشعاليها الهداية القدسية
مع حضور قلبنا لله
موهبة خالصة للانبيا

وجدت أن الكائنات كلشها
نظرنا فيها بالاعتبار
او عنصر المشكاة كائنات
مصباحها الأتقى والافاق
مشعلها القلوب باستمرار
يظهر بالتوفيق^(٦) للشهود
وان أردت قل على التمثيل
أبداننا كمادة المشكاة
زجاجها قلوبنا اللطيفة
وزيتها استعدادنا النفسية
تضيء في بيوت ذكر الله
وذلكم مكسبة للأصفياء^(٧)

(٥) أي مشكاة في نظرنا أي كمشكاة •

(٦) قول الناظم : يظهر بالتوفيق : حاصله أن وجود المؤثر معلوم بلا شبهة ،
للعقل السليم • وأما حقيقته وكنهه فخفية على العباد مطلقاً • أو معلومة
لبعض من اختصه برحمته وتوفيقه •

قال بعض المحققين : لا يعرف من الحقائق الثابتة إلا آثارها
وخواصها وفوائدها ، وتظهر لنا بالتعاريف والرسوم • وأما حقائقها فلا
سبيل للعلم بها إلا عناية الله تعالى لمن اختاره بفضله •

(٧) قول الناظم : وذلكم مكسبة الخ : بيان إجمالي لفيوضات الباري تعالى
على عباده ، ويقول : إن فيضان النور على قلوب عباده على قسمين :
الأول : ما يحصل بطريق الاكتساب ، والمجاهدة في الاعتقاد والأعمال
بالإخلاص والاستفادة من الأساتذة والمرشدين وصحبة الصادقين كما

وعندما يضيء بالشهود يظهر نور واجب الوجود
وذا لعمركم شهود الحق قمته العليا لمولى الخلق
سيدنا محمد نور الهدى من اقتدى به بحق اهتدى
وغيرها لغيره حسب النسب في قوة التقوى وإخلاص الحسب
فاض على روحه وابل الكرم من الصلاة وسلامه الأتم

قال تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » وقال تعالى :
« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » أي كونوا معهم
كينونة عادية مادية بحضور مجالسهم ودروسهم ، وأخذ النفحات من
انسهم • أو كينونة معنوية روحية ، وتلك باتباع آدابهم وأعمالهم
واخلاصهم ومحبتهم ، والسعي وراء ما سعوا فيه بقدر الإمكان ، كما
كان للأصحاب الكرام رضي الله عنهم وخاصة لمن حوله وبالأخص
للخلفاء الراشدين بمجاورة الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم •
الثاني : موهبة خاصة من الله تعالى ، وعناية ربانية ، وجاذبة روحية ،
كما تحقق للأنبياء والمرسلين ، وبالأخص للرسول منهم ، وبالأخص لأولي
العزم الخمسة الكرام : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وسيدنا محمد
عليهم الصلوة وأخص الأخص لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم • كما
يظهر بالنظر في القرآن الكريم واعتناؤه تعالى به صلى الله عليه وسلم •

ولا ينافي كون ظهور نور الحق لهم موهبة ما كانوا عليه من
الأتعاب والأحوال في مبادئ أمورهم ، لأنها أيضا كانت عناية خاصة
بهم ، كما لا ينافي طلب سيدنا إبراهيم عليه السلام لإحياء الموتى عنده ؛
لأن لأنوار القلب والأحوال العارضة عليه واطمئنانه درجات كما قال
تعالى : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » ... الآية ، فانظر في
الدقائق لكشف الحقائق •

والأنبياء والرسل الكرام والآل والأصحاب بالإكرام •

* * *

مقامنا الثاني^(٨) مقام كنهه
هذا الذي تاه العقول فيه
إدراك كنه واجب الموافق
والعقل لا يصل بالتحقيق
بل درك الأشياء التي نراها
والعين لا تبصر ذرات الفضا
والرسل الكرام قد اعترفوا
هذا الذي في منحة الإمكان^(٩)
أي ذاته حقيقة كما به
وفكرة الممكن لا تكفيه
بعالم الإمكان غير لائق
لدرك كنه الواجب الحقيقي
بالحق لا يبلغ منتهاها
والفكر لا يبلغ اسرار القضا
بعجزهم عنه فلا تعسفوا
مع منحة الزمان والمكان

(٨) قول الناظم : مقامنا الثاني : مقابل ما سبق من قوله : مقامنا الأول في الوجود • وحاصله : أن وجود ذات الواجب معلوم عند كل عاقل منصف متصف بجودة النظر بلا شبهة ، كنور المصباح ، بل كنور الشمس في الصباح •

وأما حقيقته فخفية ، كما قال عليه السلام : « سبحانك ما عرفناك حق معرفتك » فإن درك حقيقته تعالى ممتنع ومتعذر عند العلماء وإن قال بعضهم إنه ممكن يحصل لبعض الاحباب الأصفياء •

(٩) قول الناظم : هذا الذي في منحة الإمكان : يعني هذا القدر القليل من معرفة الواجب تعالى ، برسمه وآثاره ، هو الذي يمنح ويسخر به عقل البشر الضعيف ، المتصف بالإمكان الخاص ، الموطن لكل نقص في الذات والصفات ، مع معارضة طوارئ الزمان والمكان ، فإن في كل زمان أزمنة ، وفي كل مكان آفات •

«الوجوب»

وإذ بدا الوجود في الأعيان^(١) لو لم يجب فسد بالإمكان
إذ حال كل ممكن لنا عيان سداه مع لحيته نقصان

«الوحدة»

دليل وحدة الآله^(١) أنه لو كان لله عديل مثله
ففي اتفاق واجتماع في العمل توارد للعتين قد حصل

(١) قول الناظم : وإذ بدا الوجود إلخ : يعني ما دام ثبت وجود الصانع لزم
أن يكون واجباً ، لا ممكناً خاصاً ؛ لأنه لو لم يجب أتاه فساد الإمكان
الخاص المنافي لكمال الألوهية .

الوحدة

(١) وقوله دليل وحدة الإله : يعني أنه لو لم يكن واحداً وكان للباري
عديل وفرد آخر مثله لزم المحال ، والمحال باطل ، فالتعدد باطل . أما
بطلان المحال فظاهر . وأما لزوم المحال ، فلأن الصانع يكون صانعاً
بالصنع والتأثير في غيره ، فإذا أثر في غيره ؛ فإن كان تأثيره مقارناً
لتأثير عديله في ذلك الشيء لزم توارد المؤثرين على أثر واحد ، والتوارد
باطل ؛ لأن في تأثير كل واحد يوجد الأثر بلا حاجة إلى الآخر ؛ لعدم
جواز تنازل قدرة الباري ، والتناقض فيه ، حتى يكون مجموع
التأثيرين كتأثير واحد كاف في ذلك الأثر ، فإنَّ تَوَجُّهَ قدرة الصانع
الكامل يوجب حصول الأثر .

وإن جرى التأثير من واحد منهما بالدوام يكون وجود الصانع الثاني

إذ يستحيل اشتراك القدرة
ليس إلاهـان كممكنين
وإن جرى العمل من فرد فقط
لأنه ما دام يكفي عامل
وفي اختلافٍ لزم المفاسـد
إذ لو جرى عجز على هذين
وإن أتى عجز لواحد فقط
وإن جرى التأثير من اثنين
أو جمع ضدين من الأضداد
والحق أن وحدة الإله
لولا لـرد مشرك عليل
فإن عاقلاً بعقله عقل
علم أن ذاته كاف لما
فأين حاجة لذاتٍ عاقل

مع قدرة أخرى بأي صورة
تشاركها في عمل بالعين
دواماً أو تناوباً جاء الغلط
فالعامل الآخر حشو عاطل
يختل منها قاصر وقاصـد
لزم رفع المتناقضين
فغيره الإله لا هذا السقط
لزم جمع المتناقضين
ويستحيل ذاك بالإسناد
أمر بديهي بلا اشتباه
ما احتاجت الوحدة للدليل
حياً عليمأ قادراً عز وجل
يريده من أرضه أو من سما
يأتي على الوحدة بالدلائل

حشواً ولغواً ، وحاشا الواجب أن يكون حشواً في الوجود . وإن كان
التأثير الفردي بالتناوب ، أي يوم لهذا ويوم لذاك لزم أيضاً الاكتفاء
بواحد منهما ، والآخر يكون وجوده عبثاً . هذا إذا كانا متوافقين ،
وأما إذا كانا متخالفين ومتنازعين ، فإذا حصل التأثير منهما معاً لزم
اجتماع المتناقضين ، ولو عجز كل منهما لزم رفع المتناقضين ، وإن عجز
واحد وأثر الآخر لزم عجز الأول . هذا إذا كان المرادان متناقضين ،
وإن كانا متضادين كالسواد والبياض لزم إما جمعهما وهو باطل ، أو
وجود واحد منهما فلزم عجز الآخر ، أو عدم وجود شيء من اللونين
مثلاً لزم الفساد من عجز الصانعين لا من ارتفاع الضدين فإن ارتفاعهما
جائز .

وقد أتى الباري بنص نافع^(٢) يشير باللفظ إلى التمانع
« لو كان فيهما » يكون شرطاً « لفسدتا » جواب شرط ربطاً
دليل إقناعي بنهج العادة يعني خطابي بعرف السادة
إذ يمكن التفاهم بينهما فلا يرى تنازع لدهمهما
وحجة قطعية برهاني إن أخذ التالي على الإمكان^(٣)

(٢) قول الناظم : وقد أتى الباري الخ : إشارة إلى ما ذكره المحققون في
معنى الآية الكريمة : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا »
(الانبياء / ٢٢) من أنه لو فسر الفساد بالفساد الفعلي والاختلال كانت
الآية الكريمة دليلاً خطابياً اقناعياً على وحدته تعالى ؛ لأنه على فرص
التعدد للآلهة جاز التفاهم والتوافق على ترتيب معين في السموات
والأرض ، فلم يلزم الفساد والاختلال فعلاً .

وإن حمل الفساد على عدم التكوين ، وعدم الوجود بناءً على
تقدير جواب في الآية الكريمة ، أي لو كان فيهما آلهة إلا الله لأمكن
التمانع والتدافع بينهما ، ولو أمكن ذلك لزم أن لا يكون أي واحد من
الآلهة إلهاً كاملاً وصانعاً متميزاً بالقوة الكاملة ، لأن إمكان منع الغير
له يوجب نقصانه عن تلك المرتبة العليا ، وحينئذ لزم خلف الواقع عن
الصانع القدير ، ولزم أن لا يوجد العالم من السموات والأرض وما
بينهما وغيرهما ، لأنها من آثار الصانع القدير ، ولكن العالم موجود
والسموات والأرض متكوئتان ، والفساد بالمعنى المذكور باطل ، فتعدد
الآلهة باطل ، لأن رفع التالي يوجب رفع المقدم . وعلى هذا الوجه
فالأية الكريمة برهان قطعي وحجة قاطعة على عدم التعدد ، وعلى وحدة
الإله الصانع الكامل .

(٣) فقول الناظم : إن أخذ التالي على الإمكان . معناه إن أخذ جواب

ومن فسادٍ عدم التكوّن يعني لهذا العالم المعيّن
إذ لو تعدد" له تينا إمكان الاختلاف قد تعينا
إذ عند إمكان الخلاف يجري إمكان ما استحال نفس الأمر
وهذه وحدته في الذات على براهين وبينات
منها بدا الوحدة في الصفات كذاك في الأفعال في الجهات
فليست الصفات والأفعال من ناقص كمن له الكمال •

« لو كان » بإمكان التمانع بأن يقال : لو كان فيهما آلهة إلا الله أمكن التمانع بينهما ، ولو أمكن التمانع بينهما لفسدتا ، أي لم تتكون السماوات والارض ؛ لأنهما أثر الإله الكامل ، والإله الذي يمكن منع غيره له ليس بإله ، فيبقى العالم بلا صانع كامل ، فلا يوجد ولا يحدث أي أثر حادث •

(٢) قول الناظم : إمكان ما استحال نفس الأمر • المراد بما استحال في نفس الأمر : عجز الإله الواجب الوجود •

بقي أنه اعترض بعض بأن الاستدلال المذكور بالآية الكريمة مبني على استعمال المنطقيين ، حيث استعملوا الدليل المصدر بكلمة « لو » في القياس الاستثنائي الذي قد يستعمل للاستدلال برفع التالي على رفع المقدم ، وليس ذلك الاستعمال عربياً ، والقرآن الكريم نزل على استعمال العرب ، ومن استعمالها عند العرب ما يستدل بانتفاء المقدم على انتفاء التالي ، نحو : لو اكتسبت المال لتحسنت لك الحال • وأجاب عنه السعد بأن هذا الاستعمال أيضاً عربي ، ولكن الاستعمال الثاني أكثر من الأول ، فخذ هذه الفوائد وكن على بصيرة في رعايتها •

«القدم»

اما دليل القدم للذات لولاه كان من حوادث (١)
وكان معروضاً لأوصاف لها ناقصة في المبتدأ والمنتهى

(١) قول الناظم : أما دليل القدم للذات إلى قوله وكان معروضاً مع ما بعده من أدلة الصفات السلبية وما يحوم حولها ، واعلم أن هذه الصفات السلبية كلها كمال لذات الواجب وخلافها نقص يجب سلبها عنه ، فإنه تعالى لو لم يكن قديماً لكان حادثاً ، ويحتاج إلى المحدث ، تعالى الله عنه علواً كبيراً •

وأما بقاءه فلأنه بعد القول بقدمه يجب اعتقاد امتناع ظروف العدم عليه ، واشتهر أن كل ما ثبت قدمه امتنع عدمه ، لأن القديم إما واجب الوجود لذاته أو لازم لذات الواجب ، فلا مجال لعروض العدم عليه • وأما الاستغناء عن الغير فلأن كل محتاج للغير أدنى شأناً منه والله أعلى من كل شيء وأكبر منه •

وأما نفي المثل ، فلأن غير الواجب إما ممتنع الوجود أو ممكن خاص يستوي وجوده وعدمه ، فكيف يكون له مماثل تعالى الله عن ذلك •

وإذا تقرر ذلك تبين أن ليس ذات الباري جوهرراً لاحتياجه إلى الغير وإلى عروض الأعراض المشخصة له ، ولا جسماً لاحتياجه إلى أجزائه التي تتركب منها • وليس في زمان لأن الزمان يتوهم من حركات الكواكب وشروقها وغروبها ، والله تعالى ليس له محل تشرق المشرقات عليه وتغرب ، ولا مكان له ، لأن المكان إن كان بعداً مجرداً أو موهوماً فهو مما ينطبق عليه أبعاد المتمكن ، وإن كان عبارة عن السطوح الحاوية لسطوح المتمكن فلأن السطح من توابع المواد ذات الأبعاد

اما بقاؤه فان ذا القـدم	ممتنع له العـروض للعدم
وكل امر ثابت قدمه	ممتنع بالحجة عدمه
إذ القديم واجب بالذات	او لازم له على الثبات
اما الغنى ، لو لم يكن غنيا	وصمداً مهيناً عليّـاً
لكان محتاجاً لما سواه	وذلك النقص ، تعالى الله
وعدم المثل له جليّ	فانه الواجب والعليّ
عن المماثلة للنواقص	كممكنات للهوى أو انيسـ

والله بريء من ذلك كله .

والباري تعالى ذات أزلي وأبدي ، وكان ولم يكن معه شيء ، وخلق ما خلق من الحوادث باختياره بدون حاجة إليه ، وخلقه كان بأمر كن فيكون . وهذه الجملة إما بيان لسرعة تحقق المراد وتقوّد إراداته ، وإما خطاب منه تعالى لما كان في علمه ، وقرر إيجاده في ما لا يزال ، فتوهم استقرار على العرش أو في أي مكان آخر توهم ممن لا مكان له بين العقلاء المؤمنين ، وإنما تفسر تلك الآيات الدالة على الزمان والمكان والأعضاء له تعالى على تأويلها بالاستيلاء على ما سواه قدرة وعلماً ورعاية وعناية ، وهذا دأب الخلف المؤولين لها بما يناسب شأنه تعالى .

وأما السلف فقد آمنوا بها ، وقالوا : إن معانيها ثابتة على ما استأثر الله ذاته بعلمها ولا نعطلها عن معانيها الثابتة لها ، ولكنها لا ندري تأويلها والمراد منها ، إذ لو مشى الناس على ظواهرها لزم أن يكون الباري في الزمان والمكان كليهما ، ويكون في كل محل مع كل شيء ذاتاً ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وقد قلنا سابقاً أن سورة الإخلاص فيه اثبات لجميع الصفات المعنوية وصفات المعاني والسلبيات فراجع .

ليس الإله عرضاً أو جوهرًا
لا في زمان أو مكان أبدا
مكاننا مثال ارض او سماء
ربي قديم سبق الأكوانا
وقبل إيجادٍ لها أين الزمن
من أبداع الزمان والمكانا
خلق عالم الوجود قدرا
خلق العرش وارضاً فرشا
فاين كان قبل خلق العرش ؟
إن كنت لاتدري سوى المحسوس
فقل : أنا الموجود والخبز الحري
وان ترى المعقول بالدليل
حي عليم أزليّ أبدي
معك اين كنت في المكان
ومع كل ذرة من الهواء
يعلم لحظ أعين الخيانة
به عيون القاصرين كلت
فهل من المعقول أن تراه
العقل يدعو الناس للحق الجلي
سبب اشتباهنا أوهام
آمن بذاته مع الأوصاف
نفسي علية من المباني



جوهراً فردٍ أو مركباً يرى
نراه ذاتا واحداً وصمدا
زماننا حركة أضواء
وسبق الزمان والمكانا
اين مكان فيه كائن سكن
كيف تقول : أين قبل كانا ؟
من عدم صرفٍ بأمرٍ أمرا
كذا السما والنجم نقشا
اين البساط قبل خلق الفرش ؟
مبصرٍ أو مسموع أو ملموس
والماء والسكنى وسائر العرى
تؤمن برب واجب جليل
ولا مماثل له من أحد
أقرب من حبل الوريد الداني
ومع ذرات من السماء
ويعلم الإيمان والأمانة
له رقباب القادرين ذلت
في احتياجه لما سواه !
عزّ عن الحاجة ربنا العلي
وجلّ عن أوهامنا العلام
ولا تمل قطعاً الى الخلاف
فلنرتحل لروضة المعاني

« صفات المعاني »

وربنا حي بلا احتياج^(١) لبنية وصحة المزاج
وهو عليم ، علم ربي كامل لكل ما يدرك علم شامل

(١) قول الناظم : وربنا حي الخ • أعلم أن مباحث الصفات الذاتية ، المشهورة بصفات المعاني مباحث دقيقة ، وبالجهد حقيقة • وقد اتفق المسلمون على أن ذات الواجب متصف بالكمال ، ومنزه عن النقص ، لأن وجوب الوجود منبع الكمال ، والنقاش في الموضوع نقاش في زيادة الصفات ، وعدم الزيادة • وستأتي المباحثة فيها • مع العلم أن النصوص تظاهرت وتضافرت على أن الله تعالى حي عليم قدير مريد سميع بصير متكلم ، والظاهر أن مبادئ الاشتقاق فيها صفات معلومة واقعية ، وليست اعتبارية ، كوحدة الواحد ، ووجوب الواجب ، وأمثالهما •

ثم الحياة صفة توجب الحس والحركة الإرادية ، وباقي الصفات كالتوابع لها • ولذلك يسميها العلماء إمام الصفات • وليست مشروطة بالبيئة والاجزاء والأجهزة التي تحتاج إليها الأحياء في الحياة •

والعلم صفة ذاتية أزلية ، يكشف جميع ما يمكن أن يكشف مما هو واجب أو ممكن خاص أو ممتنع ، مفهوماً وصورة في الجميع ، ومصدقا وذاتاً في الواجب والممكن • وأما الممتنع فلا مصداق له حتى يعلم ويتعلق به الإدراك •

فجمع النقيضين ورفعهما وجمع الضدين يعلم مفهوما لا ذاتهما ومصداهما ، ولا يكون ذلك جهلاً ، لأن الجهل عدم العلم بما من شأنه أن يعلم ، فإنك إذا علمت شيئاً لا يمكن تعلق علمك بعدم العلم به ،

واجباً أو ممكناً أو ممتنعاً	فعلم ربي لم يزل متسعاً
سيان فيه الغيب والشهادة	تعبيرنا بالمفردين عادة
يكفي لعلمه القديم الذاتي	في أزل بكل كائنات
علم بذاته وبالصفات	وأنه علة الممكنات
له إرادة هي التخصيص ^(٢)	لأحد الأمرين ذا محروس
بعد تعلق لعلم الباري	بدون إجبار واضطرار
إرادة الباري لها ركون	لكل ما قد كان أو يكون

وذلك مما صرح به العلماء ، ومنهم السيالكوتي في تعليقاته على الخيال
في البحث عن التسلسل • فيعلم الباري تعالى جميع الأشياء ، ولا غيب
عنده ، وتعبيرنا بالغيب لما غاب عنا ، وبالشهادة لما حضر ، إنما هو
بالنسبة إلينا لا بالنسبة إلى ذاته تعالى •

ويجب أن نعلم أن علمه تعالى ذاتي وثابت له أزلاً وأبداً ، وليس
كسبياً ؛ لأن الكسبيات في ما سبق الجهل به وذلك ممتنع في ذاته
الباري •

وعلمه تعالى حضوري فيما هو موجود أو قد وجد أي يعلمه بذاته ،
وعلمه بما سيوجد علم منه بصورته ؛ لأن الموجود قبل وجود الشيء
صورته ، والباري تعالى عالم بذاته وصفاته الذاتية والسلبية والفعلية ،
ولما كان عالماً بأنه خالق وعلة لكل شيء حادث كفاه في علمه بجميعه
علمه بصفته خالقيته •

(٢) قول الناظم : له إرادة • يعني أن الله تعالى له صفة الإرادة ، وهي
التخصيص والتعيين لأحد الأمرين من الوجود والعدم ، في كل ممكن

ما شاء الله العليم كانا ما لم يشأ لم يك مستبانا
وحسبما خصصت الإرادة وهي لعلمه بطبق العادة
يعلم في الأزل أعمال الوري^(٣) حسب اختيارهم كما يرى
كذا يريد خلقه في الأزل خلقاً مؤجلاً الى المستقبل
فعلمه حاكٍ وتابع لما نعمله كمنظر قد رسماً

أراد وجوده أو عدمه • وإرادته تابعة لعلمه ، لأن ما أراده هو الذي علمه مقارناً للحكمة ، وهذا التخصيص في أفعال الحكيم المطلق لا يحتاج إلى مخصص مطلقاً ، لأن المخصص علمه بالمرجحات ، وهذا معه لا ينفك عنه • وأما في الممكنات فقد تحتاج الإرادة إلى المخصص كما في إرادة سلوك أحد الطرفين لقربه أو سلامته ، وقد لا يحتاج إليه كما في إرادة سلوك أحد الطرفين المتساويين مطلقاً •

وأساس المخصصات يرجع إلى العلم ، ولو كان الرجوع الى العلم ، واقتضاؤه شيئاً يستلزم الاضطرار لم يبق مختاراً أبداً ، لا من الممكنات الخاصة ولا من الواجب ، فدقق في الموضوع •
وتبعية إرادته تعالى لعلمه هي التي تسببت في أن ما شاء الله كان • لأن تأثير القدرة تابع للأرادة ، وهي تابعة للعلم ، وعلمه بوقوع شيء لا يتخلف عنه ذلك الشيء •

(٣) قول الناظم : يعلم في الأزل أعمال الوري : بيان للمقام ودفع لشبهة أوردها بعض المتفلسفين حاصلها انه لما كان علم الله بما سيقع لا يتخلف عنه المعلوم لم يبق للمكلفين اختيار في الاعمال ، لأن ما تعلق به علم الباري يجب أن يجري كما علم ، ودفعها بان الله تعالى علم أن المكلف في المستقبل يختار ما يفعله من أعماله حسب رغبته لا بإلزام الله تعالى إياه •

فلا تلوموا ما عدا أنفسكم في عمل بمنكر حبسكم
 قدرته اختصت بمكنات^(٤) وعلمه بكل شيء آتبي
 مفهومه مصداقة البراق^(٥) والمستحيل ماله مصداق
 وله سمع كل صوت يسمع^(٦) سراً وجهراً يقرع أو يقطع

(٤) قول الناظم : قدرته اختصت الخ : بيان لما قرره الاصوليون : أن دائرة العلم أوسع من دائرة القدرة ، فإن العلم شامل للواجب والممكن والمتنع ، وأما القدرة فلا تتعلق إلا بالممكنات الخاصة . وذلك أن الواجب غير قابل للتغير . والتأثير فيه ممتنع . والمتنعات لا يمكن وجودها فبقى الممكن الخاص أثراً للقدرة لا غير .

(٥) قول الناظم : مفهومه الخ : يعني أن الواجب والممكن معلومان مفهوماً ومصداقاً ، وأما المتنع فالمعلوم مفهومه ، ولا مصداق له حتى يعلم .

(٦) قول الناظم : وله سمع مع البيت التالي : بيان لصفتي السمع والبصر . وأنها صفتان ، ولا يدخلان في صفة العلم ، كما روي عن الامام الأشعري . ولكن اعتقادي أن الامام لم يرجعهما إليه ، بل أراد أن لا يخوض الناس في الكلام على الجهاز المعترف في الشاهد للسمع والبصر ، ويكتفوا باعتبار أنهما كالعلم بالمسموعات والمبصرات وإلا فعبارات الإمام أعلى من أن يتحير في الموضوع ويعتبر الحاجة إلى الجهاز المؤلف في السمع والبصر فإنه قائل بأنه يجوز أن يرى أعمى في الصين بقة في أندلس .

ومما ينبغي أن يعلم المؤمن أن هذه الصفات في الباري تعالى لا تحتاج إلى ما تحتاج إليه غيره . فالحياة لا تحتاج إلى البنية والمزاج ، والعلم لا يحتاج إلى النخاع والدماغ وغيرهما مما اعتبر شرطاً للعلم في العادة . وكذلك القدرة والإرادة غير محتاجة إلى جهازهما في الشاهد ومثلها

وليه وصف بصر لما يرى لو ذرة كانت بما تحت الثرى

« الكلام »

كلام ربي صفة نفسية^(١) قديمة كاملة قدسية
ضد سكوت النفس والبكم الذي يكون في أشخاصنا عيباً بذى

السمع والبصر والكلام • وبذلك يخلص الانسان من أبعاد الأوهام •
ومما يلزم ان النسبة بين الصفات تباين ذاتاً ومفهوماً ، فقد علمت
مفهوم كل منها وإن لها مفهوماً خاصاً غير ما لأخواته ، وكل منها
له مصداق غير ما لغيره • ولذا قالوا : القدرة تابعة للإرادة وهي تابعة
للعلم وهو تابع للحياة كما هو مشهور •

ومما يهم علمه أن الإرادة غير الرضا والمحبة ذاتا ومفهوماً وبينها
عموم وخصوص من وجه بحسب التحقق • فقد تجتمع الكل كما في
إيمان المؤمن ، فهو مراد ومحبوب ومرضي ، وتفرق الإرادة عنهما في
كفر الكافر ، فإنه مراد تعلق به الإرادة لعلمه تعالى بسوء أعمال ذلك
الكافر ، ولا يرضى به الباري تعالى ولا يحبه • وافتراقهما في إيمان
الكافر ، فإنه مرضي ومحبوب لو كان يوجد ولم تعلق به الإرادة ،
فخذ هذا حتى لا تقع في بعض الاشتباهات •

الكلام

(١) قول الناظم : كلام ربي الى آخره • شروع في بيان أن الكلام صفة لله
تعالى • وهو اسم المصدر بمعنى التكليم • وقد نسبته الله الى ذاته
الشريفة بقوله : « وكَلَّمُ اللهُ موسى تكليماً » (النساء / ١٦٤) •
وفي قوله : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب ،
أو يرسل رسولاً فيوحى إليه ، يأذنه ما يشاء » • ومعنى نسبته إليه

لا حرفَ لا صوتَ ولا تركيباً حتى ترى في جمعها ترتيباً
فان بكم النفس عيب جارى ليس بمعقول لذات الباري

تعالى أنه صفة من صفاته ، حيث ان وجوده له تعالى كمال له وسلبه
عنه نقص •

وهو إما كلام لفظي مركب من الحروف الحاصلة من تقطيع الهواء
عندنا ، وضده السكوت والبكم عن النطق وهو عيب • وإما كلام
نفسي ، ليس من قبيل الحروف والأصوات ، ومبدأ للكلام اللفظي ،
وضده البكم والسكوت النفسي والآفة ، وهو نقص في حقه تعالى ، يجب
سلبه عنه •

ونحن — معاشر أهل السنة — نقول بالكلام له بالمعنيين حقيقة على حجة
انه كمال وضده نقص وعيب •

ولاشك أن الكلام اللفظي من توابع الكلام النفسي ، أي من لم
يكن له الكلام النفسي لا يمكن ان يكون له كلام لفظي • وان الكلام
النفسي صفة قديمة قائمة بذاته وليس حياة بداهة ولا علماً ، لانه يكون
بدون الكلام ومعه ، وقد يتكلم شخص بدون علمه بحقيقة ما يدل عليه
الكلام ، وقد يعلم شيئاً ولا يتكلم به ، وليس صفة القدرة ؛ لان الكلام
النفسي كما ذكرنا قوة نفسية ، وتعتبر كمالاته تعالى وأزلياً • ولو كان
هو القدرة لكان عبارة عن التأثير في الاشياء حسب الارادة ، وليس
الكلام النفسي ذلك • بل عبارة عن مبدأ المفاهيم المخزونة التي تعبر
عنها بالكلام اللفظي • وليس ذلك المبدأ من آثار القدرة ، لأن القدرة
تؤثر وفق الإرادة فلو كان الكلام النفسي من آثارها لكان حادثاً بتأثير
القدرة التابعة للإرادة • والحوادث لا تقوم بذاته تعالى مع انه يلزم

كلامه اللفظي كل ما نزل
وعلماء الفن قالوا إنه
مركب من أحرف مرتبة
ألهمه الله لدى التنزيل
بدون دخل له في ذاك ولا
بنهج ترتيب له ملحوظ
لذلك قالوا حادث لكنه
كى لا يؤدي في هوى العقول
نعني به صفته النفسية
وذلك اللفظي كلام الله
لأنه مخلوقه بالشخصي
أو جن أو سائر ما سواه
قال الجلال العالم الدواني^(٢)

من ذاته بأمره عز وجل
صوت وحرف مثل ما نقوله
لكل حرف مالها من مرتبة
روح الأمين الملك جبريل
دخل لغيره إذا قد أنزلا
مرقم في لوحه المحفوظ
تأدياً لا يذكر الوصف له
الى حدوث المبدأ المدلول
فيوهم الحدوث في القدسية
مشترك لفظي بلا اشتباه
بدون دخل ملكٍ أو إنس •
فهو كلامه تعالى الله
بقدم الالفاظ من تبيان

أيضاً خلو ذاته تعالى من تلك الصفة في الأزل وذلك مستحيل • فثبت
أن الكلام صفة ذاتية أزلية ممتازة عن باقي الصفات • لبداهة أنه ليس
الارادة ولا السمع ولا البصر • وثبوته له تعالى أزلاً كما له تعالى ،
وموجود قديم قائم بذاته • وأما الكلام اللفظي فصفة له تعالى ايضاً
قديم ، كما سنذكره بعد إن شاء الله تعالى • ونذكر أنه صفة له تعالى
وازلي كالكلام النفسي • مع العلم أنه ما دام صفة له تعالى يجب اتصافه
بالقدم لامتناع اتصافه بالحوادث •

(٢) قول الناظم : قال الجلال الدواني الى آخر الصحيفة • أقول : هذا
شروع في بيان بعض آراء حول كلام الباري تعالى ، وقدم اللفظي
منه • معلوم عند الاصوليين ان المعتزلة انكروا الكلام النفسي ، وخالفوا

كلامه اللفظي معلوم له من أزلٍ لأبدٍ وعنده
يكفي وجوده بوصف القدم في علمه المقدس المكرم

الإجماع على إثباته لله تعالى • ولذلك أنكروا الكلام اللفظي على كونه
صفة لله تعالى ، وحملوا قوله تعالى « وكلم الله موسى تكليماً »
الآية على المجاز • أي انه خلق الكلام اللفظي مع شهادة العقل السليم
على أن معنى كون الباري متكلماً كون نفس الكلام صفة له تعالى •
وشبهتهم ان الألفاظ حروف متعاقبة حادثة وهي ليست صفة له تعالى ،
وإنما صفته خلقه تعالى وهو صفة فعلية •

والجمهرة الكثيرة من الأصوليين أهل السنة أيضاً قالوا : إن
كلامه النفسي قديم • وأما الكلام اللفظي فحادث • ودليلهم ما ذكرنا من
دليل المعتزلة • وأساس الشبهة قياس الباري على الناس من جهة أن كلامنا
ألفاظ مرتبة حادثة • حتى قال السعد في شرح العقائد النسفية : إنا لا
ننقل صفة الكلام اللفظي بدون ترتيب بين الألفاظ • ونقول :
بحدوثها ، مع أنا نقول : ان لفظ كلام الله تعالى حقيقة من حيث
الإسناد إليه لأنه لا علاقة للملك والجن والإنس به ، وإنما هو ألقاه
الباري تعالى إلى الملك ، وأتى به الرسول •

وقال الدواني بقدّم الألفاظ على أساس أنها معلومة للباري تعالى ،
وما دامت معلومة له فهي قديمة أزلية ثابتة في علمه تعالى • واعترض
عليه الأصوليون : بأنها الصورة العلمية لكلامه اللفظي لا نفس
الألفاظ •

وهناك رأي تعرض له صاحب المواقف ، حاصله أن الكلام معنى
قديم قائم بذاته ، والمعنى يشمل الصفة النفسية لأنها من المعاني ، كما
يشمل الألفاظ ، لأنها أيضاً من المعاني القائمة بذاته ، فالمراد بالمعنى هو

فاعترضوا عليه قالوا : إنه
والبحث عن كلامه الملفوظ
وعلمه بذلكم معلوم
قلت بعون الله ذي الجلال :
فأولاً منشأ ذي الأقوال
على صفاتنا وذا اشتباه
وثانياً ثبت بالتواتر
كذا باجماع من الأعلام
وذاك وصفه ومنه يلزم
علم أن كلامه قديم
« وكلم الله » من القرآن
ولا مجال للمجاز هاهنا
فشرحه بالخلق للكلام
والسر أن ضده بكم خرس
فالبكم والخرس بالإطلاق

صورته العلمية لا نفسه
وخطه في لوحه المحفوظ
وبكلام غيره محتوم
إن لدينا أحسن المقال
قياس وصف الله ذي الجلال
عن ذلك القيس تعالى الله
عن الرسول سيد الأكابر
أن الإله صاحب الكلام
قدم وصفه وذا محتّم
وصف كمال قدره عظيم
نقرأه بكل اطمئنان
لا منع من حقيقة مينا
شرح بعيد عن هدى الإسلام
عيب ونقص عند من له نفس
ليسا بلائقين للخلاق

ما قام بالغير وليس المقصود به المفهوم ؛ فالألفاظ أيضاً كالصفة النفسية
قديمة قائمة بذاته • ولا يلزم من ترتب الألفاظ عندنا ترتبه عنده •
وتحوّل هذا الوجه إليه ، كما أنا تؤمن بصفات المعاني كلها بالحياة
بدون حاجة إلى المزاج والبنية • وبالعلم بدون الحاجة إلى الدماغ
والنخاع • وبالقدرة بدون آلات البطش من اليد وغيرها • وبالإرادة
بدون الشوق والانبعاث • وبالسمع والبصر بدون ما يحتاجان إليه ،
وهذا الرأي هو الذي اعتقده أنا ، وذكرته في النظم ثم وجدت ما في
المواقف على وفاقي ، فخذ ما ألقينا إليك ، وإياك وقياس صفات الله على
صفاتنا •

ووصفه النفسي^(٣) دون منته وصف قديم عند أهل السنة
فيقتضي القـدم لللفظي لأنه من مقتضى النفسي

(٣) قول الناظم : ووصفه النفسي الخ : هذا معنى ما اشتهر أن الكلام
النفسي قديم ، وأجمع عليه الأمة الإسلامية من السلف قبل ظهور البدع
والأهواء • وإن شئت قلت : إن الله أسند التكليم في القرآن إلى
ذاته ، والمتبادر منه أن المسند ما يسمى عرفاً بالكلام وهو الأنفاظ الدالة
على المعاني ، ولما كان الكلام اللفظي لا يرجع إلى السمع والبصر والحياة
والعلم والإرادة وفي إرجاعه للقدرة اشكال ، قررنا أن مرجع الكلام
اللفظي هو الكلام النفسي • ولما امتنع قيام الحوادث بذاته تعالى حكمنا
بقدم اللفظي والنفسي كليهما •

ثم إن لفظ الكلام مشترك بين النفسي واللفظي مما نزل به الروح
الأمين على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما حفظه الأمة الإسلامية
أو كتبوه أو علموه وتعلمه الناس ، كما أنه مطلق على القليل والكثير ،
فالكلام أو القرآن مستعمل بطريق الاشتراك المعنوي للقدر المشترك
بين الجميع •

فمن أنكر كون الكلام المتلو عندنا كلام الله ، أو أن المكتوب في
المصاحف أو الاجزاء ، أو أن ما قرأه جبريل على الرسول صلى الله
عليه وسلم كلام الله تعالى فهو كافر • أما الكلام النفسي فظاهر ، وأما
الكلام اللفظي فلأنه على اعتبار قدمه فهو كالكلام النفسي ، وأما على
تقدير القول بحدوثه فلأنه ليس لغير الله تعالى علاقة ، ومنشئية له ، فإنه
ليس كلام الملائكة ، ولا الجن ، ولا كلام البشر ، وإنما هو من الله تعالى
سواء بأية جهة من الجهات تلقاه جبريل من الله تعالى • وهذا الحكم
شامل لكل كلام من الله تعالى نزل على أي رسول من المرسلين ، من

لو قلت بالحدوث للألفاظ
وهو قيام الحادث بذاته
فكل ما يفهم من كلام
وكله معنى قديم الشان
وكيف كان الربط للألفاظ
والمنع من قيام الألفاظ به
إذ كون الألفاظ بترتيب لنا
إذ ليس ترتيب له بواجب
وليس واجباً علينا علمه
فرؤية المؤمن لله العلي
ومالهها شروطها المعتادة
وكل أوصاف له ذاتية
حياته ليست بينة ولا
إرادة الباري بدون الاشتاء
قدرته ليست من الأعضاء ،
بصره حق بدون حدقه

أتاك عيب منكر اللحاظ
جلّ عن العيب وعن سماته
لفظاً ومعنى قام بالعلام
قام بذات ربنا المنان
بذاته يفهم للحفظاظ
مرتفع عن عاقل متبته
لا يوجب الترتيب في إلها
عند قيامه بذات الواجب
كباقي الأوصاف القديمة له
ثابتة في جنة وتنجلي
لرؤية الشاهد حسب العادة
ليس لها شروطها العادية
علمه بالمخ له قد حصل
تتبع علمه بدون الانتهاء
وسمعه غني عن الهواء
وكلها حقيقة محققة

سيدنا آدم إلى سيدنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه
عليهم أجمعين •

ومما يجب أن يعلم ويعتقد أن كنه صفات الله تعالى مثل كنه ذاته
في أنه غير معلوم لغيره تعالى • سواء قلنا بامتناع العلم به أو بتعسّره
كما قال القائل نظماً :

كنه ذاته مثل الصفات

غير معلوم للمخلوقات •

فلا تقس صفات ذات الباري
صفاته كالذات في اكتناه
وعينها كالمتشابهات^(٤)
ولو رأيت الفكر عنها عاجزا
اذ دركها ممتنع للممكن
وأدرج الكلام في الكمالات
ليس مبرر لأي جاحد
وذلك القياس ما فيه قبس
إن قلت^(٥) الترتيب في الألفاظ
خلافه ممتنع في اللفظ
اجبت ذاك لازم للفظنا
مثاله كسائر الصفات
وحاصل الكلام كل ما يرى
للفظه القيد لا للفظنا

على صفات الممكن المختار
تبعد عن كشف العبيد اللاهية
تأويلها عند جناب الذات
آمن بها ولا تكن مجاوزا
ففوض العلم الى المهيمن
اثبت كلامه بكل حال
إلا قياس غائب بشاهد
من نور حق بل ضلال وتعس
من لازم الذات على اللحاظ
فيستحيل قديم للفظ
لا لوجود اللفظ عند ربنا
فلا تكن في شبهة الظلمات
من عادة الألفاظ فيه لا يرى
وانظر الى الحق بعين لحظنا

(٤) قول الناظم : وعينها كالمتشابهات : يعني أن إسناد تلك الصفات إليه تعالى كإسناد باقي الأمور المستفادة من متشابهات الآية • فكما أنه يجب الإيمان بها ، وإحالة تأويلها الى الله تعالى وجب الإيمان بإسناد الصفات إليه تعالى ، وتحويل كیفيتها إلى علمه تعالى • وذلك هو الطريق الأسلم لكل إنسان • وما دام الفكر عاجزاً عن غير ذلك فلا تتجاوز ولا تتعب فكرك ، وشرح صدرك بالآيات الواردة في الموضوع •

(٥) قول الناظم : إن قلت مع جوابه • معناه أن اللوازم المعلومة لنا في الصفات الذاتية والصفات الفعلية ، كالرؤية من لوازمه فيما يدور بيننا لا مطلقاً ، فإن لوازم الحادث كملزومه ، ولوازم القديم كملزومه أيضا •

ثم انظرون أن كيف ربي علم^(٦) آدم الأسماء وقد تعلم
 ألم تكن ألفاظ تلك الأسماء مأخوذةً من ذات حق أسمى؟
 ألم تكن ألفاظها كلامه وقارنت الفاضله إلهامه
 وقد علمتم صوت تسبيح الحصى^(٧) في يد أحمد وبعض الخلفاء

(٦) قول الناظم : ثم انظرون ان كيف ربي علم • معناه أن ظاهر قوله تعالى :
 « وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا » (البقرة / ٣١) أنه سمع أسماء
 الأشياء كلها من ربه تعالى ، وإن كانت كيفية تعليمها له مجهولة ، وهناك
 ثبت أن الله تكلم بتلك الأسماء ، وفهمها منه عبده آدم عليه السلام •

(٧) قول الناظم : وقد علمتم صوت تسبيح الحصى • يعني أنه ثبت
 عندكم أنه قد سبحت الحصى في كفه صلى الله عليه وسلم • وأنه سمع
 ذلك التسبيح مع أنه لا لسان للحصى فكيف تحقق التسبيح ، وهو
 بالألفاظ المعينة بصورة تخالف العادة وتخرقها ؟ كما أنه علمتم أن الله
 تعالى نادى الجبال ودعاها للتسبيح مع عبده داود على نبينا وعليه
 السلام ، مع أن الجبال ليس لها اللسان ، ولا إبداء الحروف من
 مخارجها •

وقد علمتم أن الله تعالى أخبر بأن كل شيء يأتي بالتسبيح لله • وأن
 هذا التسبيح ليس بلسان الحال بقرينة قوله تعالى : « وَلَٰكِن
 لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَكِيمًا غَفُورًا » (الاسراء / ٤٤)
 لأن فهم إسناد التسبيح إلى الجوامد بلسان الحال مفهوم وسهل لكل
 عاقل ، وإنما أراد أنها تأتي بتسبيحات بعبارات مفيدة ، ولكن أتم
 لا تفقهون كيفية التسبيح • ومعنى ذلك كله أن الاتيان بالكلام اللفظي
 بغير الطريقة المعتادة ثابت ، فليكن كلامه اللفظي هكذا •

ورحم الله من قال : ان ثبوت واجب الوجود واتصافه بالكمال التام

مع عبده داود بالتصريح
سبح بالتصريح لا التلميح
فكيف كان ؟ هات بالبيان
« لا تفقهون » حجة الكمال
لوصفه اللفظي والنفسي
عبر بالمعنى بتعبير حري
بالغير للأمرين عند العالم
في سلطة القدرة للكلام
والبعض ذو تعلق محقق

ودعوة الجبال للتسبيح
وكل شيء جاء بالتسبيح
وليس من تلفظ اللسان
وليس تسبيح لسان الحال
فآمنوا بالقدم القدسي
فرحم الله الامام الاشعري
ويشمل المعنى بمعنى القائم
فائدة رافعة الأوهام
صداته بعض بلا تعلق^(٨)

ثابت • ومن جملة الكلام المخالف للسكوت والآفة الكلام اللفظي ،
فيثبت له تعالى • فكما آمنت بثبوت ذات الواجب آمنوا بثبوت صفاته
الكمالية ، ومنها الكلام اللفظي • ولا يمنع المؤمن من هذا الإيمان جهله
بكيفية ثبوته للباري تعالى ، كإيمانه بحياته وعلمه وباقي صفاته
بدون معرفة كيفية اتصافه تعالى بها ، هذا والله الهادي إلى الصراط
المستقيم •

وكلنا مؤمن بأن اللوح المحفوظ ، وكل ما رقم فيه حادث ، لكن
الكلام اللفظي المرقوم في اللوح قديم قائم بذاته ، كما يعلم هو أن
جبريل حادث ، وأن الالفاظ التي قرأها وقرأها الرسول صلى الله عليه
وسلم وأمته من حيث تلفظنا بها حادث ، ولكنها بالنسبة إلى الباري
تعالى قديمة قائمة بذاته ومجردة عن موجات الحدوث ، لكن لا نعلم
كيفيته ونحولها إلى الله العلي العظيم •

(٨) قول الناظم : صفاته بعض بلا تعلق • اراد بهذا البعض كل
الصفات الا صفة الحياة من العلم وغيره • قال المحقق

تخلو حياة الحق من تعلق بأي أمر سابق أو لاحق
لعلمه تعلق في الأزل على الحكاية لكل حاصل

السيالكوتي في تعليقاته على الخيالي حاصله : إن تعلقات علمه على
نوعين :

تعلقات في الأزل ، من غير أن يكون مقيداً بالزمان شاملة لجميع
ما يمكن تعلق العلم به من الأزليات ، لكن تعلقاته الأزلية بالمتجددات
باعتبار أنها تتجدد من غير أن يكون مقيداً بالزمان ، بل على وجه كلي
كما يتعلق بالأمور الكلية الغير المتجددة على ما مر تحقيقه ، وهذه التعلقات
قديمة غير متناهية بالفعل ضرورة عدم تناهي متعلقاتها ، أعني جميع
ما يمكن أن يعلم من الأمور الكلية الأزلية والمتجددة لشموله الممكن
والممتنع والواجب .

وتعلقات فيما لا يزال مختصة بالمتجددات باعتبار أنها متجددات في
زمان الحال والاستقبال . وهذه تعلقات حادثة متناهية بالفعل ، ضرورة
حدوث متعلقاتها وتناسلها سواء كانت مجتمعة أو متعاقبة في الوجود ،
لأن كل ما هو موجود متناهي ، ولا يلزم من تغير المتجددات بحسب تجدد
الأزمان وتبدلها تبدل ذات الواجب من صفة إلى صفة ، كما زعمت الفلاسفة ،
لأن ذلك لا يوجب تغيراً في صفة العلم ، بل في تعلقاتها التي هي أمور
اعتبارية وإضافية ولا فساد فيه . وهذا ما عليه الجمهور . وذهب
بعض المحققين إلى أن علمه تعالى بالمتجددات بأنها وجدت ، والعلم بأنها
ستوجد واحد فلا حاجة إلى إثبات تعلقات حادثة لعلمه تعالى
بالمتجددات باعتبار وجودها ، فإن من علم أن زيداً سيدخل الدار غداً
فعند حصول العلم يعلم بهذا العلم أنه دخل الآن الدار ، إذا كان علمه
هذا مستمراً بلا غفلة مزيلة له . وإنما يحتاج أحد إلى علم آخر متجدد ،
فيعلم أنه دخل الآن بطريان الغفلة عن الأول والباري تعالى يمتنع الغفلة

وعلمه القديم شامل له
وشامل لذاته بالذات
ليس له علاقة التأثير
لكنه علاقة الحكاية
فالعلم يحكي صورة الكلام
تعلق الارادة القديمة^(٩)
ولكلام غيره فانتبهوا
كنهاً ووجهاً وعلى الصفات
في أي شيء فافهموا تقريري
فادر كلامي دون ما شكايه
نفساً ولفظاً حسب المرام
يتبعها بصورة سليمة •

عليه فيكون علمه بأنه وجد عين علمه بأنه سيوجد ، وإنما قال متناهية
بالفعل لأن تلك التعلقات غير متناهية بالقوة ، بمعنى أنها لا تنتهي إلى
حد لا يتصور فوقه تعلق آخر ، لأن متعلقاته أيضاً غير متناهية بهذا
المعنى على ما مر في تحقيق : أن مقدورات الله تعالى غير متناهية ،
اتتهى المقصود من عبارته •

قول المحقق : وهذه التعلقات قديمة غير متناهية • • سره أنه
علم للذات الأزلي الأبدي بمجموع ما يمكن العلم به وهذا العلم غير
متناه •

(٩) قول الناظم : تعلق الارادة القديمة • يعني أنه اذا تعلق علم الباري
بوجود شيء في المستقبل ، تعلقت إرادته بوجود ذلك الشيء على حسب
العلم فيوجد قطعاً • وإذا لم يتعلق بوجوده أي علم أنه لا يوجد لم
تتحقق الإرادة لوجود ذلك ولا تتعلق به • وهذا معنى الحديث
الشريف : « ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن » •

وأما تعلق قدرته بالأشياء فهو مبني على عدم اعتبار التكوين صفة
لله تعالى ، وحينئذ يكون لقدرة الباري تعالى بالنسبة إليها تعلقان :
تعلق ازلي غير تنجيزي وغير مؤثر بالفعل لأن القدرة تابعة للإرادة
التابعة للعلم ، فكيف جاء السابق يأتي اللاحق • وتعلق حادث في ما

أي أن علمه بفعل إذ جرى
لكن قدرة الإله الباري
معلقاً في أزل وإنما
فقدرة الباري لها تعلق
كذلك في ترقيمه في اللوح
لكنها ليس لها تأثير
لأنها لازمة للنفسي
وليس للقدرة تأثير بدا
فخرج الكلام عنها مطلقاً
فعلقة اللفظي بالنفسي
وليس للعلم وللأرادة
أما تعلق الكلام النفسي

تتبعه إرادة بلا مـ
بالخلق والتأثير في الأغيار
ينجّز في خلق ما قد علما
في وحي الألفاظ على ما حققوا
بنهج ما بلغنا من شرح
في نفس ألفاظه يا بصير
فهي قديمة ووصف قدسي
في ما هو القديم قطعاً أبداً
نفساً ولفظاً حسبما تحققنا
قديمة بالمنهج المرضي
علاقة في الذات والوجادة
بذلك اللفظي فأمر قدسي

لا يزال ، للتأثير في الشيء المراد وجوده حسب علمه تعالى به .
وأما إذا اعتبر التكوين ، فالتعلق التجيزي من التكوين ولا حاجة
إلى تعلق القدرة بذلك الشيء .

وأما السمع والبصر ؛ فإذا رجعناهما إلى العلم فالتعلق كما سبق في
العلم . وأما إذا لم نرجعهما إليه فلهما تعلق بالمسموع والمبصر عند
وجودهما ، وذلك التعلق استقبالي . وأما بحسب الأزل فيكفي تعلق
العلم بهما على ما سيكونان .

وأما الكلام فتعلقه بما يتكلم عنه الباري واضح بالأمر والنهي
والإخبار عنهم . وبيان عاقبة أعمالهم ، كتعلق السمع والبصر بما يسمع
ويبصر من المسموعات والمبصرات ، وكذلك تعلق الكلام النفسي باللفظي
بكونه مبدءاً له ومتبوعاً .

كلاهما فرد من الصفات كذا أخذناها من الصفة
ولا مجال لقيام وصف (١٠) من الحوادث به في العرف

(١٠) قول الناظم : ولا مجال لقيام وصف • معناه إنا نؤمن بأن الله تعالى واجب الوجود ، وموصوف بكل صفة كمال أزلاً وأبداً ، ومنزه عن الصفات التي يشعر ثبوتها بنقص في حقه تعالى •

وأما اتصافه أو إسناد التعلقات إليه فلا بأس بها ؛ لأنها ليست صفات ذاتية ، بل تعلقات الصفات ، وهي أمور اعتبارية •

ثم يقول : ويطلق كلام الله في العرف الشرعي على ما مر من الكلام النفسي المبرء عن الحرف والصوت الذي ضده البكم والخرس والآفة النفسية التي هي نقص في حقه تعالى • وهي صفة واحدة بالشخص لا تعدد فيها ، وتقسيمها الى الأمر والنهي وغيرها ، إذا سلّمناها ، فهي من حيث تعلقاتها كقوة الإبصار ، وهي واحدة وتعلق بالأبيض والأسود •

ويطلق الكلام أيضا على الكلام اللفظي ، لكنه بالنسبة إليه قديمة قائمة بذاته بدون وجود مانع من قيامها به على وجه يعلمه هو ، كما أنه حي وعليم ومريد وقدير وسميع وبصير بدون تحقق لوازمها الموجودة عندنا عند الباري تعالى ، ونحولها إلى علم الله تعالى وكذلك كل ملفوظنا ومقروئنا ومرقومنا عندنا تتحقق بوجه يقارن الحدوث ، ويتحقق في الباري بوجه القدم ، كما يقال إن تلفظنا وترقيمنا حادث والألفاظ المرقومة بالنسبة إليه تعالى قديمة •

وإطلاقه على ما مر إما بصورة الاشتراك في المعنى أي أن الكلام موضوع لما هو يسمى كلام الله تعالى كلاً أو جزءاً بادئاً ومبدئاً ، أو بصورة الاشتراك اللفظي ، أي أنه وضع من طرف العباد مرة للكلام

ويطلق الكلام في العرف على ما مر من كلامه جل علا
نفسياً أو لفظياً أو مرقوما لله أو لغيره معلوما

النفسي ومرة لللفظي وهكذا ، ولكن الصورة الأولى أظهر وأنزه ؛ لأنه
بعيد من علاقة وضعه لها من جهتنا • فيكفر من أنكر كون شيء منها
كلام الله تعالى • لأن حكم الدال والمدلول ، واللفظ ومبدئه عندنا
واحد ، وعند الله تعالى كذلك على ما ذكرناه •

وكذلك ألفاظ الأحاديث القدسية ، فإنها كما حققه الشيخ ابن حجر
الهيتمي وسلمها العلماء الأفاضل مثل القرآن نزلت من الله تعالى بواسطة
الملك ، لكنها ليست معجزة كألفاظ القرآن ، ولا متعبداً بتلاوتها ،
ولا يحرم مسها بالحدث ، وكل حديث قدسي لم يبلغ درجة الإجماع
لا يكفر من أنكره أي أنكر نسبته إلى الله تعالى ، هذا هو الحق الحقيق
بالتسليم •

ومما ينبغي علمه لدفع الاشتباهات ، ان قول العلماء رحمهم الله
تعالى بأنه تواتر عن الرسل الكرام أن الله متكلم ما أرادوا به أنه
كانت جملة واحدة سمعت من جميع الرسل عليهم السلام ان الله تعالى
متكلم ، لأن الرسل الكرام كانوا على السنة ولغات مختلفة حسب
الامة التي أرسلوا اليها كما قال تعالى : « وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا
فيها نَذِيرٌ » (فاطر / ٢٤) • فذلك التواتر مستنع عادة ، بل أرادوا أنه
ثبت من رسولنا صلى الله عليه وسلم على ضوء ما نزل في القرآن الكريم
من نزول الصحف عليهم أن الرسل متفقون على مفهوم واحد وهو
أن الله تعالى متكلم • ومعنى ذلك أن لله تعالى صفة الكلام • لانه كمال
وضده وهو البكم والخرس والسكوت نقص ، والله منزّه عنه •

وبعد ثبوت أن الله له صفة الكلام ، علموا أن الكلام ليس صفة الحياة،

بوصفه الخاص لمعنى واحد أي ما يسمى بكلام الماجد
أو باشتراك لفظة الكلام في كلها بحسب المقام
فيكفر النافي لذا الاطلاق معذب في ساعة التلاقي
لأن حكم الدال والمدلول موحد في عرفنا المعقول
إلقاؤه في نفس جبرائيل مثال ما لآدم الجليل
علم آدم الأسامي كلها أي كل ما دل على معنى لها

ولا العلم ولا الإرادة ولا القدرة ولا البصر ، ثبت أنه
صفة غيرها ، وما رآه المعتزلة من أن التكلم بمعنى القدرة على الكلام ،
فالكلام هو ذلك فقط ، وليس الكلام اللفظي صفة للباري ، وإنما صفة
القدرة على خلق الكلام في الهواء ، أو شجرة مثلاً ، فهو من البدع
المختلفة بعد عهد الرسول والصحابة ، لأن العدول من المعنى الحقيقي
المتبادر إلى المعنى المجازي أي خلق الكلام لا داعي ولا موجب له .
وكذلك إنكارهم للكلام النفسي أيضاً ؛ لأن ضد الكلام النفسي هو
الخرس النفسي ، وهو محال في حقه تعالى ونقص تعالى عنه ، وهو ليس
من قبيل الحرف والصوت ، ولا مانع من قيامه بذاته ، بل يجب قيامه
به ؛ لأن ضده نقص له .

بقي قيام الكلام اللفظي بذاته ، والذين منعوا من قيامه به شبهتهم
أنه مركب من الحروف والأصوات المتعاقبة الحادثة . والمحققون رفضوا
مبدأ هذه الشبهة من حيث أنه قياس الغائب على الشاهد ، وذلك
فاسد ، بل قيامه به على وجه يليق به تعالى ، كقيام الحياة والعلم
والسمع والبصر بدون الحاجة إلى ما تحتاج إليه في الشاهد ، فهو قائم
به على وجه يليق به . وإلا يلزمهم تبي الرؤية لله تعالى في الآخرة ، مع
إجماع اهل السنة عليها ، فأمن بقيام اللفظي كالنفسى وقدمه مثله
تأمن من مخالفة ظواهر الكتاب والسنة السنية .

مفرداً أو مركباً معروفاً
فانظر الى شرف الأنبياء
جاءت من الله لمولى الإنس
معجزة فافهم وصن ولا تخن
لعلنا نحظى ببعض الرفق
صفته النفسي واللفظي الصفي
برقم في لوحه المحفوظ
مع أمين الوحي جبرائيل
ثم النزول لسما الدنيا
جاء به الآثار عند العلما

أسماءً أو أفعالاً أو حروفاً
ليغلب الملك بالإنبياء
كذلك ألفاظ الحديث القدسي
مع أمين الوحي لكن لم تكن
فانظر دقيقاً في كلام الحق
وبعد أن تقرر القـدم في
لا بأس في حدوثه الملحوظ
كذا حدوث اللفظ في التنزيل
أي أخذه من الجهة العليا (١١)
ووضعه في بيت عزة كما (١٢)

﴿١١﴾ قول الناظم : اي أخذه من الجهة العليا • بيان لما ذكرناه آتفاً من وجود
أحوال هي من سمات الحدوث عندنا • وأما الكلام اللفظي في ذاته قديم
وصفة لله تعالى •

﴿١٢﴾ قول الناظم : ووضعه • إيضاح وإظهار لما اشتهر من المشايخ أن
القرآن الكريم كله نزل بإلقاء الباري تعالى إلى جبريل ، وأنى به جبريل
إلى بيت العزة في السماء الدنيا في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك ،
كما يدل عليه ظاهر قوله تعالى : « حم ، وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ، إِنَّا
أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ » • (الدخان / ١-٣) وقوله :
« إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ » (القدر / ١) وقوله تعالى :
« شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ » ، (البقرة / ١٨٥)
وأبقاه هنا بصورة كتاب مرقوم كما في اللوح المحفوظ ، أو بنوع آخر ،
وكلما اقتضى أمر الله تعالى بنزول مقدار منه الى الرسول محمد صلى الله
عليه وسلم أخذ ذلك القدر ونزل به إليه ، ولكن هذا الوجه ليس أمراً من
الأمور التي يجب اعتقادها ، وإنما المعروف المعتقد أن مبدأ نزوله من

تنزيله الى الرسول الأكرم
قراءة منه ومن أمتيه
وكل ذاك حداث وآتي
لان لفظه القديم وصفه
وهذه تشخيصات جارية
تشخيصات تجري للإمكان
كان يكون سيكون فيه
أما بنسبة له تعالى
فلا تَمَلْ من فهم هذا الأمر
كلامه اللفظي والنفسي (١٣)

مرشدنا الى الطريق الأقدم
ودرسه مبتغياً لرحمته
من ارتباطها بممكنات
يؤول نحو علم ربي كشفه
عن حكم وصفه القديم عارية
بحسب الزمان والمكان
على حسابنا إذ نبتغيه
لا ماضي لا حال لا استقبالا
وادع وقل: ياربِّي اشرح صدري
ورقم في لوحه شخصي

الله تعالى بسفارة الملك جبريل إلى الرسول ، كان في رمضان . ثم تتابع
الوحي لجميعه في مدة ثلاث وعشرين سنة . وأول ما نزل منه آيات
من سورة العلق مفتوحة بقوله تعالى « بسم الله الرحمن الرحيم » كما
ثبت ذلك ، وآخره آية : « واتقوا يوماً تَرْجَعُونَ فيه الى
الله » (البقرة / ٢٨١) من أواخر سورة البقرة كما هو معروف . ثم
يقول : وكل صفات تؤيد الحدوث من قبيل العوارض المشخصة له
بالنسبة إلينا ، لا بالنسبة إليه تعالى ، كما ذكرناه مرات .

(١٣) قول الناظم : كلامه اللفظي والنفسي إلخ . بيان لما ثبت أن لكل موجود
في الواقع وجودات أربع : عينية ، أي ذاتية . وذهنية ، ولفظية ، وخطية ،
يؤول الوجود الخطي على اللفظي ، واللفظي على الذهني ، والذهني
على العيني . مثلاً تقول : مجموع الخطوط المرقومة من القرآن وجوده
الخطي . ويدل على الألفاظ دلالة وضعية عقلية ، والألفاظ تدل على
صورتها الذهنية القائم بأذهان الذين حفظوها ، كالحفاظ المعروفين .
وهذه الصور الذهنية تدل على واقع الكلام اللفظي القديم عند الله
تعالى وهذا هو اللايق بالبيان وفقنا الله على الإيمان به حقاً وصدقاً .

لها وجودات وتلك أربع
 ذهنيها عينيها في الواقع
 أولها دال على الثاني وذا
 وذلك الذهني قد دل على
 هذا هو اللائق بالبيان
 أدلة الصفات نقلاً واضحة (١٤)

خطيها لفظيها المستمع
 متفق حق بلا منازع
 دال على ذهنيها وجبذا
 عينية الوصف له جلّ علا
 وفقنا الله على الإيمان
 مثل النجوم في السماء لائحة

(١٤) قول الناظم : أدلة الصفات إلى قوله : لكن ما توقف النقل عليه .
 بيان لما أجمع عليه الأئمة من أن الله تعالى واجب ، ووجوب الوجود
 منبع الكمال والنزاهة عن النقص ، فلزم من ذلك اعتبار صفات سلبية
 عقلية اعتبارية له تعالى ، وهي الوحدة والقدم والبقاء والاستغناء عما
 سواه ، وعدم مماثلته له ، كما لزم الاعتراف بثبوت صفات ثبوتية
 واقعية له تعالى . وهي : الحياة ، والعلم ، والارادة ، والقدرة ،
 والسمع ، والبصر والكلام .

والفرق بين السلبيات والثبوتيات من حيث الذات ان الثبوتيات امور
 ومعان ثابتة في نفسها ويترتب عليها آثارها كالحس والحركة الإرادية
 من صفة الحياة . وكشف الأمور من العلم وتخصيص بعض ما هو
 مقصود من الأمرين أو الامور من صفة الإرادة والآثار الموجودة من
 القدرة ، فالقدرة أمر معلوم ثابت . وهكذا .

وأما السلبيات فليست بمعان ثابتة في أنفسها ، وانما هي منتزعة من
 مبدأ موجود ، كالوحدة المنتزعة من زيد باعتبار أنه شخص واحد ،
 والكثرة له ، باعتبار اجزائه الموجودة . فإن كان لها مبدأ انتزاع في
 الواقع فهي من الاعتبارات الصحيحة ، وإلا فهي أشياء باطلة ، كملاحظة
 النمو للجوامد والبياض للأسود .

إذ كل مشتق من الصفات
 مادام مبدءاً لها موجود
 فالعلم والحياة والإرادة
 ليست كما صفاتها السلبية
 لا ريب فيها وهي واقعية
 أما بوجه العقل فالدليل
 إذ كلها من صفة الكمال
 وكل برهان بحق الذات
 فان ذات واجب الوجود
 آمن بها فانها موجودة

بينه دلت على الاثبات (١٤)
 معناه وصف ثابت محمود
 والقدرة موجودة زيادة
 لأنها معقولة ذهنية
 لكنها في العقل لا عينية
 على الصفات كلها جليل
 وغيرها نقص من المحال
 ايضاً كبرهان على الصفات
 له كمال مطلق الحدود
 ومن كمال ذاته معدودة

والوحدة واخواتها معتبرة ومتفرعة من أصل ذات متصف بوجوب
 الوجود والكمال المطلق *

والاعتبارات منها سلبيات كالوحدة وأخواتها * فانها بمعنى عدم
 التعدد ، وعدم البداية للوجود وعدم النهاية له ، وهكذا * ومنها
 ثبوتيات كما يعتبر من اتصاف الباري بصفاته الثبوتية ، من كونه تعالى
 حياً وكونه عالماً وكونه مريداً وكونه قادراً وكونه سمياً وكونه بصيراً
 وكونه متكلاً *

وهي الصفات المشهورة بالمعنويات ، أي الاعتبارية الثبوتية الواقعية *

(١٥) قول الناظم : إذ كل مشتق من الصفات الخ * استدلال على ثبوت
 الصفات الثبوتية المشهورة بصفات المعاني * ولكن لا يتم الدليل
 بمحض ما ذكر إلا مع ضمنية ، والمبادي المشتق منه أمور لها آثارها *
 وإلا فنحن نقول : الله واحد والله قديم والله باق ، مع أن الوحدة
 والقدم والبقاء من الصفات السلبية الاعتبارية الواقعية *

لكن ما توقف النقل عليه^(١٦) لا يستدل من نقولنا عليه
مثل الوجود والحياة كذا قدرته إن بالعموم أخذاً
والحق أن نظم هذا العالم^(١٧) بسفله وعلوه مع أنجم

(١٦) قوله : لكن ما توقف النقل عليه • إيضاح لما تقرر عند الأئمة أن الصفات الكمالية الثابتة له تعالى ثابتة بالأدلة العقلية والنقلية • إلا ما توقف النقل عليه ، وذلك مثل وجود الباري تعالى ، فلا يثبت بالدليل النقلية ، لأنه ما لم يوجد الباري تعالى لا يمكن بعث الرسول ، وإنزال الكتاب عليه • فلو أثبت وجود الباري به لزم منه فساد الدور • ومثل الوجود في ذلك صفة الحياة ، لتوقف النقلات عليها • وكذلك القدرة بالمعنى العام أي القوة المؤثرة مطلقاً إيجاباً أو بالاختيار ، فإنه إذا فقدت هذه القوة لا يمكن الخلق ولا بعث الرسول • فلا تثبت بالنقل • وأما القدرة بالمعنى الخاص وهي القدرة المؤثرة وفق الإرادة فتثبت بالنقل • لأن ثبوت النقل موقوف على وجود ذات له القوة المؤثرة ، لا على ذات تؤثر بالإرادة ، لأنه مع القوة المطلقة يمكن البعث ، وإنزال الكتب وكذلك ثبوت الكلام اللفظي ، فلا يثبت الاستدلال عليه بنفس الكلام اللفظي كما ذكره العلماء الأصوليون في الكتب المعتمدة •

(١٧) قوله : والحق أن نظم هذا العالم الى آخر الايات المعدودة بعده • إشارة إلى ان الإنسان العاقل المتصف بالإنصاف عند نظره بالعين ، وتفكره بالعقل في العالمين : السفلي والعلوي ، وما احتويا عليه من الدوام والاستمرار على هذا النظام البديع وملاحظة الليل والنهار ، والبراري والبحار ، ونظر في أوضاع العالم من رعاية الجوامد والنوامي والحيوان والإنسان ، وما يعرض على أعماله الخير والشر ، ثم نظر إلى شخصه روحاً وبدناً وعقلاً وحاسة ، وضعفه وقوته ، وحزنه ومسرتته ، ومرضه وصحته ، والأمور المودعة فيه من العوامل الدقيقة

مع دوران كامل النظام
ينطق حقاً بوجوب ذات
والشمس بالشعاع تستنير
وانجم مشعة حزام
والزهر فاتح فم ابتسام
وإن ترى شيئاً من السلوب
فالقادر الكامل ذو جهات
يقبض يسط يذل يمنع
بوجه الاستمرار وانتظام
متصف بكامل الصفات
شعري ومعها قمر منير
كخادم له الهدى نظام
مُسَبَّحاً للقادر العلام
فليس في العالم بالعجيب
في حكم إيجاب وسلبات
يحيي يميت ويعز يرفع

اللطيفة من السمع والابصار والتفكر والانتظار وحركة القلب والمعدة ،
وأعمالها المتقنة بدون علاقة من أصحابها علم علماً واضحاً بوجود واجب
الوجود الكامل المطلق كما قال تعالى : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي
أنفسهم » (فصلت / ٥٣) وعلم أنه متصف بالكمال لم يزل ولا يزال
والله المعين .

« أسماءه تعالى »

أسماءه الحسنی الجلیلة انجلت^(١) اعدادها تسع وتسعون جلت
مما عدا اسم الذات والصفات للسلب كانت أو على اثبات

(١) قول الناظم : أسماءه الحسنی الخ • اعتاد علماء الأصول ذكر الأسماء
بعد البحث عن صفاته تعالى ، لدلالاتها عليها ، فاقتدیت بهم في ذلك •
وهنا أمور : الأمر الأول : ان اسماءه تعالى توقيفية ، أي أن استعمالها
يحتاج إلى توقيف وإعلام من الشرع الشريف ، ولا يجوز استعمال غير
ما ورد في الكتاب والسنة عند الجمهور ، لأنه لا يأمن الإنسان من
الوقوع في ورطة استعمال اسم لا يليق به تعالى ، لقوله تعالى :
« سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى » (الأعلى / ١) •

الأمر الثاني : إنه لا ينافي ما روي من كثرة اسمائه تعالى ما روي من
قوله صلى الله عليه وسلم : « إن لله تسعاً وتسعين اسماً من أحصاها
دخل الجنة » (رواه البخاري والترمذي وأحمد بن حنبل) أما لأن
العدد لا مفهوم له ، فيجوز أن يكون له تعالى أسماء كثيرة ، وذكر
الرسول صلى الله عليه وسلم منها هذا العدد • وإما لأنه يجوز أن
الاسماء المحصورة في ذلك العدد مختصة بقدسيات لا توجد في غيرها ،
ولذلك قال : « من احصاها دخل الجنة » وذلك لتفاوت الأسماء في
درجات القدسية ، فإن لفظ الجلالة (الله) يدل على الذات الواجب
الوجود الموصوف بالكمال المنزه عن النقص ، لكونه علماً له تعالى ،
بخلاف باقي الأسماء •

وقد عدّ بعض لفظ الجلالة من أعظم الأسماء ، ولم يستعمل لغير ذاته
تعالى • وكذلك لفظ الرحمن معرّفاً باللام ، بخلاف غيرهما ، كالرؤوف
والرشيد والصادق •

صفات أفعال مظاهر لها في القبض والبسط على التحلي
وكلها مظاهر التجلي بدون حصر وبدون انتهاء

الأمر الثالث : إن من هذه الأسماء ما يدل على الذات الواجب ،
ووضعه الله علماً لنفسه • ومنها ما يدل على صفات المعاني ، كالحي
والعليم والتقدير • ومنها ما يدل على صفاته الفعلية ، أي تعبيرات عن
تعلقات قدرته بالكائنات كالمعز والمذلّ والرافع والخافض • ومنها ما
يدل على صفاته الخمس الجلالية ، كالواحد ، والباقي ، والقديم ،
والصمد ، والغني ، والمتعال •

الأمر الرابع : إن الدعاء أي الطلب من الله والاسترحام يجوز بها ،
لقوله تعالى : « قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا
تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى » (الاسراء / ١١٠) وإن الدعاء
غير الذكر ، فإن الذكر قد لا يكون بصورة الدعاء مثل أن يقول الذاكر : الله
الله الله ، فإنها لبركتها وقادسيته كان التلفظ بها وتكرارها ، أو ملاحظة
معانيها ينور القلب ، ويشرح الصدر ، قال تعالى : « أَلَا بِذِكْرِ
اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ » (الرعد / ٢٨) وقال : فَاذْكُرُونِي
أَذْكُرْكُمْ » (البقرة / ١٥٢) • وقال صلى الله عليه وسلم ما رواه
عن ربه : « من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملا
ذكرته في ملا خير منهم » (رواه البخاري ومسلم والترمذي
والنسائي) • ويشير إلى هذا الوجه ما روي في الحديث الشريف :
« لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على الأرض من يقول : الله الله » (رواه
أحمد والترمذي ومسلم عن أنس) •

فلا قيمة لقول الجاهل الذي ادعى أن الأسماء المذكورة بصورة
الاسماء المحدودة لا جواز لذكرها • فإن كلامه نشأ من جهله بمعنى الذكر
وعمومه لوجوه كثيرة ، من التكرار على حيالها وذكرها في الدعاء
والدعاء • ومن ذكرها بالخيال الصافي بالقلب كما هو معتاد العارفين •

وعاملاً حَسَبَ اقتضاءها
في روضة الرضا بحق ساكنا
على قلوبنا باحسان أتم
فاعتبار العقل للمعتبر
أو من سلوب فهو لا وجودي
من فكرة الشيخ أبي منصور
وليس وصفاً ذا وجود نوري
فمن أولاء كان من يَنْفِيها

من كان أحصاها بإيمان بها
دخل جنة الخلود آمناً
نسأله أن يتجلى بالكـرم
أما البقاء عند الشيخ الأشعري^(٢)
معناه الاستمرار للوجود
كذلك التكوين للمقدور
تعلق القدرة بالمقدور
صفاته طال الكلام فيها^(٣)

(٢) قول الناظم : أما البقاء عند الشيخ الأشعري • بيان لصفتين اختص
بذكرهما من الصفات إمامان في اعتقاد المسلمين وهما : الشيخ علي أبو
الحسن الأشعري ، حيث جعل البقاء صفة زائدة على السبع • والشيخ
أبو منصور الماتريدي ، حيث ذكر التكوين صفة زائدة عليها دون
البقاء ورد عليهما الاصوليون بأن البقاء عبارة عن
استمرار الوجود ، وما دام الوجود معدوداً فيها فلا
داعي لزيادة صفة البقاء • لأن وجوده تعالى وجود واجب باقي • وإن
التكوين عبارة عن تعلق صفة القدرة للباري تعالى بالمقدورات •
والتعلقات أمور اعتبارية لا من صفات المعاني ، ولا من الخمس الجلالية •

(٣) قول الناظم : طال الكلام فيها إلخ • يقول إن علماء الكلام طال
كلامهم في صفات الباري وجوداً وعدمًا • وعلى تقدير وجودها عيناً
وغيراً ؛ فمنهم من خالف ظواهر النصوص الدالة على وجودها ، وحكم
بالإنتفاء لشبهة التمكن من وحدة الذات جاهلة أو غامضة للعين بأن
وجود الصفات القائمة بذاته تعالى لا ينافي توحيده ووحدته ، فإن
الواقع وحدة ذات الواجب وهو واحد ولو قامت به صفاته الكمالية •

ينفي صفاته على عمي ولا يرى وجودها لوهم نزلا
بحجة التوحيد لله العلي لم يدر أن الوصف تابع جلي

ومنهم من قال بوجودها واثبتها ، ولكن تاه وحرار في إيضاح القول
بوجودها وزيادتها على الذات ، فقال : إنها ليست عين الذات لبداهة
أن الوصف ليس عين الموصوف ، ولخوف القول بتعدد التسماء قال :
إنها ليست غير الذات كما أنها ليست عينها . ولما ورد الاعتراض عليهم
بأن غيرية الصفات بديهية فكيف تنكر مع أن في نفي الغيرية مع نفي
العينية رفع النقيضين وفي المآل جمع النقيضين أيضاً تخلص عن نفي
الغير بإبداء اصطلاح جديد للغيرين بأنهما موجودان يجوز انفكاك كل
منهما عن الآخر ، والصفات ليست كذلك ؛ لأنه لا يجوز انفكاك الذات
عنها ، فتبقى بدون الكمال ولا انفكاك الصفات عنها لاستحالة تحقق
الصفة بدون الموصوف ، وحاصل ذلك الاعتراف بالغيرية حسب الواقع
المعروف لغة والابتعاد عن القول بالغيرية على هذا الاصطلاح للملازمة
بين الصفات وذاته تعالى ، ونسبوا هذا الرأي إلى الإمام أبي الحسن
الأشعري . ولكن المحقق السيالكوتي رفض أساساً إسنادهم ذلك الرأي إلى
الإمام وذكر أن الإمام رأى أن الصفات لما كانت لازمة للذات فوزانها
مع الذات وزان لوازم الماهيات للماهيات ، فلا مجال للقول بأنها عينها
أو غيرها ، أي منع اتباعه من هذا القول . ونص عبارته في بحث الاثنان
هما الغيران . والذي عندي أن ما وقع من الشيخ الأشعري هو أن
صفاته تعالى ليست غير الذات لأن الغيرين موجودان يجوز الانفكاك
بينهما ، والباقي من إلحاقات المشايخ توجيهها لكلامه . ومقصوده أن صفاته
تعالى ليست متأخرة عن وجوده لكونها مقتضى ذاته كوجوده ، فلا
يكون ذاته تعالى فاعلة لها ، لأن الفاعل يجب تقدمه بالوجود بالذات ،
فلا يكون ذاته تعالى بالقياس إليها موجبا ولا مختارا ، فلا يلزم شيء من

وقد يلوح قولهم بآنها
ومنهم المثلث لكن تاهها
يقول فيها ليس عينها ولا
إذ هو رفع للنقيضين وفي
فخلصوا منه بأن قد خصّوا
فالغير موجود يجوز فكه
ونسبوا ذلك لشيخنا السري
فالمتغايران موجودان
لكنه قال السالكوتي
يقول إن شيخنا الأشعري
فقال إذ سأله الأصحاب
أجاب أن هذه الصفات
فردية تلزم للماهية
فلا تقولوا إنها عين لها
تعدد الأوصاف مع ذات علي

عين لذاته الكريم ذي البهاء
لعسر تفسير لها أتاها
غيراً وذا على العقول أشكالاً
تقريره جمع لهذين نفسي
« غير » بمعنى غير ما يَنْصَحُ
عن المغاير لهذا دركه
إمامنا أبي الحسن الأشعري
ذوي فكاك متفارقان
قولاً حقيقاً بحلي النعوت
افاد حقاً عن هوى النفس بري
عن رأيه وما هو الصواب
مثل لـوازم لماهيات
عن عين أو غير لها عرية
ولا تقولوا إنها غير لها
نتيجة البرهان حق منجلي

المحذورات كما أن ذاته تعالى ليس موجبا ولا مختارا بالنسبة إلى
وجوده عند القائلين بزيادته وكما أن الأربعة ليست بفاعلة لزوجيتها
لا إيجاباً ولا اختياراً بل الزوجية مجعولة بجعلها ، انتهى •
ونحن بحمد الله تعالى نعتقد هذه العقيدة ، أي أن الله تعالى واجب
الوجود بالذات ، وأن صفاته تعالى واجبة الوجود لذات الباري ، وذلك
توحيد صحيح ولا تعدد للذوات ، إنما هناك ذات واحدة واجبة وله
صفات واجبة لذاته تعالى ونسأل المولى أن يميّتنا على هذه العقيدة
ويحيينا ، والمسلمين ، عليها ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً
رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله •

ولا تنافسي صفة التوحيد
واجبة ضمن وجوب الذات
لو لم تكن واجبة لكانت
واحتياج واجب الوجود
ذات الإله الفرد مع صفات
وكيف تدري ذات رب كامل
أم كيف تصويرك أوصافاً بلا
وكنه ذاته وكنه الوصف
كمال إدراكٍ له محال
وذاك قول أهل صدقٍ قاله
ذات له الكمال وصفاً دون حد
ولا تقس ذاته بالذوات
ولا تقس صفات ذات الباري
أين كمال واجب الوجود
وذاك مقصد الامام الأشعري
آمن به وبكماله ولا
مادام كانت رتبة الصفات
لا تقربن مرض الخصاصة
موجودة ضمن وجود الذات
فرحم الله حميد الدين
صفاته واجبة لذاته
ليست ذوات متعدّدات
توصف بالقدم في الزمان
تمتّع الصفات دون الذات
هذا الذي يصله العقول

موصوفها فرد بلا ترديد
ليست بالاستقلال واجبات
ممكنة في نفسها وهانت
لممكن ممتنع الوجود
بها تحققت كمال الذات
بدون أوصاف الكمال الحاصل
موصوفها الواجب جل وعلا
ممتنع الدرك بعقل صرف
والعجز عن إدراكه كمال
غاية ما يعرف منه أنه :
منفرد بقديم باقٍ صمد
لا واجب يشبه ممكنات
على صفات الممكن المختار
من نقص وصف الممكن المحدود ؟
وهو عن إصطلاحنا جدا بري
تقل كلاماً لا يليق كاملاً
مثل اللوازم لماهيات
لا تحسبَنها ممكنات خاصة
واجبة ضمن وجوب الذات
إذ قال بالأدب والتمكين :
على اتصاف الذات بصفاته
حتى ترى كقدماء الذات
لم نك دون الذات أيّ آن
والذات دون هذه الصفات
وفوق هذا قولنا فضول

نعم بإمكان الذوات الأصفيا إدراك ما زاد على قدر الضياء
والله رب راحم عباده منه إليه الفوز بالسعادة

* * *

ومن أفعال الباري إيجاد العالم باختياره والعالم حادث والمحدث هو الله تعالى

وكل ما في العقل ذو تمكن^(١) واجب أو محال أو من ممكن
فما يقتضى وجوده لذاته فواجب مثاله كذاته

(١) قول الناظم : وكل ما في العقل : تقسيم للمفهوم إلى أقسامه الثلاثة
وحاصله : أن كل ما تصوره الذهن إما أن يقتضى ذاته وجوده أي
اقتضى النظر إلى ذلك المفهوم وجود مصداقه في الأعيان فهو واجب
وذلك كمفهوم الذات الواجب الوجود المتصف بالكمال ، المنزه عن
كل نقص ، فإن شيئاً كذلك يستحق الوجود في الواقع ، لكنه لما قررت
مثاله لا بد من إثبات أنه واجب ، ومن أفراد ذلك المفهوم • وكل ما
يقتضى مفهومه عدمه فهو ممتنع بالذات ومستحيل ، كجمع النقيضين ،
ورفعهما وجمع الضادين واستواء الجزء والكل • وكل ما لا يقتضى ذاته
أحد الأمرين ، بل احتملهما معا فهو ممكن بالإمكان الخاص ويتساوى
طرفاه كمفهوم الجماد والنبات والحيوان والإنسان •

وهذا الممكن الخاص منه ما يمتنع حسب العادة ، كصعود مادة ثقيلة
إلى السماء ، فإنه ليس ممتنعاً بالذات كجمع النقيضين • وإذا نظرت إلى
ذاته فلا استحالة فيه ، لكنه لم تجر العادة به • فإذا أوجده الله تعالى فهو
معدود من خوارق العادة • وكالسلامة لإنسان واقع في تنور نار •
ومشي إنسان على سطح البحر ، وطبي مسافة بعيدة في زمن قليل •
فجميع معجزات الرسل عليهم السلام وكراماتهم وكرامات الأولياء من
هذا النوع إلا أنها ممكنة بالذات ، ولكنها تستحيل عادة ، وخلقها

ممتنع كالمتناقضين
فممكن خاص كما نعلمه
كانقياد كافر للسليم
وجوده يكون خرق العادة
من ممكن خاص بلا اشتباه
امكانه الخاص بحق وجبا
لخالق من عدم أوجده

وما اقتضى عدمه في البين
وما استوى وجوده وعدمه
ومنه ما يمتنع في العلم
ومنه ما يمتنع في العادة
فعالم الوجود غير الله
اذ ما عدا ممتعا وواجبا
وذلك الامكان قد أحوجه^(٢)

تعالى هذا لنوع لهم من باب إثبات دعوى الرسل وكرامة الولي وتأييده
والقدر المشترك فيه متواتر لا ينكره إلا الجاهل أو الجاحد المعاند •

ومن الممكن الخاص ايضاً ما يمتنع علماً ، كسفر زيد من المشرق إلى
المغرب إذا تعلق علم الله بأنه يموت قبل السفر • وكإيمان الكافر بالله
ورسوله ، وهذا النوع يسمى بالمتنع في العلم ، فهو ممكن خاص ولكنه
ممتنع لتعلق علمه تعالى بعدمه •

ثم الامكان بهذا المعنى أي ما استوى وجوده وعدمه • • مقابل وقسيم
للواجب والممتنع • وقد يطلق الامكان على سلب الضرورة عن جانب
وجوده ، سواء كان عدمه ضروريا كالممتنعات الذاتية أولا كالممكنات
الخاصة ، نحو زيد وعمرو • وهذا الإمكان يسمى بالإمكان العام المقيد
بجانب عدم ، أي سلب الضرورة عن الجانب المخالف وهو الوجود •
كما يطلق على سلبها من جانب عدم ، سواء كان وجوده واجبا
كالباري ، أولا ، كالممكنات الخاصة ، فيشمل الواجب والممتنع والممكن
الخاص ، كما علمت آنفاً •

(٢) قول الناظم : وذلك الامكان قد أحوجه • إشارة إلى ترجيح أحد
شقي الخلاف في محوج الممكنات الخاصة إلى الفاعل ، إذ من
العلماء من قال بأن محوجه إليه هو حدوثه ، إذ مالم يحدث الممكن

من فرد أو من نوع أو جنس ومن صورة نوعية أو جنس زكن
فليس في الكائن من قديم^(٣) بالذات والزمان يا نديمي

في الواقع لا يحتاج إلى الصانع • ومنهم من يقول إن محوجه هو
إمكانه الخاص لأن استواء طرفي وجوده وعدمه هو الذي أحوجه إلى الصانع
المرجح لوجوده على عدمه ، أو بالعكس • وإنما رجح جانب الإمكان
لأنه إذا أردنا احتياجه إلى الصانع بواسطة الحدوث فالحاجة إليه
تختص بما وجد في الأعيان ، ولا يشمل الممكنات التي لم تخرج إلى
الوجود ، مع أن ما استوى طرفاه ، كما يحتاج في الحدوث يحتاج
في الذهن أيضاً ، لاستحالة استغناء الممكنات عن الاحتياج إلى الفاعل •
(٣) قول الناظم : فليس في الإمكان من قديم بالذات والزمان • إشارة إلى
ما أجمع عليه أهل السنة من أن القديم بالذات ، أي ما لا يحتاج إلى
الفاعل ، والقديم بالزمان أي ما لم يسبقه العدم ، منحصر في ذات واجب
الوجود ؛ لاستغنائه عن الفاعل لوجوب وجوده ، وعدم سبق العدم على
وجوده ، لإثبات قدمه •

وأما قول الفلاسفة بوجود القديم بالزمان كالمادة ، حيث ادعوا قدم
المادة العنصرية وتبدل الصور عليها من كونها جامدة أو نامية ، أو حيوانا
أو إنسانا ، ولكنها تحتاج إلى الصانع وهو ذات الباري ، وكذا ادعوا قدم
الزمان ، لأن تبدل الصور على المادة يحتاج إلى استعداد فيها ،
والاستعداد المختلف يحتاج إلى الزمان ، فيكون الزمان والاستعداد
قديمين بالزمان ، وإن احتاجا إلى الفاعل وهو الباري ، فذلك باطل ، لأن
فلسفتهم مبنية على اعتبار الإيجاب للباري تعالى ، وبنوا عليه ما قرروه
من هذه الأمور • وأما علماء الإسلام فقد أثبتوا بالأدلة القاطعة وجود
ذات الواجب ، واختياره في صنع كل ما أراد وجوده ، ولا حاجة منه
إلى المادة القديمة واستعدادها ، لأنها مخلوقتان له بالاختيار •

ومادة ومدة أي زمن قدمها يغيه عقل زمن
كذلك الاستعداد بالاطلاق مخلوق مختار على الآفاق
والله خالق بدون مين لكل شيء عرض أو عين
والله خالق لهذا العالم^(٤) أخرجه من ستر كتم العدم

وأما الزمان فهو امتداد موهوم ينشأ من استمرار حركة الشمس
وشروقها وغروبها ، وكل ذلك من صنع الباري ، ومما خلقه الله بلا
واسطة وبالاختيار .

(٤) قول الناظم : والله خالق ، مع قوله : وكشف أسرار القضا ايضاحهما : إن
الأئمة الأعلام اهتموا بتوقيفه تعالى إلى إثبات أن العالم بأسره لم يكن
موجوداً ، لا السماء ولا النجوم ولا الأرض ولا غيرها ، بل كانت
معدومة والباري تعالى أوجده على الإطلاق لحكمة اتصف بها ، حيث
يقول : « وما خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
لَاعِبِينَ ، مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ » (الدخان/ ٣٨) ويقول :
« أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا
رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ » .
(الانبياء/ ٣١) ويقول : « نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ »
(الواقعة / ٥٧) ، وخلقه تعالى لهذا العالم وما احتوى عليه بالاختيار
الصرف ، بدون إيجاب واضطرار ، وبلاستقلال بدون الافتقار إلى
واسطة خارجة عن اختياره وإرادته ، وكل ما جعله سبباً لوجود شيء
من الأشياء فهو سبب عادي ، جرت عادته بخلق المسبب معه ، أو ترتبه
عليه ، فليس للأسباب تأثير مطلقاً .

وأما سر صنعه وخلق هذا العالم وما فيه من العلويات والسفليات ،
والسماء والنجوم والهواء والبحار والبراري والأنهار فهو عائد إليه
تعالى لا يعلمه غيره إلا ما اهتدى إلى معرفته بعض العلماء بتوفيق منه

كان ولم يكن بدا شيء معه وكل ما سواه ربي صنعه
وكشف أسرار القضاء والقدر ليس لغير الله حتى ينتظر
مادام ربي واجب الوجود منبع كل كرم وجود
لا يسئل الإله عما يفعل وغيره لاهٍ وعنه يسئل
وهذه عقيدة الاسلام جاءت لنا من ملك علام

تعالى • ولما كان الواجب تعالى متصفاً بالكمال المطلق ومن الكمال
رعاية الحكمة علمنا أن كل ما أبدعه مقرون بها ، لأن علمه محيط
وإدراكنا قاصر ، ولذلك لا يسأل عما يفعل •

وإلى هذا المفهوم أشار الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في قوله :
« ليس في الإمكان أبدع مما كان » يعني ما دام الصانع واجب الوجود
المتصف بالكمال المطلق ، وله الحكمة في شئونه لا يتصور أن يأتي
بشيء بلا حكمة • فليس في الإمكان العلمي عالم أبدع مما كان ، لأن
جميع ما كان أو هو كائن أو سيكون من صنع ذات كامل كمالاً مطلقاً ،
فالمراد من الإمكان الإمكان الوقوعي المقرون بعلم الباري تعالى
وحكمته ، وليس مراده بالإمكان الإمكان العقلي ، أي لا يتصور غيره
أو الامكان الذاتي أي أن غير ما صنعه ممتنع حاشا • ومن اعترض على
الامام في ذلك الكلام اعتقد انه لم يعلم حقيقة المراد • فاحفظه وفقك
الله تعالى •

رد ما يتوهم من تأثير أفراد الممكنات

بعضها في بعض

ونسبة التأثير (١) للأفراد ممتدة لأطول الأبعاد
أي كل فرد صاحب الثبات مؤثر في ما يلي بالذات
من حكمهم وهم وارد على عجل وماله عاقبة" إلا الخجل
سلسلة من عصرنا (٢) الى الأزل لا ريب في وجودها بلا خلل

(١) قول الناظم : ونسبة التأثير إلخ • معناه لا تتوهم ولا تنسب التأثير بالخلق والإيجاد إلى أفراد الممكنات ، فإنها توهم ليس ماله إلا الخجل والاتفعال •

(٢) قول الناظم : سلسلة من عصرنا • إثبات لكون ما توهم من نسبة التأثير إلى الممكنات سابقها في لاحقها فاسد ، لأن وجود سلسلة غير متناهية كما ذكره المتوهم باطل ، وانتهأؤها واحتياجها الى الواجب حق ثابت •

لأن أفراد تلك السلسلة بقطع النظر عن التناهي وعدمه كلها من الممكنات ، وكل ممكن يحتاج الى الفاعل الصانع ، والفاعل الصانع للممكنات كلها لا بد أن يكون خارجاً عنها ، فاذا ارتبط بالعلة التي هي واجب الوجود انتهت السلسلة •

وما دام قررنا ان ذلك الفرد الخارج من الممكنات كلها واجب الوجود وجب اتصافه بالكمال المطلق ، وإذا اتصف بالكمال ثبت له الاختيار ، بمعنى إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل بدون اي مانع ، فلا يحتاج الى المادة القديمة والاستعداد والزمان ، لتبدل تلك الاستعدادات وثبت التأثير المطلق بالذات للباري تعالى • كما قاله عبدالحكيم في حاشية المواقف •

وكل شخص إذ له احتياج
فوجبت حاجته للخارج
فالواجب الخالق ، دون من
مادام واجب الوجود كامل
ما دام ربنا هو المختار
لا يعترى الوجوب أو إيجاب
وفي غنى عن مادة واستعداد
علاوة لو حاج لاستعداد
فحكمه في كل خلق جاري
فما سوى الواجب حتما محدث
وكل أسباب أتت عادية^(٣)
فليس للأسباب من تأثير

يفيدنا « مجموعه محتاج »
أي واجب الوجود ذو المعارج
لما عداه عوض أو عين
فالاختيار دون ريب حاصل
ليس له في الخلق اضطرار
في خلقه كما هو الصواب
ومدة للفوز بالمراد
فأين الاستعداد لاستعداد
دون توسط من الاغيار
بالذات والزمان وهو المحدث
ليست بها بل عندها البرية
كذرة في سطوة القدير

(٣) قول الناظم : وكل أسباب أتت عادية • معناه أن الامور التي عرفت
بأنها أسباب لما يترتب عليها أمور جرت عادة الله تعالى بمباشرتها لترتب
المسببات وليس لها تأثير بالخلق والإيجاد • فالخالق عند جمهور
المسلمين هو الله سبحانه قال تعالى : « أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ »
(الاعراف / ٥٤) • وإذا كان هناك بين الأسباب والمسببات لزوم وعدم
اتفكك فهو أيضاً من المقررات عنده تعالى ، ومخلوق له تعالى •
والمحققون على أنه إذا أراد الله خلق النتيجة خلق للمستدل النظر في
المقدمات والعلم بها والعلم بالنتيجة ، وأراد وجود الأجزاء لكل إذا أراد
وجود الكل ، وبقي الأمر على ما قرره الأشعري من إسناد الخلق
الى الله ابتداء بدون واسطة ، وصدوره عنه بالاختيار الكامل •
فإن الإمام الأشعري رضي الله عنه لا يسعه إنكار لزوم اللوازم
للمزوماتها ، وما نقل عنه من خلاف ذلك ، فاما يوجد الخلل في النقل ، أو
أنه مؤول بما ثبت وصح عنه •

بل ربنا الخالق للأسباب
ولو لزوم بين الأفعال جرى
أراد الأجزاء مع الكل كما
فقد بدا أصلاً أمام الداري
وخلقه للعين والأعراض^(٤)
فإن الأعراض هي التي أتت
لكنها مقرونة بالحكم
وقد يكون بعضها مكشوفاً
وربما تفتى بلا حساب
فربنا ذاك اللزوم قررنا
أراد لازماً للزوم نما
الخلق بالذات وباختيار
منزه عن وصمة الأغراض
لعلها لولا بها ما ثبتت
بيانها عند الإله الأعلم
لمن يكون بالتقى موصوفاً

(٤) قول الناظم • وخلقه للعين والأعراض • بيانه أنه إذا فسر الأغراض
بأمور لا يمكن الوصول إليها إلا بواسطة أمر يوصل به إليه فأفعاله
تعالى لا تعلل بالأغراض ، لأنه تعالى يقدر على خلق كل ممكن ابتداء
بدون أي سبب ومبدءٍ له ، وإن فسرنا بالعلل والفوائد الظاهرة ، فلا
يخلو فعل من أفعاله عن الأعراض بهذا المعنى لأن وجود لام التعليل على
كثير من العلل معروف • والناظم أراد بالأغراض المعنى الأول ، فلذلك
نفى تعليل أفعاله تعالى بها •

« الله خالق والعبد كاسب »

وبعد أن خلقنا رزقنا لما أحب من هدى وفقنا
كما هو الخالق للعباد^(١) خالق الاعمال بالاطراد

(١) قول الناظم : كما هو الخالق للعباد الخ : تفصيله أنه اتفق المسلمون على أنه تعالى خالق لجميع الأعيان والأعراض الطارئة عليها من الصفات الاضطرارية • وأما الأعمال الاختيارية كالقيام والبطش وما عداهما ففي خالقها آراء مختلفة ، أفسدها أنها مخلوقة للعباد بلا علاقة بالباري تعالى بها ، فإنه تعالى خلق الإنسان وسرحه لأن يعمل ما يشاء ، ودون هذا الرأي قول من إنها بمجموع قدرتين ، قدرة الخالق وقدرة العبد على طريق الاشتراك في ذاتها • ودون هذا في الفساد قول من قال : إنها بمجموع القدرتين ، لكن قدرة الباري تؤثر في ذات الأعمال ، وقدرة العباد في صفتها من كونها طاعة أو معصية • وفوق الكل قول جمهور أهل السنة أنها بخلق الله تعالى وحده بدون علاقة فاعل آخر في ذاتها أو صفاتها • واستندوا في ذلك بأدلة عقلية ظاهرة في المقصود ، نحو قوله « الله خالق كل شيء » (الزمر / ٦٢) ، وقوله تعالى : « والله خلقكم وما تعملون » (الصافات / ٩٦) وقوله تعالى : « إنا كل شيء خلقناه بقدر » على أن يكون نصب « كل » بمقدر يفسره : « خلقناه » على قاعدة الاشتغال • وبأدلة عقلية ، منها :

أنه لو كان العبد خالقاً لأعماله لعلم قبل خلقه بتفصيل الحركات والمعالجات اللازمة لمباشرتها ، وعلم ما ينتج عنها • مع أنه لو سئل عنها لم يعلم شيئاً منها • ومنها : أنه لو كان العبد خالقاً لها لقدر على أن يعمل عملاً ممتازاً حسناً جداً ، لأن معنى الخالق هو الموجد ، والموجد قادر

أي كلها سواء اضطراري
إذ صفة الخالق أن يعلم ما
يعلم تفاصيل فعله وما
وذلك العلم على التفصيل
فالعبد ليس خالقاً لفعله
إن كنت خالقاً فيّناً حالاً
أو كنت خالقاً فحسنه كما
ومع ذا منها لكم نصيب
فالله خالق وأنت كاسب
إذ لست عالماً بما عمله
ولست عالماً بحاصل العمل
كذلك لست حجراً يرميه
بل بين ذا وذا فربي خالق
فقل ، إذا سئلت في التيسير
مخير في عالم التكليف
أي هو في خلق القوى مسير

أو ما جرى منهم بالاختيار
يخلقه حسب نهج رسماً
ينتج منه فرحاً أو ألماً
ممتنع عن سوى الجليل
دعواه للخلق وليد جهله
ما يعتريه حالاً أو مالاً
يعجب كل عالم من علماً
أي كسبكم وذا لكم نصيب
لله خلق ، ولنا مكاسب
مفصلاً بل مجملًا تعلمه
وربما ندمت مع كل خجل
رام إلى جهة معتديه
وأنا كاسب وذاك لائق
لبشر أو صفة التخير :
مسير في عالم التشريف
وفي اكتساب ما نوى مخير

على خلق الأشياء الحسنة مع أن بعض أعماله مما يستنكره هو ولا يرضى
به . والسعد يقول : لاشك في دخل العبد في العمل فليس المرتعش
كالباطش ، ولا شك أنه ليس خالقاً ، لأن ميزات الخلق لا توجد في
العباد ، فنؤمن بأن الله تعالى خالق للأعمال ، والعباد كاسبون لها ،
وسياتي تحقيق معنى الكسب إن شاء الله تعالى .

« الكسب ومعناه »

وكل عامل له ما قد كسب كما عليه كل ما قد اكتسب
مميز للفعل الاضطراري عن فعله الصادر باختيار
إذ بين كل راعش ومرتعش فرق جلي في القلوب منتقش
وذلك الكسب برأي الاشعري^(١) محله العبد ، ومن خلق بري

(١) قول الناظم : وذلك الكسب برأي الاشعري • أقول : في شرح العقاید النسفية ما نصه : « وتحقيقه أن صرف العبد قدرته وإرادته إلى الفعل كسب » انتهى • وفي حاشية الخيالي ما نصه : « صرف القدرة جعلها متعلقة بالفعل ، وهو متعلق الإرادة ، بمعنى أنه يصير سبباً لأن يخلق الله صفة متعلقة بالفعل ، وأما صرف الإرادة أي جعلها متعلقة فيجوز أن يكون لذاتها على ما عرفت في إرادة الله » انتهى •

وفي حاشية المحقق السيالكوتي قوله : صرف القدرة جعلها الخ يعني معنى صرف القدرة جعلها متعلقة بالفعل ، وذلك الصرف يحصل بسبب تعلق الإرادة بالفعل لا بمعنى أنه سبب مؤثر في حصول ذلك الصرف ، إذ لا مؤثر إلا الله ، بل بمعنى أن تعلق الإرادة يصير سبباً عادياً لأن يخلق الله تعالى في العبد قدرة متعلقة بالفعل ، بحيث لو كانت مستقلة في التأثير لأوجد الفعل • وأما صرف الإرادة وجعلها متعلقة بالفعل فليست مخلوقة لله تعالى حتى يلزم الجبر ، بل هو لذاتها فإنها صفة من شأنها ترجيح أحد المتساويين بل المرجوح من غير داع لها ومرجح كما عرفت في إرادة الله من أنه صفة توجب تخصيص أحد المتساويين بالوقوع في بعض الأوقات من غير احتياج إلى مرجح ، وكما أن صدور الإرادة من ذاته تعالى بطريق الإيجاب لا يوجب الجبر في أفعاله ، كذلك صدور إرادة العبد من ذاته تعالى لا يوجب كونه

يقول إن العبد كلما حصل علمه بالأشياء كيفما وصل
من علمه ينبعث الشوق الى ما اختاره موافقاً ما أملا

مجبوراً في أفعاله .

واعلم أن هذا المقام يستدعي بسطاً في الكلام فنقول وبالله التوفيق :
إن أفعال العباد منها ما يتعلق بها إرادة الله بلا توسط اختيار العبد ،
بمعنى أن الله يوجد لها سواء يتعلق بها إرادة العبد أو لا ، ومنها ما يتعلق بها
إرادته تعالى بتوسط اختياره وإرادته ، بمعنى أن الله تعالى أوجد
في العبد قدرة بها يتمكن من الفعل والترك ، وإرادة ترجيح أحدهما ، فإذا
رجحت إرادة العبد أحد الطرفين تفرع عليه تعلق قدراته ، وصرف
الآلات والدواعي إليه ، بمعنى أن تعلق الإرادة يصير سبباً عادياً لأن
يخلق الله تعالى في العبد صفة متعلقة بالفعل بحيث لو كانت لها
تأثير بالاستقلال لأوجد الفعل . ثم تعلق إرادة الله تعالى وقدرته
بخلق ذلك الفعل عقيب ذلك ، أعني تعلق إرادته وقدرته وصرف الآلة
إليه تعقيباً ذاتياً . فإن قيل ذلك الترجيح المتفرع عليه تعلق القدرة ،
وصرف الدواعي إما أن يكون مخلوقاً لله تعالى ، فالجبر باق ، أو فعل
العبد فيكون العبد خالقاً لبعض أفعاله قلت : ذلك الترجيح من مقتضيات
الإرادة على ما بين في موضعه من أن الإرادة صفة من شأنها ترجيح أحد
المتساويين . فإن قيل إذا كان الترجيح من مقتضيات ذات الإرادة فما
فائدة التكليف إذ الإرادة تتعلق بأحدهما بالضرورة ؟ قلت : قد يصير
التكليف داعياً لتعلق الإرادة ببناء على أن الإرادة تابعة للعلم ، فإذا علم
المكلف أن التكليف واقع هكذا فهو حسن ، يصير ذلك داعياً لتعلق
إرادته وترجيحه ، فيصرف القدرة والدواعي إليه فيخلق الله تعالى
الفعل عقيب عادة ، وباعتبار ذلك التعلق أعني تعلق الإرادة المترتب على
الدواعي يصير الفعل طاعة وعلامة للثواب .

بوفقفه إرادة المرء أتت	بعزمه الجازم ذاك حققت
فيخلق الله له مقصوده	مقبول حق كان أو مردوده
فتلك من أسباب خلق الباري	حسب عادة من المختار
تنشأ منها قدرة تدعو إلى	خلقه ، لولا خلقه عزّ علا
فكسبنا قدرتنا المقارنة	لقدرة الباري ولكن ساكنة
أو قل محليتنا لما مضى	كسب وفوضه إليه بالرضا

والحاصل ان الله تعالى خلق في العبد علماً إجمالياً بالأفعال الاختيارية قبل صدورها وعلماً بحسنها وقبحها ، وترتب الثواب والعقاب عليها مأخوذ من لسان الشرع وخلق فيه إرادة تابعة لذلك العلم مرجحة لبعضها ، وقدرة متعلقة بالفعل تابعة لتلك الإرادة بحيث لو كانت مستقلة في الإيجاد لأوجدها . فمع العلم بالحسن والقبح الداعي الى تعلق الارادة ان تعلق ارادته بالقبيح يستحق الذم باعتبار المحلية والعقاب بطريق جري العادة وإن تعلق بالحسن يستحق المدح والثواب كذلك . ولذا لو فعل قبحاً لم يعلم قبحه لا يستحق الذم والعقاب ، ولو تعلق إرادته بقبيح وعزم عليه مع العلم بقبحه يستحق المؤاخذة وإن لم يخلق بعده . فإن قيل : تلك الارادة التي من شأنها تخصيص أحد المقدورين بالوقوع حادثة فهي إما إرادة العبد فيلزم التسلسل وإما بارادته تعالى فيكون مجبوراً !

قلت : تلك الارادة مخلوقة لله تعالى والعبد مجبور في تعلق تلك الصفة وهو لا يستلزم الجبر في الأفعال الصادرة بتوسطها كما في أفعال الباري تعالى فإنها صادرة بتوسط الإرادة المستندة إلى ذاته بطريق الإيجاب وإلا لزم حدوثها مع أنه مختار فيها إذ لا فرق بين أن تكون مستندة إلى ذاته تعالى بطريق الإيجاب ، وبين أن تكون مستندة إلى غيره في عدم كونها بالاختيار ، والسرف فيه : أن الارادة المخلوقة فيه مطلقة ، من غير أن تكون متعلقة بالحسن او القبح .

والكسب في فكر أبي منصور (٢) عليهما الرضا لنفخ الصور
أن بعد علم وانبعث الشوق إلى الذي يكون وفق الذوق

﴿٢﴾ قول الناظم : والكسب في فكر أبي منصور الخ • يقول : قد علمت في
الآيات السابقة أن الكسب عند الشيخ أبي الحسن الأشعري عبارة
عن حالة حاصلة له من كونه موصوفاً بالعلم بالمكروهات والمرغوبات
المنبعث منها داع إلى توجه إرادة صاحبه إلى ما اختاره فيتهياً قدرته
إلى ذلك الشيء ، بحيث لولا قدرة الباري هناك مختصاً بتأثيرها فيه
لأثرت فيه قدرة العبد ، وهذا المقدار من المحلية كاف لترتب الثواب
والعقاب على أفعاله الإيجابية والسلبية • كما فصله المحقق السيالكوتي
في تعليقاته على حاشية الخيالي ، وقد نقلناها لكم آنفاً •

وأما الكسب عند الشيخ أبي منصور المأثريدي هو توجيه قدرته إلى
مراده ، فعلاً أو تركاً ، بعد علمه وانبعث شوق منه إلى توجه إرادته
وتخصيصها لذلك المراد • فذلك التوجيه هو من نفس العبد ، وفوض
الباري تعالى عباده إلى ذلك التوجيه • فالتوجيه من العباد ومن
تصرفاتهم ، وليس ذلك عيناً ولا عرضاً من الأعراض ، وإنما هو أمر
اعتباري ناشئ مما سبقه من العلم والشوق والاختيار • وقد دلت على
نسبته إليهم آيات كثيرة ، نحو قوله تعالى : « لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ » (البقرة / ٢٨٦) ونسبة العمل والصنع
إليهم بما لا يقبل الشك في أن ذلك التوجيه محوّل إلى العباد ليكونوا
مثابين أو معاقبين ، وهذا الفكر ظاهر لا ينكره العاقل • فإن كنت أيها
المسلم من أهل التفويض والتسليم اعتقد فكرة الشيخ أبي حسن
الأشعري • وإن كنت من أهل الاعتماد على ما ظهر عندك من الأسباب
فاعتقد فكرة الشيخ أبي منصور ، نصرك الله تعالى على جيوش أوهام
القدرية ، القائلين بخلق العباد لأفعالهم • والجبرية القائلين بعدم إعتبار
العبد في الميدان •

تَوَجَّهَ الإرادة الجزئية
فذلك التوجيه كسب العبد
وذلك أمر اعتباري له
فإن تفوض، كن بمثل الأشعري
وإن ترد سهلاً من الأمور
إن قلت اكساب العبيد كلها^(٣)
وعلمه لا يتخلف عنه
فصار مضطراً به العبيد
قلنا : لقد جرى له من الأزل
فصار علم الله حاكياً لما
ثبت اختيار عبد فيه
علاوة عن ذاك فاطر فوق
الله عالم بفعل نفسه
لو كان علم "موجب" اضطرار
إذ ليس للمعلوم من تخلف

لما ارتضى من خير أو بليه
أعطاه ربه بوجه الحد
فوضه إليه حقاً ربه
حتى ترى من كل تأثير بري
فكن على رأي أبي منصور
معلومة لله بدءاً و انتهاء
يوجد حتماً مثل ما علمه
فيما من المكسوب عنه يبدو
علم "بما باختياره حصل
يحصل من فعل العبيد سالماً
ومن درى جوابنا يكفيه
إن كنت ممن يعتريه الذوق
واختياره لفعل شخصه
لا تتقضى الأصل بفعل الباري
عن علمه يدره كل منصف

(٣) قول الناظم : إن قلت اكساب العبيد الى آخر الجواب • عبارة عن
اعتراض وجوابه • والاعتراض هو أنه يقول الخصم : أأنتم يا أهل
السنة معترفون بأن الخلق من الباري ، وهو أزلا وأبداً عالم بجميع
ما يحدث في الكائنات ، وكل ما تعلق علمه بحدوثه في المستقبل يجب
وجوده فيه ، وما تعلق علمه بعدمه يمتنع حدوثه ، فما معنى كسب
العبد وجوده بينهما ؟ فالجواب : هو أن الله عالم بأن العبد الفلاني
بعد تزويده بالعقل والعلم والارادة يختار ذلك الشيء ، فالعلم حاك لما
يفعله أو يتركه باختياره ، وإلا لزم إيجاب الباري تعالى أيضاً ، لعلمه
أزلاً بما يخلقه في المستقبل مع أنه مختار في أفعاله مطلقاً •

وليس يرضى لعبيد كفرا ولا فسوقاً خفية أو جهراً
لكنه أراد ما قد حصلنا لأنها تتبع علماً شاملاً
فالعلم كاشف لما سيوجد والعبد كاسب وربى موجد

« الثواب والعقاب »

يثيب اهل الخير من إحسانه يعاقب المجرم عن ميزانه
يمكن أن يعذب المطيعاً ويكرم العاصي لو شنيعاً
لكن سنة الإله قد جرت بما من النصوص قد تواترت

(١) قول الناظم : يثيب أهل الخير • بيان للشؤون الفعلية الصادرة منه تعالى ، الناشئة من خلقه • وحاصله أنه لما ثبت أن الله واجب الوجود ، المتصف بكل كمال ، علم أن جميع ما خلقه تحت ملكه وقدرته ، فإثابته للعاملين به الخيرات فضل منه ، وعقابه للعاملين بالمعاصي عدل منه • وله أن يعكس الأمر ، لأن كل ذلك تصرف في ملكه ، ووفاء بما أخبر به من الثواب والعقاب وإن كان محتملاً لا ريب فيه لكنه ناتج من إخباره به ووعدده الذي لا يخلفه ، لا من حيث انذات ، لما قلنا آنفاً أنه مالك ، ومملك مطلق التصرف يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد • علاوة جميع ما يفعله العبد من الصالحات لا يفي بأداء واجب نعمه تعالى عليه فكيف تجب الإثابة عليه ؟

ولا يخلف الباري وعده ووعيده ، بمقتضى فضله وعدله لا للوجوب عليه • علاوة كل من الوعد والوعيد مقيد بالشيئة كقوله : «يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ» (آل عمران / ١٢٩) والأمر

←

للخير الثواب والترفيه وللشر النار والتشنيع
لا يخلف الوعد ولا الوعيد لكل بالمشيئة التقييد

« اللطف والغذل »

هناك نكتة مهمة جلت وسرها من ربنا عز وجل
اللطف بالتوفيق للطاعات والخذل بالحرمان في الساعات
وأمر هذين من أسرار القدر يعجز عن كشفه إدراك البشر

« التكليف »

مفهومنا^(١) الواجب والممتنع وممكن خاص له متسع
ينقسم الممكن قسمين هنا معتادنا وغير معتاد لنا

المربوط بها لا مجال للقول بوجوبه • فإنه تعالى متصرف بلا مانع وله
اللطف والرحمة والتوفيق وتيسير اسباب الخير لمن أراد ، وذلك فضل
منه • وله الخذل وعدم المساعدة إن شاء ولا عتب يتوجه عليه ، لانه
تعالى أعطى العباد القوى والاسباب من العقل والعلم والإرشاد ، ومن
الأنبياء والمرسلين ، فإضاعتهم لها سوء تصرف من أنفسهم على أنفسهم ،
فلا لوم إلا عليهم في ما إذا صرفوا طاقاتهم في السيئات وترك الحسنات •

التكليف

(١) قول الناظم : مفهومنا : قد سبق منه تقسيم المفهوم الى الأقسام الثلاثة ،
وإعادته تمهيداً لأبحاث حولها • وقد علمت أن من الممكن الذاتي مالا مانع

ولم يقع تكليف ذات الباري بغير معتادٍ من المختار
لكنه يجوز أن يكلفاً به ، ولم يقع على ما عرفنا

من وجوده ولا عدمه ، ومنه ما يمتنع لتعلق العلم بعدم وقوعه أو
يمتنع عادة ، وقلنا إن جميع المعجزات والكرامات من هذا القسم .
وقد اتفقوا على أنه لم يقع تكليف بالمتنع الذاتي ولا بالممكن
الذاتي الذي هو ممتنع عادة . فقال : « لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا
إِلَّا وُسْعَهَا » (البقرة / ٢٨٦) ولكن اختلفوا في جواز التكليف
بهما .

وجمهورنا على جوازه ، إذ ليس الغاية من التكليف الإتيان بالمكلف به
حتى أن ذلك التكليف عبث وحشو . فقد يكون التكليف للابتلاء أو
الامتحان لظهور أحوال الناس بين العباد مثلاً . وقد اعترض بعض
على ما قلنا بأنه ورد التكليف من الله تعالى وتوجه إلى المشركين أمثال
أبي جهل وأبي لهب بالإيمان بجميع ما جاء به سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم ، ومن ذلك قوله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ
عَلَيْهِمْ أَوَّلَ نَذَرٍ تَهَمُّ أَم لَمْ تَنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ »
(البقرة / ٦) وذلك التكليف بتكليف بالمتنع الذاتي ، لأنهم كلفوا
بالإيمان بالقرآن ، وفيه أنه لا يؤمن به ، وذلك تكليف يجمع الإيمان
مع عدم الإيمان ، وذلك جمع النقيضين ، وفيه أيضاً تكليف بشيء يجدون
في أنفسهم خلافه ، لأن قلوبهم مطبوعة على إنكار الرسول وعدائه
ومعاندته ، وقد كلفوا بالإيمان والتسليم له ومحبته ، وذلك كتكليف
شخص يعلم قضية بأنه لا يعلمها .

وإن كان هو الوجه الثاني ضعيف ، لأنه يجوز أن يقال : إن التكليف
بذلك تكليف بمباشرة أدلة ومقدمات تهديهم إلى إزالة ذلك العناد ،
ولو تدريجاً .

وجاز تكليفه بالمتنوع ذاتا ولكن لم يقع في الواقع
إذ ليس فعله على التعليل بفرض كفعلنا العليل
ولو فرضنا أنه معكّل جاز للاختبار حين نُسألُ

والجواب عنه : إن تكليفهم بالإيمان كان قبل نزول تلك الآية الكريمة ،
يعني أنهم كلفوا بشيء علم الله أنه لا يتحقق ، وذلك تكليف بالممكن
الذاتي الممتنع ، لتعلق علمه تعالى بعدم حدوثه ، وليس تكليفاً بالمتنوع
الذاتي .

والآية الكريمة نزلت بعد إصرارهم على الكفر ، ليأس الرسول من
إيمانهم ، وعدم إتعاب نفسه في ذلك الشيء .

وما يقال : إن ذلك التكليف تكليف صوري ليس تكليفاً واقعياً ، لأن الله علم
أنهم لا يؤمنون . فالتكليف بشيء إنما هو في الصورة لا في الحقيقة ،
يجاب عنه : بأن كلامنا في ما يسمى تكليفاً ، لا فيما يعلم الله تعالى عدم
وجود المكلف به . وإلا لزم أن يكون جميع التكاليف التي لم يأت
المكلفون بما كلفوا به تكليفاً عبثاً ، وحاشا الباري عن مباشرة العبث ،
فإن في كلها قوائد وحكما ومصالح يعلمها المختصون بها .

ومن العقائد المنتزعة لأهل السنة : أن الله تعالى خالق كل شيء ،
أراد وجوده وشمله علمه ، مع أنه لا يرضى لعباده الكفر والفسوق ولا
يحبها ، بل يبغضها ، ويبغض أصحابها ، ولعن الظالمين . فليس كل مراد
مرضياً ولا محبوباً ، وكل مأمور به مرضي ومحبوب ، ولا يلزم منه أن
يكون مراده فقد أمر بإيمان المشركين ولم يكن مراداً ، لأنه علم أن
بعضاً منهم لا يؤمن . فبين الأمر والرضا والمحبة مساواة في التحقق ،
فكل مأمور به مرضي ومحبوب وبالعكس وبين الأمر والرضا والمحبة
وبين الإرادة عموم وخصوص من وجه لاجتماع كل من الثلاثة مع
الإرادة واقتراحها عنها .

وممكن ليس بمعتاد لنا^(٢) يخلقه الله لأصفائنا
وذاك من خوارق العادات كمعجزات الرسل للإثبات

(٢) قول الناظم : وممكن ليس بمعتاد لنا • بيان لبعض الممكنات الخارقة للعادة ، يخلقه الله للرسل الكرام ولأوليائه وأحبائه ، ومقصوده أنه ليس من الممتنع الذاتي ، بل من الممكن الذاتي الممتنع عادة يخلقه الله للرسل لإثبات دعواهم الرسالة ، ولا دخل للتعلم والاكتساب والأسباب العادية فيها ، لأنه كما أن الوحي ليس مكتسباً كان سبب اثباته غير مكتسب ، وبذلك تفارق المعجزة السحر المرتب على الأسباب الدقيقة وتحصل بالدراسة •

ومنها كرامات الأولياء ، والولي : هو العارف بالله العالم بأمور دينه ، المتبع للكتاب والسنة بحيث يعتبر من أهل العدالة الشرعية لا من الفاسقين المباشرين للأمور الدنيّة ، فحاشا من فسق عن إعانة الباري بالكرامة ، وإذا ظهر منها له شيء دخل في الاستدراج • وللولي بهذا المعنى درجات :

الأولى : درجة المتقين ، لقوله تعالى : « إِنَّ أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ » (الانفال / ٣٤) والتقوى ابتعاد عن الكفر والكبائر والدنايا •

الثانية : دوام أهل الاستقامة والطاعة في السراء والضراء ، وفي القلّة والعلّة والذلّة • لا يزعمهم حب الدنيا والخوف والجهل عن إطاعة الله تعالى ، لقوله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ » (فصلت / ٣٠) ونزول الملائكة عليهم عند الشدائد وعند السكرات وعند البعث والنشور •

الثالثة : درجة من لا يغفل عن ربه وقتاً من الأوقات ، كما نهى الله تعالى

عند ادعاء الرسل الرسالة
 كذا كرامة للأولياء
 وأولياء أمة الرسول
 من استجابة الدعاء العام
 وذاك خارق لعادات الورى
 وليس من فن ولا من مكسبة
 وما جرى معجزة للأنبياء
 لأنه يكون إعزاز الرسل
 من خالق العالم ذي الجلالة
 من آلٍ أو من صلب أصفاء
 أهل التقى ورتبة الوصول
 أو الشفا لصاحب الأسقام
 تأييدهم به لدينا ظهرا
 بل جاءهم من الإله موهبة
 يمكن في اعزاز شأن الأولياء
 أمته خادمه جزء لِكُلِّ

حبيه (صلى الله عليه وسلم) وقال له : « وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ »
 (الاعراف) : « وَلَا تَطْعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ »
 ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا » (الكهف / ٢٨)
 فاولئك تظهر لهم كرامات بدون مكاسبهم لها . كما ثبت في قصة مريم
 عليها السلام ، وقصة أصحاب الكهف ، وقصة الخضر على ما في تفسير
 القرطبي وروح المعاني من ورود الحديث الشريف بأن ذلك العبد
 هو الخضر ، وكما في قصة صاحب سليمان عليه السلام . وفي الحديث الشريف
 إكرامهم رواية من الله عز وجل في درجاتهم ، وأن معاداتهم معادة لله
 تعالى ، وفي كتاب الموافقات للشاطبي في أصول الفقه في الجزء الثاني
 منه : إنه كل رسول كانت له معجزة فمن أمته أولياء مكرمون بما يشبه
 تلك المعجزة ، لأن كرامتهم تأييد لمعجزات رسلهم .

والأولياء المعروفون بأهل الطريق هم المتصفون بالصفات المذكورة ،
 ومعنى الطريقة لهم : إن لكل منهم طريقة ومنهجاً خاصاً في اتباع الرسول
 عليه الصلاة والسلام ، من تلاوة القرآن ، والذكر ، والتهليل ،
 والتسبيح ، والإحسان ، والصدقات الواجبة والمسئونة . فهم خيار
 الأمة رحمهم الله تعالى ونفعنا ببركاتهم آمين .

تابع منهاج رسول الله
ان يخلق الله له الكرامة
ورد في السنة والكتاب
والله دائماً على التخفيف
من كان عن تكليف ربي غافلاً
كانوا على الغفلة والجهالة
إليه أيضاً حكمه التخفيف
وبالهوى يغلبه التسويف
ووجهه مثل الوجوه الباسرة

إذ الولي عارف بالله
حاشا الذي يفسق بالثأمة
مثاله يكثر في الحساب
فلنرجعن لمبحث التكليف
فلا يكلف المجانين ولا
وأهل فترة عن الرسالة
وكل من لم يصل التكليف
لكن من بلغه التكليف
فإنه معذب في الآخرة

(٣) قول الناظم : فلا يكلف المجانين • دلت النصوص على أن من لم يصل
حد الرشد لا يكلف ولا يتوجه إليه خطاب التكليف ، فلا إثم عليه في ما
اقترفه ، لكنه يتوجه إليه خطاب الوضع فيضمن الحقوق المالية وسائر
ما تتج منه حفظاً للنظام ، وكذا لا يكلف الغافل وهو من لا يدري
الأحكام التكليفية ، كمن كان في قطر بعيد من العالم ، أو أعماق الوديان
المهجورة ، أو الجزر في المحيطات إذا لم يصل إليه النداء والدعوة
الإسلامية • ومن الغافلين أهل الفترة ، وانقطاع الوحي كالثلاث الأخير
في الزمن الواقع بين سيدنا اسماعيل وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم •
ومن النصوص الدالة على ذلك آيات عديدة كقوله تعالى : « قَدْ
جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُولِ »
(المائدة / ١٩) • وقوله تعالى : « لَتَنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَيْهِمْ مِنْ
نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ » (السجدة / ٣) •
وقوله تعالى : « لَتَنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَذَرُ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ
غَافِلُونَ » (يس / ٦) •

ومن طغى عليهم الأشراف عذاب من غلبهم أضعاف
هذا الذي جاء به القرآن وقد أتى في السنة البيان

« الاستطاعة »

تكليفنا مداره استطاعة^(١) تفسيرها طاقتنا للطاعة
والطاقة القوة حسب الباب بيانها سلامة الأسباب

كما دل على عدم المحاسبة وتعذيب الآخرة لهم آيات كقوله تعالى :
« وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا » (الاسراء / ١٥) •

ويظهر منها ظهوراً كاملاً أن الآباء الأقربين للرسول صلى الله عليه
وسلم ، وبالأخص أبواه عبدالله وآمنة رضي الله عنهما ، لما كانوا من
أهل الفترة بل من أبعدهم فيها لم يستحقوا العذاب والعقاب في الآخرة ،
وأنهم من أهل الجنة ، لأنهم لما لم يكونوا من أهل العذاب ليدخلوا
الجحيم كانوا من أهل الراحة ، ويدخلون الجنة ، إذ لا مقام سوى
الجنة والنار ، كما لا منزل بين الإيمان والكفر •

وما روي أن الله تعالى أحياهما في قبورهما وآمنا بسيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم كان لأجل نيل شرف الإيمان به ، لا للخلاص من
عذاب النار • وعليه فلا اعتبار لما روي من كونهما معذبين لمخالفته
لتلك النصوص المذكورة ، ولو فرضنا ثبوت ذلك المروي ، فيحمل على
أنه كان قبل نزولها واطلاع الرسول صلى الله عليه وسلم على أحوالهما •

(١) قول الناظم : تكليفنا مداره استطاعة • الاستطاعة في اللغة : الاقتدار
والقوة على القيام بالمقصود أيا كان • وهي عرفاً : القدرة التي تكون

تكون قبل فعلنا وبعده كما ترى ذات قران معه
والأشعري حيث قال إنها تقارن العمل قصده بها
القوة التي بها المباشرة وهي القرينة بلا منازرة
أما بقاء العرض من بعدما كان ، ففيه اختلاف العلماء

« الرزق منه حرام ومنه حلال »

ورزقنا من ربنا تعالى^(١) يصلنا حراماً أو حلالاً
كسب الحرام عمل شنيع لذاك يأتي اللوم والتشنيع

بها الفعل ، ولا شك أنها بهذا المعنى مع الفعل • وهل تكون هذه
القوة قبل الفعل وبعده كما يكون مع الفعل ؟ الجمهور على أنها يكون
قبله وبعده ، كما كانت معه ، لأنها صفة العامل ، وهي كذلك •

ونقل عن الإمام الأشعري أنها لا تكون إلا مع الفعل ، فإذا أراد أن
القوة التي تكون مع المباشرة به فذلك ظاهر لا يمكن أن ينكره عاقل ،
وإن أراد أنها عرض والعرض لا يبقى زمانين فالأشاعرة خالفوه في هذا
الرأي ، وحكموا بجواز دوام العرض إلى ما شاء الله •

ولما اعترضوا عليه بأن رأيه يستلزم أن تكون التكاليف متوجهة إلى
العاجزين عن العمل ، لأنه لا قوة لهم عليه إلا عنده • • أجاب عن اعتراضهم
بأن مدار التكليف الاستطاعة بمعنى سلامة الأسباب لا القوة التي بها
الفعل المكلف به •

الرزق منه حرام ومنه حلال

(١) قول الناظم : ورزقنا من ربنا تعالى • تفصيل المقام : أن الرزق في

العرف : ما ساقه الله تعالى إلى المرزوقين والمرزوقات ما يحتاجون

←

نص « وما من دابة » صريح
وسنة الرسول في أخبار
ومثلها أمثالها ترشيح
ثابتة كالشمس في النهار

« الاجل واحد »

قرر عمرنا الإله الباقي^(١) معلومه المحتوم باتفاق
من بعده جاء بالاصطناع خلافه من أهل الابتداع

إليه من المآكل والمشارب والمساكن والملابس ونحوها • وهذا الرزق
كسائر المكتسبات قد يهبه الله بدون اكتساب لمن شاء كما شاء ، وقد
يكون باكتساب المرزوق ، فإن كان اكتسابه بطريقة مشروعة فهو
حلال ، وإلا فهو حرام ، كما يحصل بالعدوان كيف كان ، ولكن انكل
رزق • والإنسان معذب على كسبه بسوء الأدب • والدليل عليه
آيات ، كقوله تعالى : « وما من دابة في الأرض إلا على الله
رزقها » (هود / ٦) وخالف المعتزلة في ذلك بشبهة أنه لا يجوز
لله إعطاء شيء حرام لعبد من عباده من غير جهة مشروعة ، وشبهتهم
باطلة ، لأن كسب الرزق كسائر المكاسب فكاسبها هو العباد ، وخالفها
هو الله تعالى ، والفساد في سوء مباشرة العبد ، وليس يعود إلى خلق
الباري تعالى •

الاجل واحد

(١) قول الناظم : قرر عمرنا الإله الباقي • المقرر عند علماء الأصول : أن
الاجل بمعنى كل مدة بقاء الحي ، أو بمعنى اللحظة الأخيرة ، وقت
محدد ومعلوم عند الباري ، وعلمه قطعي ثابت ، فالمقتول ميت بأجله ،
وعقابه على القاتل ، على أنه جاء بسبب غير مشروع لزهوق روح
المقتول • ومن خالف هذا بتقسيمه الأجل إلى الطبيعي على ما أبداه من
بقاء ذلك الإنسان إلى مائة سنة ، أو اجل انخراמי بالقتل أو الحرق أو

والأجل الخرمي بالآفات أو الطبيعي على الأوقات
فكرة من يمشي على الأوهام تخالف المعلوم في الاسلام
لأننا نربطه بالعلم فليس فيه خلف أهل الحلم
والأجل المعلوم لله العلي منفرد وفيه نصه الجلي

« يجوز غفران ذنوب التائب وغيره »

ويغفر الله لمن تاب ومن (١) لم يتب إن شاء الإله ذو المنن
لكن أتى نص الإله فاتبه الله لا يغفر أن يشرك به

الفرق بنى كلامه على خيالاته ، لا على ما نزل من آيات الله وعلمه
تعالى .

يجوز غفران ذنوب التائب وغيره

(١) قول الناظم : ويغفر الله لمن تاب . أجمع أئمة الدين على أن مغفرة
الذنوب حق من حقوقه تعالى ، فله ان يغفر للمذنب ولو بلغت ذنوبه
عنان السماء ، سواء تاب عنها المذنب أولا . ويدل عليه النصوص من
الكتاب والسنة ، وخالفت المعتزلة فيه وقالوا : مشروطة بالتوبة ، فإن
تاب المذنب وجب العفو على الباري ، وإلا وجب العقاب ، وكل ذلك
على أصولهم الفاسدة الباطلة ، لأن العبادة طاعة ، والطاعة حقه ،
والمعصية على أنواعه من مخالفة النهي ، وكل ذلك يعود إليه ، فجاز
العفو ، تاب المذنب أولا .

نعم ورد النص بأنه لا يغفر أن يشرك به ، وأجمعت الأمة على أن سائر
أنواع الكفر كإنكار الرسالة أو البعث أو غيرهما كذلك فلا مفهوم
لذكر الشرك ، وإنما خصه بالذكر لأن الكفر كان بصورة الإشراف ،

ومثل شرك كل كفر جار من مجتمعات ديننا المختار
وذاك سهل ممكن بالعقل وامتناعه لنص النقل
إذ كفره معتقد مؤبد وفاقه عذابه المخلد
وغيره مما به عصيانه يدفعه إكرامه احسانه
ولو كبيرةً فما من شأنها اخراجها للنفس عن إيمانها

« الكبائر »

كبائر الذنوب ما قد جاء حد^(١) عليه أو عليه قد توعده
قالوا هي السبعون بل قد قالوا سبعمائة أقرب مما قالوا

وأجمعت على أن جزاءه العذاب المؤبد ، لأن صاحبه له اعتقاد الكفر وان
يثبت عليه خالداً ، قال تعالى : « وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا
عَنْهُ » (الانعام / ٢٨) فجزاؤه الموافق لاعتقاده جزاء خالد .
لكنهم اختلفوا بعد الاتفاق على أنه لا يفر أن يكفر به هل يجوز عقلا
أم لا بين نعم ولا ؟ والراجح جوازه عقلاً ، وإن امتنع وقوع العفو
عنه نقلاً ، كما قاله السعد في شرح النسفية .

الكبائر

(١) قول الناظم : كبائر الذنوب . دلت النصوص على انقسام الذنوب
إلى الكبائر والصغائر قال تعالى : « إِنَّ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا
تُنْهَوْنَ عَنْهُ تُكْفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ » (النساء / ٣١)
واختلفت الآراء في ضبط الكبائر ، والراجح أنها : كل جريمة تشعر بعدم
اهتمام صاحبها بالدين ، سواء ورد الحد عليه كما في الكفر والقتل والزنا
وقطع الطريق والسرقة وشرب المسكرات ، او ورد عليه الوعيد الشديد
بالعقاب عليه ، أولاً ، لكن على وزان ما سبق كالإفساد بين المسلمين

أكبرها الكفر فقتل ، فزنا
شهادة الزور كذا بهتان
قطع الطريق ، الغصب ، نهب المال
وأكل مال الوقف واليتامى
منع الزكاة فيه قحط قاما
شرب الخمر ، وقمار الناس
تولية الأمور في الاسلام
كذا قبولها كبير ذنب
إفساد أمة على الإمام
ومنع تعليم علوم الدين
خيانة الأمانة المستودعة
عقوقنا للوالدين ذنب
نميمة بين الوري كيرة
نقض العهود من شعار الكفرة ،
كبائر الذنوب لا تعد
تهاون الآباء حول التربية
ومن هنا قد جاءت الولايات
يا رب نورنا بأنوار الهدى

إفساد ما بين العباد الأمن
وشاية لمن له سلطان
لأسيما من صاحب العيال
اكل الربا يلقي به أثاما
منع شعار الدين عن راما
والمكر في أخذ حقوق الناس
من ليس أهلا أخطر الآثام
إهمال أهلها خطير خطب
ايقاظ فتنة على الانام
شعار أهل الكفر باليقين
لأسيما من الخفيات معه
وقطع الأرحام مهم خطب
وإنها لفتنة خطيرة
والكذب ، والنفاق ، خلق الفجرة
تهاون في الدين رسم حاد
كبيرة تعمية وتغيية
عم البلاد الشر والظلمات
ونجنا لطفاً مصائب العدا

والوشاية والسعاية ونحوها • وعددها غير مضبوط ، لأنها قد يحدث
مالا تظير له في الذنوب ، وإن ناسب بعضها منها ، وفي النظم عدد كثير ،
وقالوا إنها أقرب إلى سبعمائة من سبعين •

والحق ما قلنا إنها لا تعد ولا تحصى والله اعلم ، ولا تخرج المؤمن
عن إيمانه بشهادة النصوص المفيدة لإيمان أهلها وإجراء الحد عليهم ،
ودفنهم في مقابر المسلمين •

« غفران الكبائر »

ووعده الله لتاركيهما	غفران غيرها وذا يكفيها
والحد حقا سبب الغفران	لما جرى عليه من عصيان
لقاتل وقاذف وسارق	وقاطع الطريق عن خلائق
وشارب الخمر العنود العامل	مضيع ماله وعقل العاقل

« التوبة واجبة »

وتجب التوبة عن ذنوب ^(١)	وشرطها في الدفع للكروب
رد الظلامة الى أصحابها	وندمه عن كل ما أتى بها
وعزمه أن لا يعود أبداً	لمثلها أو غيرها مما بدا

(١) قول الناظم : وتجب التوبة • وجوب التوبة على العاص منصوص في الكتاب والسنة ، وأجمعت الأئمة عليه ، ومعناها الرجوع الى طاعة الله تعالى • وشرط تحققها : رد الظلامة أي ما ظلم بأخذه الى أصحابها بحسب الامكان بلا تماهل وتكاسل أو استبراء الذمة منهم ما داموا موجودين وسهل عادة وصول التائب إليهم بالذات أو بالكتابة أو السفارة ، وإذا استحال ذلك صرف بدلها في فقراء المسلمين ، لأن الظلامة عادت الى بيت المال • والندم النفسي على ما صدر منه • وعزمه على أن لا يعود إليها لكونها ذنباً ومعصية فيكون غير ما صدر منه ، مثلها في وجوب العزم على أن لا يعود إليه ، وبعد التوبة وتحقق الشرط دلت النصوص على أن الله تعالى يعفو عنه بل ويبدل سيئات التائبين بالחסنات •

الكبائر لا تخرج المرتكب عن الايمان

لا شيء منها يخرج المؤمن عن
إنا نرى النصوص في القرآن
لو أخرجتهم عنه لانصب الملل
وليس عند صاحب العرفان
إيمانه ، خلافه قول وهن
تصف اهل الفسق بالإيمان
إذ ليس ينجو الناس عن سوء العمل
الحكم بالكفر مع الإيمان

« تنفع الدعاء والصدقة لدفع البلاء »

يرد ربنا بلطفه البلاء^(١) بالصدقات والدعاء إن قبلا
فهي من الاسباب بانجلاء لرد ما نزل من بلاء

(١) قول الناظم : يرد ربنا بلطفه البلاء • تضافرت وتظاهرت النصوص من الكتاب والسنة على ان الدعوات والصدقات والحسنات لها دور مهم في رد البلايا ودفعها قبل النزول ورفعها بعده • وخالف في ذلك بعض بشبهة أن الله تعالى اذا قضى ببلية كيف كانت لا بد من تحققه ، لأن تخلف المقضي عن القضاء ، وتخلف المعلول عن علته ممتنع • ولكن الحق الحقيق بالقبول أن المخالف لم ينظر إلى حقيقة الأمر ، بل الحقيقة هي أن الله تعالى كما قدر وقرر التداعي للمرضى ، لأن الله تعالى جعله سبباً لرفع ذلك المرض كذلك قرر أزالاً أن الدعاء أو الصدقات أو الحسنات كصلة الأرحام ، وإسعاف المحتاجين من أسباب دفع أو رفع تلك البلية أو ذلك المرض فقدر وعلم أن زيدا سيتمرض وأن وسيلة شفائه شرب دواء فلاني أو دعاء من شخص أو صدقة منه على الفقراء ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « حصنوا أموالكم بالزكاة ، وداوا مرضاكم بالصدقة » (رواه ابو داود في المراسيل ، ورواه الطبراني والبيهقي وغيرهما عن جماعة من الصحابة

وليس معنى ذلك ان الله قد
والصدقات والدعا تدفعها
فان رد ما قضى محال
بل قصدنا الله كما قضى بها
كصدقات أو دعاء داعي
مثل قضاء الله بالدواء
اذ قد جرى في علمه العباب
والنص في السنة والكتاب
كما الدواء من طيب نافع
وقد يثرى الدواء غير نافع
وحاصل القول لنا أنهما
وليس معنى ذلكم أن الدعا
وكلما قد خلتا عن نفع
إن البلاء من جنود الله
والصدقات والدواء والدعا
وهذه عقيدة الاسلام

قضى بكرب مثل محنة الرمد
أو بعد أن قد نزلت يرفعها
وليس في اثباته مجال
ايضاً قضى بسبب لدفعها
أو بدواء حاذق تفاع
شفاء من يلوه بالبلاء
ربط المسببات بالأسباب
من باب توجيه الى الأسباب
لوجع اعضاء المصاب رافع
ولأذى المريض غير رافع
مع المسببات قد شاءهما
يرد قهراً ما به الله قضى
فليستا سبب ذاك الدفع
لا يعلم الجنود غير الله
من جنده أيضاً إذا قد نفعها
فاعتقدنها في قضا العلام

مرفوعا متصلا والمرسل أشبه) • والاحسان على أساس اصحاب تلك
الأمور قد جرى قضاؤه تعالى بأن عمله الفلاني سبب لرفع تلك البلايا
فيأتي بها الإنسان فإن كان جرى عمله تعالى بأن ذلك سبب له سيقرب
عليه شفاء والله اعلم •

« العدل والفضل »

لربنا بابان مفتوحان^(١) لكافة الأنام مسموحان
باب لعدل ربنا في حكمه باب لفضل ربنا في حلمه

(١) قول الناظم : لربنا بابان الخ • بيان لأمر مهم يدور عليه بحث الناس سلباً وإيجاباً ، وهو أن ظاهر النصوص من الكتاب والسنة وعمل الصالحين على أنه كما أن الإنسان ينتفع بما عمله من حسناته وقدمه في حياته كذلك ينتفع بدعاء الناس له ، والصدقة عنه ، وكذلك بمجاورة الأبرار في المقابر وبشفاعة الرسول وكبار أئمة له • وعليه فقد قرر المحققون أن لله سبحانه وتعالى باين : أولهما : باب العدل : وهو عبارة عن جزاء كل عامل بعمل نفسه ذاتاً أو ما يعد من أعماله ذاتاً كما قدّمه من الصدقات الجارية ، أو علم علمه الناس ، فانتشر بعد مماته ، أو ولد يدعو له • فان كل ذلك مثل ما عمله في حياته • وعلى ذلك ورد قوله تعالى : (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) (البقرة/ ٢٨٦) وقوله صلى الله عليه وسلم : « وَالْمَرْءُ مجزيٌ بِعَمَلِهِ » •

وثانيهما : باب الفضل والرحمة : وهذا عبارة عن إيصال صدقات الناس ودعواتهم ومبركاتهم بنية وصول ثوابها إليه •

أما الدعاء ففي الكتاب والسنة النبوية ما يغني المنصف عن كل تعب حيث إن دعاء الرسل لأمتهم وارد بكثرة ، وكذا دعاء الخلف للسلف • أما الصدقة فيكفي الناظر أضحيتة صلى الله عليه وسلم ، لأئمة ، وأمره سعد ابن الربيع بالتصدق عن أمه التي توفيت في غياب السعد عنها ، حيث كان في غزوة معه ، ولما رجع وعلم بموتها وتأسف وذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتيه هل ينفع أمه صدقة عنها ؟

حسب كتاب ليس فيه من خلل
جزاؤهم مقرر وفاقا
يختم للعباد دفتر العمل
في كل ما قدمه لقدمه
كصدقات بقيت من ماله
وقفه من مستغل داوما
علمه الناس بوافي الحلم
كأنه عمله في حاله

حسب ميزانٍ سليم للعمل
إيماناً أو كفراً ولو تفاقا
حتى إذا جاء عباده الأجل
ينقطع عمله لنفسه
إلا الذي يعد من أعماله
بناء مسجد ومستشفى وما
أو ولد يدعو له أو علم
فهذه يحسب من أعماله

فأمره صلى الله عليه وسلم بالتصدق عنها ، وقرر وقف بستانٍ له من
خير بساتين المدينة المنورة وفقاً عاماً ، على اعتبار وصول ثوابه الى
روح امه المرحومة • وذلك أول وقف في الاسلام (اخرجه البخاري
عن ابن عباس) • وأما القراءات يكفي المؤمنين قوله صلى الله عليه
وسلم : « إِقْرَؤْا يَسَّ عَلَى مَوْتَاكُم » (رواه ابو داود وابن
حبان وصححه) ، فإنه إذا أخذنا بظاهره وهو نص في نفع قراءة
« يس » على الموتى مقبورين اولاً ، وإذا أولناها بالمشرفين على
الموت ، فيستنبط منه أنه مادام قراءة « يس » ينفع الحي المشرف على
الموت ، فمعناه أنه ينفع الموتى أيضاً ، لأن الوصولين كليهما من باب
المعنويات الجارية ، فضلاً منه وكذا ما في شرح مسند احمد بن حنبل
من رواية الحاكم عن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم : « مَنْ زَارَ
قَبْرَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا وَقَرَأَ سُورَةَ « يس » كَانَ
لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ مَا قَرَأَ كَلِمَةً أَوْ حَرْفًا » (رواه
الحاكم) • كما يدل واضحاً ما في سورة الطور : « وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ »
(الطور / ٢١) •

قولُ «إذا مات ابن آدم انقطع
« أن ليس للانسان إلا ما سعى »
وعدله حكم على العباد
وما عدا ما عمَلْته بنفسه
صدقةً قراءة دعاء
وغيرها والكل باب الفضل
إن شئت أن تفهم ذلك سالما
واقراً باخلاص مع الشعور
ووقف سعد ابن ربيع كفى
أول وقفٍ كان في الاسلام
حديث حاكم بشرح مسند
كذلك ما روى بِصِدْق وصفنا
وقول أحمد إذا مرَّ البشير
الحمد والإخلاص إحدى عشره
« إقرؤا يس على موتاكم »
وقد جرى عمل أهل الدين
بختومات وكذا الفواتح
وصدقات من أولي الخيرات
والعلماء أهل عقل وثقى
نعم أقرَّوها لباب الفضل
إلا فمن يمنع فضل الرب

عمله » أي عمل منه وقع
من باب عدل ربنا قد وقعنا
بفعلهم من سوء أو رشاد
ولو وراء ما اختفى في رسمه
ديناً فيقضي غيرُه قضاء
واللطف من ربي إزاء الأهل (٢)
أولئك مع الذين أنعمنا
آية « ألحقنا بهم » في الطور
كحجةٍ لأهل علم وصفنا
وقفَه للأم باهتمام
أحمد حجة لدى المستند
من بر والدَيْن من بعد الوفا
على القبور وقرا من السور
جاء لأهلها الصفا بالبشره
من حضرة الرسول قد كفاكم
من سلف وخلف أمين
تفوح في الصدور خير فائح
تهدي من الأحياء للأموات
لم يمنعوا أصحاب ذاك مطلقا
ولم يُقرِّبوها لباب العدل
عن العباد غير لص الدرب ؟

(٢) أي المسلم ؛ لأن الله تعالى لا يغفر أن يشرك به . فالكافر ليس أهلاً
لذلك الفضل .

وباب فضل لا يسد إلا على شقي كافر تولى
هذا هو الصحيح من كلام وهو الصريح من هدى الاسلام

* * *

الجزاء بالجنة والنار عدلا وفضلا

على نظام عدله وفضله^(١) قد قرر الله جزاء أهله
فقرر العقاب بالنيران لصاحب الفسوق والكفران
وقرر الثواب بالجنان لصاحب الإيمان والإحسان

(٢) قول الناظم : على نظام عدله وفضله • يقول : لما خلق الله العالم وخلق فيه الإنس والجن للعبادة وأودع فيهم العقل والحواس وأيدهما بأرشد الخواص وهم الرسل الكرام ، وأنزل عليهم الكتاب والحكمة فمن أطاع ربه ، واشتغل بترك المنهيات وفعل المأمورات ، أو عصى عن ذلك ، فعلى تقرير بابي العدل والفضل يدخلهم في الآخرة داري الجزاء والأجر ، فمن كفر يدخل النار خالداً فيها ، وفاقاً لاعتقاده المؤبد ، ومن آمن وأطاع وأخلص ولم يفسق أدخل الجنة خالداً جزاء وفاقاً • ومن كان فيه الفسوق من المؤمنين فإن شاء عفا عنه ، وإن شاء عذبه بقدر استحقاقه ، ثم أخرجهم من دار العقاب وأرسله إلى الجنة والرضوان مؤبداً ، ولهم فيها ما تشتهيهِ الانفس وتلذذ الاعين •

وهاتان الداران : الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن في العالم • وظاهر بعض النصوص أن الجنة في الجانب الاعلى تحت عرش الرحمن ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « سقف الجنة عرش الرحمن » ولبعض روايات أخر • ولظاهر قصة خلق آدم وحواء ، وإسكانهما في الجنة ،

مؤبداً دار الجزاء الأبدى جزاء ما أبد من معتقد
ومؤمن وسخ بالعصيان عذابه حدد في أزمان
وتانك الداران في الأعيان مخلوقتان الآن بالبيان
من ذلك البيان ما قد حدثت بصيغة لما مضى (أعدت)
وهكذا آية (أسكن) وانتشر الأمر في إساكنه أبا البشر
والانحراف عن ظهور النص ليس بلائق لأهل القدس

وتوصيتهما أن لا يقربا الشجرة المعهودة • وإن الجنة فيها ما يريدونه
من النعيم • وقال لآدم : « إِنْ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ،
وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى » (طه / ١١٨) ومحل هكذا
لم يكن فيها المخالفات من البرد والحر والمجاعة والمضاعة ليس في عالم
الأرض • فثبت أن الجنة في السماء • ونظاهر قوله تعالى : « وَلَقَدْ
رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ
الْمَأْوَى » (النجم / ١٢ - ١٣) وإذا كانت الجنة هناك فلا يبعد أن
يكون الجحيم أيضا في جزء من العالم العلوي الواسع •

وقد أجمعت الأمة الاسلاميون على أن جنة أسكن فيها آدم في الجانب
الأعلى ، ولم يخالف ذلك قبل ظهور البدع والأهواء رأي المخالف لما
ذكرناه آنفا • علاوة على أن قوله تعالى : « سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ
مِّنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ
لِلْمُتَّقِينَ » (آل عمران / ١٣٣) أنها موجودة ومعدة لأهلها المتقين ،
وإن عرضها السموات والأرض ، ومكان يكون سعته كذلك لا يسعها
إلا العالم العلوي الذي لا يحيط ببعده وأبعاده إلا خالقه وما ينسب الى
الشيخ أبي منصور أنها جنة في الأرض قتل : مدهوس ، لا يليق بالنظر
والاعتماد ، مع أن قول واحد مخالف لظواهر النصوص والأمة
الاسلامية السابقة لا قيمة له أبداً ، هذا والانحراف عن ظهور النص
ليس بلائق لأهل القدس •

« رؤية المؤمنين لله تعالى في الآخرة »

ورؤية الله تعالى جائزة^(١) بحجة شرط قبول حائزة
ولست أحتج بما قد اشتهر من اشتراك في الوجود المعتبر

(١) قول الناظم : ورؤية الله تعالى إلخ • يريد به أن رؤية الله تعالى مثل
الخلق والإثابة والمعاقبة واللفظ والخذلان ونحوها من الصفات الفعلية
له تعالى ، لأنها أعم من نسبة الفعل إليه تعالى مباشرة ، مثل ما عدا
الرؤية ، أو من نسبته أولاً وبالذات إليه مثلها ، فإن المقصود أنا نرى الله
تعالى فيكون مرئياً لنا •

ثم إن الأصوليين استدلوا على جوازها عقلاً ، ووقوعها ووجوبها نقلاً ،
فاستدلوا على الجواز بأن هناك علة مشتركة بين الواجب والممكن ،
فكما أن الممكنات يجوز رؤيتها لتحقيق العلة القابلة وهي الوجود ،
فكذلك الباري تعالى يرى لتحقيقها فيه أيضاً • والأصوليون ضعفوا هذا
الدليل ، وقد تبعهم في ذلك ، وتركت ذلك التعليل ، واستدللت بما
بينته بقولي : إن الرؤية واجبة في الآخرة بدليل الآية والسنة النبوية ،
فهي من المحققات فيها ، وكل ما أمكن وجوده في ظرف من الظروف
الواقعية ثبت إمكانه في سائر الظروف ، ألا ترى أن جمع النقيضين
ورفعهما لما كان من الممتنع كان ممتنعاً في الدنيا والآخرة ؟

فالرؤية ما دامت ثابتة في الآخرة بقول المخبر الصادق من الله والرسول
ثبت إمكانها فيها ، وكل ما أمكن هناك فهو ممكن في كل ظرف • فرؤية
الله تعالى جائزة عقلاً كما أنها واجبة بالنقل السالم الثابت من الله
تعالى ومن أصدق من الله قليلاً • ومن الرسول الثابت صدقه بالمعجزة
التي تواتر وجودها عند المسلمين من السلف ومن يليهم إلى زماننا هذا •
وما اشتهر به المخالفون من كونها ممتنعة لوجوب تحقق شرائط

لأنه غير مسلم لنا
بل نحن نحتج بأن الرؤية
وما يكون في المعاد واقعا
وحجة الوقوع فيه ظاهرة
لأنها لذات رب ناظرة
قال الرسول : إنكم ترونه
وبالدليل الحق أعني المعجزة
وكل ما وقع في الوجود
وذا دليل للجواز عقلا
نصوصنا الظاهرة اللوائح
وليس من شرط صفات الباري
رؤيته كسائر الصفات
فنحو قرب البين والمقابلة
هذا الذي في ديننا نعتقد

مباين وجوده وجودنا
تقع في المعاد عليا منيته
جوازه حق ولن يمتنعا
وجوه أهل الحق فيه ناضرة
لا كوجوه الكافرين الباسرة
كالقمر في ليلة البدر له
ثبت صدقه بلا مؤاخذه
فلا امتناع له في الشهود
أما الدليل للوجوب نقلا
بدون أي مانع يكافح
ما هو معتاد لنا وجاري
صافية عن كدر الزلات
ليس لنا فيه أذى المجادلة
وكل ما خالفه نتقده

للرؤية من المقابلة بين الرائي والمرئي وتحديد المسافة بينهما على الاعتدال،
لا على القرب ولا على البعد المفرطين وكلها ممتنع في رؤية الله ، فالرؤية
له مستحيلة ، وغير ذلك من الموانع كلها باطل عندنا ، ومبني على قياس
الغائب على الشاهد ، وهو فاسد . فلتكن الرؤية كباقي صفاته تعالى
منزهة عن القياس .

الايمان بالملائكة

ثم لنا الإيمان بالملائكة^(١) وهي لجسم ذي صفاءٍ ماله
اجنحة مثنى وثلاث ورباع لهن في نص الكلام لاتساع

(١) قول الناظم : ثم لنا الايمان بالملائكة • أي الركن الثاني من أركان
الايمان الإيمان بالملائكة ، وتقديم هذا الركن على الباقي ، لأن وجود
ملائكة الوحي إلى الرسل وسيلة لظهور الرسالة والايمان بها وبغيرها •
والملائكة : أجسام لطيفة نورانية خلقها الله تعالى بأمر : كن فيكون •
وتقدر على التشكل بأشكال مختلفة طيبة ، ليس فيها ذكورة وأنوثة
وتناسل ، وخلق الله لها قوى على ما أمرت به • يقول الباري : « جَاعِلِ
الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ »
(فاطر / ١) •

ودوامها في طاعة الله تعالى ، قال تعالى : « لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا
أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ » (التحريم / ٦) • ولهم مراتب
متفاوتة ، ففي سورة الصافات : « وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ،
وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ »
(الصافات / ١٦٤ - ١٦٦) •

ولها أصناف كثيرة : منها : المقربون ، ومنهم جبرائيل أمين الوحي
والتنزيل ، وميكائيل مأمور الأرزاق ، وعزرائيل مأمور قبض الأرواح ،
وإسرافيل مأمور النفخ في الصور مرتين ، مرة لتدمير الجبال ، وتغيير
الأحوال ، وإماتة الأحياء ، والمرة الثانية لإحياء الموتى ، والبعث ،
والنشور •

ومنهم حملة العرش ، وعددهم في عالم الدنيا أربعة ، وفي عالم الآخرة
ثمانية • ومنهم المأمورون في السماوات أو في الهواء ، أو في البحار ، أو

مأمورة بأمر ذات لسم يزل مطيعة لأمره عز وجل
وتقبل الظهور في أشكال نظيفة ظاهرة الجمال
عن صفة الذكر والاثني براء إلا بخرق عادةٍ ليست تـرى
أصنافها كثيرة مشهورة في كتب اعتمدت مسطورة
قال الرسول : أطَّت السماءُ من ملك ، حقٌ له الصفاء

في البراري • ومنهم المأمور على الرياح والنبات والإنسان ، قال تعالى :
« إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ » (الطارق / ٤) قال تعالى :
« لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ »
مِنْ أَمْرِ اللَّهِ » (الرعد / ١١) • ومنهم الكاتبون لأعمال العباد ،
وعلى كل إنسان اثنان لكتابة الأعمال • ومنهم المأمورون لإغاثة
المضطرين •

وكذلك منهم مأمورون في عالم البرزخ للسؤال عن كل إنسان ميت من
المكلفين • ومأمورون لتنعيمه أو تعذيبه على حسب قوله صلى الله عليه
وسلم : « إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران »
(أخرجه ابن منده عن أبي سعيد الخدري ، ورواه الترمذي في باب
القيامة) • وعذاب البرزخ في القبر أو غيره ثابت بنص الكتاب والسنة ،
وكذلك سؤال الميت بعد الدفن أو غيره • وكذلك منهم مأمورون في البعث
والنشور قال تعالى : « وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ »
وَشَهِيدٌ » (ق / ٢١) • ومأمورون في الجحيم ، أصنافهم تسعة عشر ،
ورئيسهم مالك ، أي اسمه مالك ، وفي الجنة مأمورون منهم • وظاهر
الروايات أن أهل الدارين يرون الملائكة عياناً ، بخلاف ما في عالمنا ،
ومبلغ عددهم لا يعلمه إلا الله ، « وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ »
(المدثر / ٣١) • والتفصيل في الكتب المعتمدة من صحاح
الأحاديث الشريفة •

في طاعة الله بالسجود
من المقربين : جبرائيل
إليه أمر الوحي والتنزيل
إلى الرسول أحمد المختار
مامور رزق الله ميكائيل
« نحن قسمنا بينهم » يكفينا
لقبض روح الحي عزرائيل
نص « توفته » من الأنعام
ومنهم المأمور إسرافيل
ينفخ فيه مرتين للنسدا
صعق من في الأرض والسماء
من شاء الله من الملائك
تبعثر الأرض مع الجبال
ومرة ينفخ للإحياء
والأمر أمر الله ذي الجلال
حملة منهم لعرش الله
عددهم أربعة في يومنا
وسرها عند الخير لائح
منهم كرام الكاتين طرّا
ومنهم المعقبات اللاتي
ومنهم الحفظه لن يفوتوا
« إن كل نفس » إن قراها لافظ
والمرسلات العاصفات الناشرات
والنازعات الناشطات السائحات

والذكر والتسبيح للمعبود
روح « أمين » ملك جليل
لرسل الله على التفصيل
نزل به الروح الأمين الداري
بأمره في يده التحويل
لا نقص لا مزيد في أيدينا
وله مأمورون ، والدليل :
« رسلنا » متمم الكلام
ينفخ في صور به التهويل
زلزلة الساعة من الأولى بدا
بها فسبحان القدير الشائي
أو غيرهم بذك غير هالك
لا فرق بين نازل وعال
والحشر والوقفة بالعناء
والحكم للحكيم في الأعمال
أصحاب قوة وأهل جاه
وضعفها عند اتباه قومنا
وبطش ذي العرش جلي واضح
ويكتبون الخير ، ثم الشرا
لحفظ الإنسان من الآفات
على ذوي الحيا حتى يموتوا
وراءها : « لما عليها حافظ »
والفارقات بعدها والملقيات
والسابقات بعدها المدبرات

وكلها أوصاف ذي الملائكة
ومنهم المأمور للسؤال
وهذه فتنتنا إذ ربنا
ومنهم المأمور في السماء
حتى روي أن أمور الدنيا
للسمس والقمر والنجوم
كل عليه ملك مأمور
وجهلنا ليس دليل عدم
ومنهم المأمور للتنعيم
« وأغرقوا فأدخلوا » دليل
« يوم القيامة » يليه « أدخلوا »
« ثبت الله الذين آمنوا »
أمر الرسول صَحْبُهُ أن يسألوا
« القبر إما روضة » دليل
انقضاء غصنين على قبرين
بعد الممات عالم للبرزخ
وعالم البرزخ بين بيننا
وليس في دين الهدى أوهام
ومنهم السائق والشهيد
ومنهم المأمور للحساب
ومنهم المأمور للصراف
ومنهم المأمور في الأشرار
من استحق للعذاب هالك
ومنهم المأمور للجنان

في أمر رب العالمين سالكه
عن ميت للكشف عن أحوال
يعلم ما كان عليه دأبنا
للرعد والبرق وفي الهواء
على نظام جاذبات عليا
والشهب الثاقبة للرجوم
وعنده الأصول والدستور
فالعلم كشاف لما لم يعلم
في القبر أو تعذيبه الأليم
تعقيب « فاءٍ » ظاهر جميل
و « آل فرعون » له مفصل
الآية السؤال فيها كائن
ثبتت من قد دفنوا مفصل
محكمهم " مسلم " جليل
فيه الهدى لكل قلب زين
ما بين نشأتين لا تتورخ
للروح والجسم كرؤيا عينا
يفهم هذا من له افتهام
ويل لمن عذابه شديد
ووزن أعمال على الكتاب
عند مرور الناس بانضباط
وسحقهم في دركات النار
رئيسهم بالنص حقا « مالك »
رئيسهم شهر بالرضوان

ومنهم النازل عند الذكر
أحسن بحلقة لذكر الله
الذكر ما بين الطلوعين وفي
يكون معه ملك كرام
والعقلاء في ملك قد تاهوا
يسبح الرعد بحمد ربه
والصوت صوت احتكاك في السما
والبرق من أجزاءها النارية
كل عليه ملك مأمور
كذلك الجبال والطيور
أي كل شيء فله التسبيح
لكل ذا نوع من البيان
وليس قصده لسان الحال
قال لجمع ناسنا : « لاتفقهون »

لأهل ذكر صادق في الفكر
إقرأ حديثاً في تباهي الله
بين الغرويين لإنسان صفي
لا سيما إذا اختلى الأنعام
لا يعلم العدد إلا الله
كذلك العبد الوفي في دربه
يفهم سر ذاك بعض العلماء
والنور في أذكاهم جلية
واسم رعد عندنا مشهور
وكل ما في ملكه يدور
من الكتاب جاءنا التصريح
يخرج عن معرفة الإنسان
أو حالها بنوع استدلال
لعل بعض ذي اقتباس يفقهون

الإيمان بالأنبياء والرسل الكرام

تؤمن بالرسل^(١) الكرام كلهم والأنبيا آخرهم أولهم
من غير فرق في رسالة ولا نبوة في رتبة من العلا

(١) قول الناظم : تؤمن بالرسل • بيان لركن ثالث من أركان الدين ، وهو الإيمان بالرسل والأنبياء الأعلام • ومعنى الإيمان بهم : أن تصدق وتسلم أنهم رجال أمناء اختصهم الله برحمته ، وزودهم برسالته ، والسفارة بين الله وبين عباده • وأنهم أمناء على الدين ، وبلغوا الكتاب والصحف حق التبليغ ، وهم فطاء اذكاء ، وأن لا يفرق بين أحد من رسله لأن الفرق بينهم يوجب تكذيب بعض منهم في بيان رسالته • وعلى ذلك نحكم بكفر اليهود ، لإنكارهم رسالة سيدنا عيسى المسيح وسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام ، وبكفر النصارى لإنكارهم نبوة ورسالة سيدنا محمد إلى جميع الناس ، بخلاف قوله تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا » (سبا/ ١٠٧) • وقوله تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا » وقوله - تعالى - : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » (الاعراف / ١٥٨) وقوله تعالى : « الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ، يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَاذْكُرِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » (الاعراف / ١٥٧) وغيرها من الآيات البينات •

فكل من أنكر فرداً من رسل
كُفّر اليهود ذي الجفا الشحيح
كذلك إنكار رسالة النبي
وكفر أمة النصارى يتدي
محمدٍ ، لغير قوم العرب
سابقها لاحقها الجليل
قد ثبتت فيها بشارات به
ثم دليل العقل قد دل على
للتقلين جنةٍ وناسا
تواترت دعواه للرسالة
بمعجزات خارقات العادة
وأرسل الكتب للملوك
وكل ما للناس من دليل
فليشهدوا بأنه رسولهم

فكافر كمثل منكر لكل
إنكارهم للسيد المسيح
محمد الهادي لخير الأدب
من رفض إرسال النبي العربي
مع أنه عمٌ بنص الكتب
أسفار توراة كذا الإنجيل
لا تقبل الشكوك للمنتبه
أن محمداً بحق أرسلا
داعياً كل هاديا نبراسا
ليُخرج الخلق عن الضلالة
قد أثبتت لذاته السيادة
بسفراء حسني السلوك
لنا مثاله لدى التمثيل
مرتبط بدينه وصولهم

وقد ثبت بالصورة القطعية التي لا تقبل الشك دعواه للرسالة إلى جميع
الأمم في العالم ، وكتابه إلى ملوك الدنيا : ملك الروم ، والأقباط ، وملك
الفرس ، وأمراء الخليج ، يدعوهم إلى الايمان به ، واتباع رسالته
صلى الله عليه وسلم ، فمن لم يؤمن برسالته إلى جميع الامم نحكم
بكفره ، وأنه معذب عذاب الخلود في الآخرة .

كما أنه ثبت ظهور معجزات منه - صلى الله عليه وسلم - لإثبات
رسالته وشهدت بحقانية دعواه للرسالة : أخلاقه وأعماله وآدابه
الشريفة ، من الصدق والصبر والأمانة والوفاء ، ورعاية العهود والوفاء
بالوعود والترحم والسخاء ، وغيرها من التواضع والعفو والسماح ،
ما هو كحجة قاطعة على رسالته العامة التي ختمت بها الرسالات صلى الله
عليه وسلم .

« التفاضل بينهم »

تؤمن بالفضل لبعضهم^(١) على بعض بنص من كتاب نزلا
يختص بالرحمة من يشاء ومن خواص بعضهم آلاء

(١) قول الناظم : بالفضل لبعضهم • بيان لبعض أحوال بعض الرسل الكرام •
ومما ينبغي علمه أن النبوة والرسالة من الصفات الموهوبة للرجال ،
فليس في النساء رسول ولا نبي • وقوله تعالى : « وَأَوْحَيْنَا إِلَى
أُمِّ مَرْيَمَ مَوْسَى » (القصص / ٧) أي ألهمناها ، أو أمرنا ملكاً هتف بها
كمشاور ينصحها •

والفرق بين النبي والرسول ، أن النبي لم يشترط فيه وجود الكتاب ، أو
تبليغ الشريعة ، وأما الرسول فاشترط في رسالته الكتاب والتبليغ ،
فالرسول خاص والنبي عام ؛ فكل رسول نبي ولا عكس •

ثم إنه يجب في تحقق الإيمان بهم أن لا تفرق بين أحد من رسله في أصل
الرسالة ، لكن لا مانع من اعتبار فضل بعضهم على بعض بعد إعلامنا بذلك •
وقد أجمعت الأمة على أن الرسل أفضل من الأنبياء ، وأن الرسل أولي
العزم ، وهم خمسة : نوح ، وإبراهيم وموسى ، وعيسى ، وسيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم • وأن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم أفضل من
بينهم ، وأفضل من باقي الرسل والأنبياء ، لوجوه :

الأول : عموم دعوته للأمم ، وباقي الرسل اختص كل منهم بقوم دون
قوم •

الثاني : أنه ختمت رسالته الرسالات ، فهو رسول الله ، وخاتم النبيين •
الثالث : دوام معجزته إلى آخر الدنيا ، لأن منها القرآن الكريم وهو
يبقى إلى آخر الزمان ، وسندكر — إن شاء الله — أدلة كونه معجزة في
المستقبل •

وذلكم مثل عموم الدعوة
بعثه للعالمين رحمة
للجن والإنس فمن أسلم قد
من لم يفز بفضل الإيمان به
أرسل للثقلين بالتكليف
محمد في الأرض أحمد السماء
دوام معجزته القرآن
أمته بالرشد والجلالة
كذلك لا تجتمع إلى الأبد
ولا تزال فرقة من أمته
وهذا الاجتماع للعبادة

لحضرة الرسول ذي الفتوة
في الدين والعلم بنشر الحكمة
فاز بفضل دينه أعلى الرشد
فاز بفضل العلم من حكيمته
أرسل للملك للتشريف
وفي الملائكة محمود سماء
ويستمر في مدى الزمان
لم تجتمع قطعاً على ضلالة
من جاء بالباطل قد وافاه ردّ
ثابتة على هدى من حكيمته
لم يك في باقي الورى عبادة

الرابع : إن أمته خير أمة خلقت للمرسلين ، لدوام الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر فيها ، وأنها لا تجتمع على الضلالة ، ولا تزال طائفة منها على
الحق حتى يأتي أمر الله ، أي بقيام الساعة .

الخامس : إن وجوه الخير الموجودة في امته من النور الروحي والتقوى
والطاعة والإخلاص ، والاستمرار على خدمة الدين ، ونشر العلوم
الدينية لم يكن في غير أمته .

السادس : إتمام مكارم الأخلاق ببعثه صلى الله عليه وسلم ، كما قال
تعالى بعد ذكر الأعلام من الرسل : « أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ
فَبِهِدَاهِهِمْ اقْتَدِهْ » (الأنعام / ٩٠) ومعناه إن أخلاق الرسول
كانت جامعة لأخلاق أولئك الرسل ، فصار مجمع الأبحر في فضائل
الرسالة . ونسأل الله تعالى أن يفيض علينا من زلال رحمته وكمال فضيلة
رسوله محمد ما تتنور به قلوبنا وقبورنا ، وتشرح به صدورنا ، وتسهل
به أمورنا في الدارين ، بفضلته ورحمته إنه أرحم الراحمين .

حفظ كتابه وحفظ سنته
وغيرها مما يطول ذكره
وعلم أعلام الهدى من أمته
في الفقر والغنى وفي الهناء
والحمد لله على نعمته
وعدد الرسل على ما اشتهر
مذكورهم بالنص في القرآن
آدم إدريس ونوح وهود
وأبو الأنبياء إبراهيم
ابنه من هاجر إسماعيل
يعقوب يوسف وأيوب الفتى
موسى وهارون ويونس على
داود ذو الأيد سليمان حَكَمَ
إلياس إيسع ذو الكفل ومن
وزكريا ثم يحيى عيسى
محمد خاتم الأنبياء

منيته وذاك أعلى منيته
لأسيما ذكر الولي وفكره
مع التأليف لنشر شرعته
وعند بؤس الحال والغوغاء
وجعله الأعلام من أمته
ثلاث مائة مع ثلاثة عشر
عشرون مع خمسة بالبيان
وصالح أمته ثمود
وابن أخيه لوط السليم
من سارة إسحاق الجليل
شعيب مدين على نص أتى
تسيحه نجاه من كرب البلاء
في الانس والجن وطيره الأشم
عدّ عزيزاً في المقال يؤتمن
في موطن متصف بالأقصى
 والمرسلين صاحب اللواء

أولو العزم منهم

منهم أولو العزم وأصحاب الهمم
نوح وإبراهيم موسى عيسى
أفضلهم سيدنا محمد
عدد الأنبياء نقلاً يلقى
عليه أربعة مع عشرين
لكنه وصّى أولو التمكين

والصبر من إيذاء أقدال الأمم
محمد من زار ليلاً قدسا
بالعقل ، والنقل له مؤيد
في مائة أو مائتين ألفاً
جمعاً كراماً ناشرين ديناً
ان لا نميل نحن للتعين

تعريف الرسول والنبى

ثم الرسول^(١) من له كتاب
له كمال العقل والحواس
بري من دناءة الأصول
وهو زكي فطن أمين
من بشر مذكر يهاب
بدون عيب في عيون الناس
من والدين صاحبي قبول
مبلغ لدينه ميين

(١) قول الناظم : ثم الرسول • بيان لتعريف الرسول ، كما ذكره الأصوليون ، قال السعد في شرح العقائد النسفية :

والرسول إنسان بعثه الله لتبليغ الأحكام ، وقد يشترط فيه الكتاب ، والنبى أعم ، انتهى • وقوله : أعم أي فإن قلنا : إنسان بعثه لتبليغ الأحكام ، فلا نعتبر التبليغ شرطاً في النبى • وإن اشترطنا في الرسول نزول الكتاب فلا نعتبره في النبى ، فتكون النسبة بينهما : عمومًا وخصوصاً مطلقاً • هذا وإذا اشترطنا فيه الكتاب فلا نشترط نزوله عليه بالذات •

بل يجوز أن يرسل بكتاب نزل على من قبله ، كما في رسل بني إسرائيل ، فإنهم عملوا بالتوراة ، وقد نزلت على سيدنا موسى فعمل بها ، وعمل بها من بعده من رسل بني إسرائيل إلى زمان سيدنا المسيح ، وقد نزل عليه الإنجيل فعمل به لا بالتوراة • وأما زبور سيدنا داود فكان فيه الأذكار والأوراد • وأما الأحكام فكانت على ما في التوراة •

ويشترط في الرسول : العقل الرصين ، وسلامة حواسه ، وسلامة بدنه من العيوب المنفرة المقارنة لإرساله ، فلا مانع من عروضها بعد تقرير رسالته • كما يشترط فيه : براءة نسبه من الخناءة والدناءة ، لأنها تنافي قبول الناس دعوته • وكذا يشترط فيه الفطنة والأمانة على دينه ، ليبلغه كما أمره الله تعالى به •

له كتاب جامع اختص به
أما النبي فليس مشروطاً به
يقال زيد بن قيل كانا
والرسل وأنبياء الله
من التقرب الى الله العلي
حيث اهتدى كل بهدي الله
وبشروهم بثواب الآخرة
موطنهم في علم ذات الله
قال : « وإن من أمة إلا خلا
أو نازل لسابق من ربه
ولا على تبليغ دين ربه
من النبيين بقي زمانا
أصحاب فضل وعلا وجام
بحسن خلقهم وحسن العمل
فأنذروا الناس بقهر الله
في جنة ذات قصور فاخرة
وجاء نص من كتاب الله
فيها نذير » بعذاب وبلا

« عصمة الأنبياء والرسل »

قد جاء في الكتاب للإرشاد^(١) المرسلون صفوة العباد
وإنهم عباده الأخيار فليس في قلوبهم غبار

(١) قول الناظم : قد جاء في الكتاب للإرشاد • توطئة لإثبات عصمة الأنبياء
والمرسلين عليهم السلام بأن الله تعالى مدحهم في القرآن الكريم وذكر
في شأن عدد منهم في سورة الصافات : أنهم من المصطفين الأخيار ، وأعلن
السلام عليهم في آخرها • وذكر في شأن عدد منهم : أنهم الذين هداهم
لخير الاخلاق والأعمال ، وأمر الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم
بالاقتداء بهم في تلك الأخلاق العالية التي كانت لهم • واتفق الأصوليون
على عصمتهم عن الكفر مطلقاً ، وعن تعدد الكبائر قبل النبوة والرسالة
وبعدها ، وعن صفائر تدل على الخسة والدناءة كذلك •
وما جاء على سيدنا آدم يقال في جوابه :

والقلب سلطان الوجود مطلقاً
وذكر الله رجلاً بررة
ميزهم عن كل من عداهم
وامر الرسول من وراهم
لو لم يكن كل بحق في هدى
فالحق أن الكل في مقام
عصيتهم عن كفرهم بالله
ومن كبائر الذنوب مطلقاً
ومن صفائر الذنوب بعدما
لكن ما عند من الخسيس
وكل ما نقل من خلاف
إذ واجب الإمام الطهارة

صلاحه صلاح مامنه بقى
من مرسلين سابقين خير
عزهم بأنه هداهم
ليقتدى بالكل في هداهم
كيف يكون للرسول مقتدى ؟
يليق بالثناء والإكرام
متفق بدون اشتباه
ثابتة على نظام حقاً
قد ارسلوا عليه رأي العلماء
لا ينبغي لحضرة الرئيس
مؤول عند أولي الانصاف
من وسخ البطانة والظاهرة

أولاً : أنه لم يكن النهي تكليفاً تشريعياً ، بل كان إرشاداً .
ثانياً : أنه جاءه ما جاءه نسياناً ، كما قال : « فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ
عَزْماً » (طه / ١١٥) والتفصيل في المطولات .

رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

الى الجن والانس تكليفاً

سيدنا محمد "خير الوري" (١) وخير مَنْ أُنذر أو من بشراً
أرسل للإنس وللجن كما في سورة الجن ذكر
وهكذا في سورة الجن ذكر فقد قرا عليهم القرآن
فآمنوا به ، كما أتانا

(١) قول الناظم : سيدنا محمد خير الوري إلى آخر الأبيات الخمسة بيان
أن الله تعالى أرسل حبيبه محمداً إلى الجن تكليفاً ، كما أرسله إلى الإنس ،
وكما أن من البشر من آمن ومن كفر ، كذلك في الجن مؤمنون وكافرون .
والدليل على ذلك نصوص من الكتاب والسنة ، وأظهرها سورة الجن ،
فقد دلت دلالة لا تقبل الإنكار أن الرسول صلى الله عليه وسلم قام
يدعوهم إلى الإيمان بالله ورسالة الرسل وباقي أركان الإيمان ، وأنهم
آمنوا به صلى الله عليه وسلم . وكذلك في سورة الاحقاف آية :
« وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ ۖ » (الاحقاف / ٢٩) .
وأجمعت الأئمة الاسلامية على هذا المقصود ، فالإيمان بوجود الجن ،
وأنهم مكلفون كالإنس ، والإيمان برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم إليهم أيضاً واجب على كل مؤمن مكلف ، وإنكاره كفر بالإسلام
ودينه .

وقد ذكر صاحب فتح الباري في شرح صحيح البخاري أسماء عدد من
كبار اصحابه صلى الله عليه وسلم من الجن ، وهذا مقرر في الإسلام .
وآية : « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ »
(الذاريات / ٥٦) نص على أنهم مع الإنس في التكليف بعبادة الله ،
والتكليف موقوف على تبليغ الرسل آداب الإيمان والعبادة إليهم .

ايضاً تواترت به الاخبار تكاثرت في ذلك الآثار
كالشمس في رابعة النهار فلا يليق ذاك بالإنكار
إنكاره إنكار عين الدين وذلك الكفر على اليقين
وإن جهلتا لجن^(٢) ياتلميذي فخذ كلامي فزت بالتميز

﴿٢﴾ قول الناظم : وإن جهلت الجن ، إلى آخر الأبيات • بيان لبذة من أوصاف الجن ، وحاصله أن الجن خلقهم الله تعالى قبل الإنس من مادة لطيفة نارية ، وفيهم الذكور والإناث ، وإنهم قادرون بأمر الله تعالى على التشكل بأشكال مختلفة ، من الإنسان والحيوان ، من الحشرات وغيرها ، وإن إبليس وهو الشيطان المعلوم في نصوص الدين كان من هذا النوع ، وكان بين أفراد الملائكة من أهل الطاعة ، ولما أمر الملائكة بالتعظيم لآدم وسجود التشريف له ، وتوجيه الأمر إليه أيضاً بالذات عصى وتكبر واعتذر بما اغتر به ، إن عنصره نار ، وهي خير من التراب ، لإشعاعها وخموده ، وباستكباره وعناده أمام رب العالمين لعنه وطرده ، وأمهله إلى يوم القيامة ، لابتلاء العباد ، وتمييز المخلصين من المغشوشين المفلسين على رؤوس الأشهاد •

ومن خالف في أن إبليس من الجن ، وأدعى أنه من نوع من الملائكة معروفين باسم الجن - فقد خالف الحق من جانبين :
الأول : إنه لم يعرف بين أعلام الإسلام نوع أو صنف من الملائكة باسم الجن •

الثاني : إن الملائكة لا تناسل لهم ولا ذرية لهم ، وخلقهم وإفناؤهم بالأمر ، أي كن فيكون • وإبليس له ذرية معروفة بالشياطين • وقال تعالى : « كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ » ، أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ؟ بئسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا » (الكهف / ٥٠) ويستفاد

الجن قد كان بنص الآية
وبعد ما أراد رب القـدس
نادى الملائكة باللطفـة
خلق آدم أبا الإنسـان
فغابت الجن عن العيون
وإن تسل عن مادة الوجود
عنصرهم ناريرة اللهيب
شأن الملائك دوام الطاعة
ويتشكلون بالاشكال
كالانس فيهم ذكر وانشى
ومنهم المطيع بالاحسان
من نوعهم إبليس ذو الوسواس
وكان مدة مع الملائك

في عالم الدنيا مع العناية
تشفيح جن بوجود الإنس
يجعله في أرضه خليفة
جعله المنيع للإحسان
وظهر الإنس بلا غيـون
فاعلم بها من هذه الحدود
لا نور كالملائك العجيب
وشأن جن وفرة الشناعة
من صورة التشويه والجمال
وقد يثرى في نوع جن خشى
ومنهم الشنيع بالعصيان
أكفر كل جنـة وناس
يمشي على محاسن المسالك

من قوله تعالى : « عَنِ امْرِئِهِ » ومن قوله تعالى : « قَالَ مَا مَنَّكَ
أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ » (الأعراف / ١١٢) أنه كما
كان مأموراً بالسجود لسيدنا آدم في ضمن أمر الملائكة به ، حيث كان
هو بينهم ، كذلك توجه الأمر الخاص بالسجود إليه ، فعصيانه أمام امر
الله تعالى معلوم ، ومن قال : إنه لم يكن من الملائكة ، فلم يشمل الأمر
بالسجود ، والاستثناء يبقى منقطعاً ، ولا استثناء منقطعاً في القرآن —
فقد اشتبه من أبواب : الأول : إن حكم الفرد مغمور بين كثيرين وفي
دثارهم وزيمهم حكم الجماعة •

الثاني : إن الاستثناء المنقطع في نحو أربعة عشر موضعاً من القرآن ، ولا
مجال هنا لذكرها • الثالث : إنه توجه إليه الأمر الخاص به كما هو
معلوم من تلك الآيات التي ذكرناها •

لكنه لعنه لعن بالعلانية
لعنه الله إله العالم
لم يكن السجود للعبادة
وقد عصى بالكبر والأناية
أمر بالسجود في الملائكة
كان من الجن أساساً ففسق
وهو عند الأمر بالملائكة
فصح استثناؤه من جمعها
وقال بعض صاحب التدقيق
فقال : أمر حُضرة المنان
في مرة أمر "مع الجماعة
ومرة أمر بالخطاب
ينص « ألا تسجد إذ أمرتك »
فصح استثنائه قررنا
وبعد ما جرى عليه ما جرى
إغواء نسله بكل قوه
بجاء أو بجنس أو بمال
فصار لا يخلص لولا المدد
قضاء ربي^(٤) قد قضى في العالم

من بعد الاستكبار والأناية
حين عصاه في سجود آدم
بل كان للاكرام حسب العادة
ما فارقت ساعة أو ثانية
وكان فيهم قائد المسالك
وقد عصى بكبره رب الفلق
قد عد منهم لو بوجه حاله
لشكلها ولونها ولمعها^(٣)
قولا مقارباً من التحقيق
بسجدة إبليس مرتان
لكنه قابل بالشناعة
نص عليه الله في الكتاب
في أول الأعراف قد عرفتك
ورفض أمر ربه حررنا
صار عدو آدم وقررنا
وسلبه عنه هدى المروة
وكل ما يضر بالكمال
غير العباد المخلصين أحد
عداء إبليس لنسل آدم

(٣) يعنى : لأن إبليس كان في شكل الملائكة ولونها وسيماها ، واللمع :
الظهور .

(٤) قول الناظم : قضاء ربي الخ . بيان أن خلق إبليس أو لعنه وطرده عن
باب رحمته ، وجعله عدواً لدوداً للجن والانس من قضائه تعالى ، ولا

فهو وذريته إلى الأبد أعداؤنا من كل باب دون حد
فاتخذوهم لكم أعداء لا تتخذوا منهم أولياء

ندري سره ، فوجب التسليم له ، فإن الرضاء بالقضاء سعادة ، وانتظار
الفرج من الله عبادة • ولكن في هذا الموقف يجب علينا النظر بالدقة
إلى أن قضاء الله تعالى مقرون بالحكمة ، وقد يكشف على بعض
الاصفياء المخلصين • لأن الانسان إذا نظر الى أن مصير
أهل الدين المثوبات الخالدة الابدية علم أنه لا
يقابل هذه النعمة العظيمة عبادة قليلة ، وأن الإنسان
لا يستحق تلك الرحمة الجليلة إلا بطاعة الله تعالى ، ومخالفة النفس
الأمارة بالسوء ، ومجانبة هواها ، وعداء إبليس وأعوانه ، فإذا ابتلاه
بهذا العدو وعانده فقد وافق الحق وعبد ربه ، ونال رضاه وجنته
وأما من خالف الحق ، وحالف الباطل فمصيره إلى حليفه •

ثم قال : إياكم النفس محذراً للإنسان عن شرها ، فإن أعدى عدوه
نفسه ، ولا يسلط الشيطان إلا بمعوتتها • وظفر الشيطان به ، إما من
جهله بعواقب العقاب ، أو من غضبه الذي يسلب عقله ، أو من الطمع
في المال والجاه ، وسائر الشهوات • والطمع يصرع العقلاء •
وغالب أسباب الهلاك ، وفساد الإنسان من قلة المال والنفقات ، أو من
العلة والأمراض ، أو من الذلة والانكسار الذي يقتل شخصية الانسان ،
أو من الخوف من بطش الباطنيين الطائشين • فقولوا : اللهم لا تسلط
علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا ، آمين •

ثم ذكر أن أساس الفساد في العباد • إما : داخلي من سوء التربية في
الصبا ، أو إهمالها إلى أن يغلب السواد على القلب ، وإما خارجي من
اختلاط الفاسقين أهل الغفلة والضلال ، أعاذنا الله من كل سوء ، وجعلنا
ممن أطاعوا الله في أمره بقوله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا
اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ » (البقرة / ١١٩) •

ذرية إبليس مع من مردوا
كذلك في الإنس لهم معين
فيا عباد الله راعوا قدركم
وغالباً سيطرة الأعداء
يكون في الورى من الأوهام
وفرقة فاسدة تسعى لهم
ورطله الخامس نفس وهوى
إياكم النفس هي الأمانة
أعدى عدونا لوقع المصراع
ظفرها من جهلنا ومن غضب
من قلة وعلة وذلة
معدنا لذلك سوء التريية
لا عاصم اليوم من أمر الله

إسم الشياطين لهم محدد
وكل من عاونهم ليعين
خذوا من الأعداء جداً حذرهم
تكون في الورى وفي الخفاء
وفي الخفا التطميع في الحطام
في غافلين كي ينالوا ما لهم
من عاتق الهوى فلا ريب غوى
بكل شيء يوجب الخسارة
أقوى علينا من دفاع المدفع
وطمع يصرع كل ذي حسب
والخوف من ذي قوة مذلة
ويل لجيش مع سوء التعبيه
إلا برحمة من الإله

نحن لا نرى الجن في الدنيا

إلا بخرق العادة

يروننا اليوم ولا نراهم^(١) وفي المعاد العكس قد وافاهم
إن الشياطين من الجن ومن إنس لهم مفاتن لمفتتن

(١) قول الناظم : يروننا الخ • بيان للآية الكريمة التي تنص على أن الجن يروننا في الدنيا ونحن لا نراهم • وأما في الآخرة فالأمر بالعكس • وإن الشياطين من نوع الجن سواء من ذرية إبليس أو من سائر الجن ،

من كل باب عندهم أعمال
ومنها المضرة الكثيره
دواؤها البعد عنهم دائماً
وما لنا الدفاع إلا بالدعاء
كان رسول الله يدعو يرجو
لنا بحضرة الرسول أسوة
وقسوة القلوب من غفلتنا
مكر ، خديعة ، هوى ، إضلال
في أنفس غافلة فقيرة
وعدم الميل لهم لو نائماً
وبالمعوذات نعم الشفعا
ينفخ في جسده وينجو
حسنة فتبى من قسوة
عن اتباع الحق في ملتنا

فضائل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

نعود للرسول أكرم الامم^(١) بذكره نشمّ أعطر الشمم
محمد عطية الخلاق وجوده معطر الآفاق

وقد يكونون من الإنس الكافرين المارقين عن الدين ، ومن الفسقة
معدودون منهم ، حيث يشتغلون بتأييد مالا يرضى به الله ورسوله •
ومنها المضرة الوافرة على المسلمين ، عقيدة وعملاً ، ويفسدون المجتمع ،
فاذا كانت قوة فالتعلاج الدفع ، وإلا فهو الابتعاد عنهم بكل وجه ممكن •
وكان صلى الله عليه وسلم يدعو بأدعية ألهمه الله تعالى ، وبآيات من
القرآن الكريم لدفع وساوسهم وأذيتهم ، وينفخ في جسده الشريف ، ولنا
به أسوة حسنة ، وفقنا الله تعالى عليها •

فضائل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

(١) قول الناظم : نعود للرسول أكرم الامم • وقد ذكرنا بعضاً من فضائله
سابقاً ، وإذا كررناه ففيه الخير والبركة ، ومدحه ، كما يقال ، مسك ،
ما كررته يتضوع •

محمد صلى الله عليه وسلم عطية الإله الخلاق لجميع الأنفس في جميع

←

ورحمة للعالمين بئشا
بركة و « رحمة مهداة »
وصاحب للجاء عند الله
الجاه وجه صار من تقرّب
نور منير خدمة كثيرة
هّدى جميع المرسلين وكرّثا
شجرة ثمرها النجاة
جاه رفيع دون ما تنام
عبادة لله بالترهب
لدينه على هدى البصيرة

الآفاق ، فان لم يستفد شخص منه لا بتعاده عن آدابه فاللوم ليس إلا على نفسه ! ويقول صلى الله عليه وسلم : « أنا الرحمة المهداة » ، وقال تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ » (الانبياء / ١٠٧) ، رحمة بالتشريعات ، ورحمة بالاعتداء بأخلاقه ، ورحمة بتتويره للقلوب المتبعة لآدابه .

قال بعض الأصفياء : يستفاد من هذه الآية : انه لا توجد مسافة في العالم إلا وفيه أنوار وأشعة من نور هذا الرسول الرحمة للعالمين ، فعليكم باتباع آدابه ، وملازمة سنته وسيرته ، والاستفادة من أنوار خطابه في (التحيات) في قولكم : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فقط .

وهو صاحب الجاه عند الله . والجاه أصله : الوجه فهو الوجه الأكرم ، وله وجه عند الله وجاه ، ويدل عليه قوله تعالى : « وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا » (النساء / ٦٤) . ولذلك يجوز الالتجاء الى الله متوسلاً بجاهه الشريف عنده تعالى . ونكرر قول ابو صيري :

ولن يضيق رسول الله جاهك بي
وقد خاطبه ربه بقوله : « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا » (الاحزاب / ٤٥)
اللهم فنور قلوبنا بأنواره آمين .

فإنه بالذات فضل الله^(٢) وجبه له بلا تناهي
لأنه إذا أحب شخصاً أوصله الى المقام الأقصى

(٢) قول الناظم : فإنه بالذات فضل الله • معناه إن هذا الجاه العظيم
لرسول صلى الله عليه وسلم الناشئ من محاسنه الاعتقادية والعملية
والأخلاقية كله من فضل الله تعالى ورحمته ، يختص برحمته من يشاء ،
وحب الله تعالى له ، فإنه تعالى إذا أحب عبداً من عباده أوصله الى المقام
الأعلى الذي أراده له •

ثم استمر الناظم يذكر جهات فضائله صلى الله عليه وسلم ، فقال :
وصاحب الجهاد ، أي أنه مختص بجهاد وجهد لنشر التوحيد ومحاسن
العقائد والأعمال والأخلاق في حياته بما لم يسبقه أحد فيه •
وصاحب الإرشاد للعباد والتبليغ لما أنزله الله عليه إليهم وهو صاحب
الكلمات الجامعة لفوائد كثيرة وهي لواضع منيرة للقلوب مثل كلماته
الجامعة التي جمعها بعض المؤلفين من جهات عديدة •

وهو صاحب الروح الواسع لتحمل مشاق تبليغ الكتاب المنزل ، وتبليغ
الأنام من كل صنف ، ومشاق أذى الكفار والمنافقين الفجار ، ومشاق
أذى أصحابه الداخلين في ميدان الجهاد والإرشاد •

وصاحب الطاعة من الصلوات المفروضة والمندوبة ، كصلاة الليل
بالاستمرار ، وصاحب الضراعة والتضرع والابتغال إلى الله تعالى
بالدعوات المستجابة • وكان صاحب البراعة والتفوق على البلغاء في
ميدان البلاغة في الكلام •

وهنا نكتة لطيفة ، وهي لو اعتبرت البلاغة في الأفعال كان الرسول
صلى الله عليه وسلم أبلغ الناس في ميدان اتقان الأعمال وحكمتها ،
ومن اشتبه في هذه النكتة فليتكلم في فقه سيرة الرسول صلى الله عليه

←

وصاحب التبليغ للعباد
من كلماتٍ مثل برقٍ لامع
مخزنٌ إحسان من الله بدا
وفي البلاغة صاحب البراعة
مقامه المحمود للإسلام
أكرم بها من رتبة نقاعة
رضاه بشري أهل حسن السير
دليلها النهار في الضياء
إلى لقاء الملك العلام
من عرب عرباء أو من عجم
على كمال الحق والرعاية

وصاحب الجهاد والإرشاد
وصاحب الجوامع اللوامع
وصاحب الروح الواسع في الهدى
وصاحب الطاعة والضراعة
وصاحب اللواء والمقام
وصاحب الكبرى من الشفاعة
ولسوف يعطيك دليل الخير
ذو الملة الحنيفة البيضاء
ودينه باق على الدوام
أمته أفضل كل الأمم
طائفة تبقى على الهداية

وسلم وحكمة أعماله وأخلاقه صبرا وصدقاً وحرباً وسليماً وغير ذلك •
وهو صلى الله عليه وسلم صاحب اللواء • وفي المواهب اللدنية عن أبي
سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا سيد ولد آدم
يوم القيامة ولا فخر ، وما من بني آدم ومن سواه إلا تحت لوائي »
(رواه أحمد بن حنبل والترمذي عن أبي سعيد الخدري • قال الشيخ
السيوطي : حديث صحيح) •

وهو صاحب المقام المحمود يوم القيامة ، والمراد به الشفاعة الكبرى
بخلاص جميع أهل الموقف عن الوقوف وإرسالهم إلى الحساب ، وهذه
الشفاعة يأتي تفصيلها إن شاء الله تعالى وتشمل جميع الأمم كلها في
نجاتهم من الموقف وآية « وَلَسَوْفَ يَعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى »
(الضحى / ٥) مفسرة بإعطاء درجة الشفاعة الكبرى ، وهو صاحب
الملة الإبراهيمية الحنيفية ، لميله وابتعاده وتخليصه الناس من الإشراك
إلى التوحيد • والحنيف : المائل عن الباطل إلى الحق •

لا تجتمع على ضلال أبدا
لا تخلو عن أمر بمعروف يثرى
العلم والتعليم والتدريس
تزكية النفس عن الفساد
شعار ذيك الأمة الجليلة
وحاصل الأمر فضائل النبيّ
والباقي من أمته الكريمة
فلنأت بالبعض من الفوائد

لم يعط ذاك الفضل ربّي أحدا
والنهي عن منكر ما فيها جرى
والوعظ والإرشاد والتقديس
بالنور والعمل والرشاد
فضيلة زادت على فضيلة
وصحبه وآله ذي الأدب
لا تحتويها هذه الرقمة
ولنقتني ما فيه من فوائد

الاسراء والمعراج

تؤمن بالإسراء والمعراج^(١) بالبدن والروح والمزاج
«سبحان» ربنا «الذي أسرى» بحق «بعده ليلاً» على الوجه الأحق

(١) قول الناظم : تؤمن بالإسراء والمعراج ... الخ مما ينبغي أن يعلم ان الله تعالى لما اختص عبداً من عباده بموهبة رحمة منه وفضلاً جعله محل عنايته وتأيدته ، وجبر كسره ، فإذا كسره وقتاً لحكمة نصره في آخره بالرحمة . وإن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم هو بإجماع المؤمنين أشرف العباد الموهوبين ، حيث جعله رحمة مهداة ، وبعثه رحمة للعالمين . وقد تأذى بمتاعب دعوى الرسالة بين أظهر أهل الضلالة . واستمر في التعب مدة ، وفي آخره ابتلاه بوفاة عمه أبي طالب الناصر له في مواقفه ، وزاد عليه بموت صاحبه ومعينته أم أولاده خديجة بنت خويلد الأسدي ، المعروفة بالإيمان والكرامة والعناية ، فاشتد عليه صلى الله عليه وسلم الهم والحزن ، فجبر الله تعالى ألم قلبه بأن جعله علماً يستنير بذاته ، ونور باوصافه الحميدة العالم ، فخصه بمعجزتين مهمتين لم يسبق نظيرهما في عالم الوجود ، وهما : الإسراء بيدته الشريف من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في جزء من ليلة واحدة . وأحضر عنده احضاراً برزخياً نفياً شريفاً من الأنبياء والمرسلين في المسجد الأقصى . ثم عرج به إلى ما فوق السماوات كلها ، ثم جذبته العناية القدسية إلى مقام ، وخاطبه الله تعالى هناك ، وأوحى إليه ما أوحى ، وفرض عليه وعلى أمته خمس صلوات ، في كل يوم وليلة من أعمار المكلفين ، ثم نزله بإكرام وإجلال إلى الأرض إلى محله من المسجد الحرام حيث رفعه منه ، والمروي في الصحاح أن الداعي له جبريل ، وأنه صلى الله عليه وسلم ركب البراق : الحيوان الذي أتى به جبريل إليه

«من» منزل في «المسجد الحرام» الى بساط «المسجد» الإمام
المسجد «الأقصى» وأولى القبلتين حتى يرى قبلتهم رؤية عين

ليركبه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وعرج به عليه إلى ما فوق
السموات حيث سدرة المنتهى ، وتوقف هناك جبريل والبراق ،
والرافع له صلى الله عليه وسلم منه إلى ما شاء الله تعالى هو الجاذب
القدسي المعروف في الألسنة بالرفرف .

وفي هذا المعراج نال رؤية الأعيان الواقعية من السموات والملائكة
الكرام ، ونال الصورة البرزخية لعدد من المرسلين في السموات ، كما
فصل في البخاري الشريف . وكان كلما يرى عجيبة من العجائب
زاد قلبه الشريف وقوته الإنسانية متانة ومكانة ، بحيث ما زاغ بصره
عن النظر الاعتباري ، وما طغى عن مستواه من التمكين . وكل ذلك
أراه الله تعالى حتى يطمئن قلب حبيبه بالعيان بلطف ربه تعالى معه ،
وتتوسع دائرة فكره الدقيق ، وينس ما ناله من أتعاب الدنيا ، ويراهها
كالأشياء بالنسبة إلى ما أراه الله .

وسر السير به إلى المسجد الأقصى أمور يعلمها الله تعالى . منها أنه
كان أعظم مساجد السجود والعبادة لرب العالمين في الأرض ، وأنه كان
موطن الرسل الكرام إبراهيم الخليل وأولاده الأعلام ، وفيه الإشارة
إلى الاقتداء بهم في الاستمرار على الجهاد والإرشاد في الدين وقوة العزم
والصبر على مشاق تبليغ الرسالة إلى أهل الإشراك والضلالة ، وإن له
عليها درجات عالية عند الله .

ومنها : الإشارة إلى العناية بهذا المسجد الأقصى المبارك ، وأنه محل
نظر الأجانب بطرق شتى وحيل متنوعة ، وأن على أمتة العناية بذلك
المحل . وفي الواقع جاهدت أصحابه حتى فتح على يد الخليفة الثاني
عمر بن الخطاب رضي الله عنه . كما أفاد ذلك إجمالاً قوله تعالى :

←

في عالم اليقظة والحضور على براق مثل برق النور
بدعوة من ربه المعين على لسان الملك الأمين

« وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنْ الْأَرْضَ
يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ » (الانبياء / ١٥) فليس المراد
بالارض : الجنة ، كما في بعض التفاسير لأن ذلك أمر مفروغ منه ، من
حيث أن الجنة للصالحين ، والجحيم للكافرين الظالمين ، ولام كلمة
(الارض) : لام العهد ، وإشارة إلى الارض المقدسة المعروفة عندهم ،
وقد وقع فيها حروب وكروب كثيرة ، بعض منها قبل الاسلام ، كما في
الآيات الأوائل من سورة الإسراء المبينة لإفساد بني اسرائيل في الارض
مرتين : مرة في عهد أوائلهم حيث تسبب في غزو الروم لهم ، ومرة في عهد
البابليين حيث تسبب في غزوة بختنصر لهم • وقد ذكر الله تعالى في آية
من تلك الآيات قوله تعالى : « وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا » أي إن عدتم أيها
الإسرائيليون إلى الإفساد في الأرض ، كما في زماننا هذا حيث عادوا
بجلب من الناس الأجانب إلى السيطرة وإيذاء المسلمين ، فنحن نعود إلى
الانتقام منكم ، كما أشار إلى ذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
بقوله : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقَاتِلُوا الْيَهُودَ ... الخ » وقد
تحقق الشرط أي عودهم فيتحقق الجزاء أي عوده تعالى إلى الانتقام ،
ومن المآثر المروية : « من شرط كل شرط جزاء » •

وبعض من تلك الحروب بعد الإسلام ، وقد وقعت حرب الصليبيين
مع المسلمين واستولوا على الديار المقدسة ما يقارب مائة سنة ، حتى أيد
الله عبده صلاح الدين يوسف بن نجم الدين الايوبي ، ففتح البلاد
ورجعهم على أعقابهم خاسرين • وستكون هناك حرب شديدة وجهاد كبير
ينتصر فيها المسلمون عليهم بإذن الله تعالى ، كما قال تعالى : « أَنْ »

جبريل من قد جاء بالتنزيل إليه في مقامه الجليل
أحضر ربه كرام الأنبياء في عالم البرزخ بيت الأصفياء

الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ» (الأنبياء / ١٠٥) والعبرة
بمضمون اللفظ لا بخصوص السبب .

ولما نزل صلى الله عليه وسلم إلى مكة في تلك الليلة وأصبح الصباح،
وأظهر هذه الخارقة البارقة بين الناس، وكانت كالمستعانت الذاتية عندهم،
ضحكوا وسخروا، ونسبوه إلى الجنون، ولم يعلموا أن ذلك من
الممكنات الذاتية المخالفة للعادة، وأنها سهل على الله تعالى، بالرغم من
أن الرسول صلى الله عليه وسلم تكلم بما يزيل الشبهة عن إسرائه،
وبين لهم أحوال قافلة أهل مكة السائرة إلى تلك البلاد، وكان تحقق ما
أجاب به على الواقع .

ولكن المسلمين المخلصين وعلى رأسهم سيدنا أبو بكر الصديق رضي
الله عنه صدقه بدون تردد، وبين للناس أنه لا صعوبة ولا عجب من هذه
الخوارق، فإن حكم الباري في دائرة كن فيكون . فمنكر الإسرائ كافر،
ومنكر المعراج مبتدع .

والعاقل الناظر في هذه الخارقة إن كان من المؤمنين العاقلين العارفين
علم أن الله تعالى على كل شيء قدير، وأن عروج الإنسان إلى السماوات
العلياء كنزول الأجسام اللطيفة الخفيفة الهوائية إلى الأرض، والكل
سهل . وإن كان من الكافرين بالدين ولكنه عاقل وعارف بأحوال العالم
يعلم أن الليل والنهار يتولدان من حركات الكواكب، وأنها حركة مستديرة
مستمرة، وفي مدة أربع وعشرين ساعة يقطع الكوكب بالحركة أميالاً
عديدة كثيرة، ولا بد لهذه الكواكب المتحركة والدائرة من محرك قوي،
والمحرك لا بد أن يكون له شعور، لأن نسبة الحركات الدائمة إلى

←

مستقبلين ذاته إكراماً	مهنئين حاله إنعاماً
وبعد أن صلى بالأنبياء	عرج منه لعلا السماء
ومن هناك ربه عز وجل	رفعه الى المراد ووصل
وبعد أن خاطبه بذاته	دون حجاب لعلا صفاته
وبعد فرض الصلوات الخمس	أنزله إلى مقام الأنس
وهذه خارقة منيعة	دلت على رتبته الرفيعة
تستوعب السماء والعرش وما	فوق فاعل بمقام قد سما
منكر إسرائيل منكر نص	وكافر من الأخساء أخس

القوة اللاشعورية لا تناسب العقل والشعور الإنساني ، فكما لا امتناع من نسبة تلك الحركة إلى تلك القوة كذلك لا امتناع ، ولا بعد من نسبة ذلك العروج المستقيم إلى ما شاء الله إلى القوة المهيمنة المستقيمة الثابتة لرب العالمين .

واختلفت الأنظار في أنه هل رأى الرسول صلى الله عليه وسلم ربه ليلة المعراج ، فالأكثر على أنه ما رآه ، ولا حجة لهم على العدم إذا أرادوه بصورة الامتناع ، لأن الرؤية ممكن ذاتي ، ولا ينقلب الممكن إلى الممتنع .

وذهب الكثير من الأصفياء المحققين إلى أنه رآه بعيني رأسه ولكن لا ندري كيفية تلك الرؤية حتى تفسرها للناس ، والشيخ معروف النودهي رحمه الله على هذا الرأي ، وقال في فرائده :

فإنه رآه بالعينين في ليلة المعراج مرتين

اللهم نور بصيرتنا في كشف الأسرار ، كما نورت أبصارنا بمشاهدة الأبرار آمين .

والإسراء : ثابت بنص الآية . والمعراج بالأحاديث ، وأما الرؤية فهي بين الجواز والوقوع .

ومنكر المعراج أهل بدعة
إسراؤه من حرم إلى حرم
على براق مثل برق النور
وفوق ذا جاذبية الإله
لكنها خارقة العادات
بعد وجود كثرة النصوص
مجموعة شمسية تدور
أليس أقصى من صعود البشر
لو كنت منكر الأمور الخارقة

لرفضه حديث عين الرفع
صعوده إلى السماء حيث تمّ
ليس عليه شبهة الفتور
ليس بها داع للاشتباه
فهي كرامة من الهبات
فلنخرجن من هذه القاموس
على مدار دائماً تحور
من نقطة الأرض لفوق المحور
كنت بسرب الجهلاء المارقة

« الرؤية »

وهل رأى ربه بالعينين
لمن يرى إمكانه قول : نعم ،
في ذلك الموضوع قال النودهي
فأنسه رآه بالعينين
وبعضهم قد قال : لا ، فإنها
أما الذي يقول بالتفكير
فإنه ليس له من شبهة
فإنها ممكنه لا ممتنع

خلف هناك واقع في البين
لكن بلا اعتبار شرط : كيف ، كم
أحسن بفكره وقوله البهي :
في ليلة المعراج مرتين
في دار جنة إليها المنتهى
لمن يرى الرؤية للبشير
فضلاً عن استدلاله بحجة
مسافة الإمكان جداً واسعه

معجزاته ومعجزات غيره

عليهم الصلاة والسلام

فذلك الإسراء* والمعراج*^(١) خارقة بارقة وهاج*
والمعجزات خارقَات يَبْدِي رسله* لها مع التحدي

(١) قول الناظم : فذلك الاسراء والمعراج • ومما يجب أن يعلم أن المعجزات والكرامات كلها من الممكنات الذاتية المخالفة للعادة ، وليس شيء منها ممتنعاً ذاتياً ، ومن أنكرها وادعى أنها ليست معقولة لم يتصف بالعقل المميز بين الممتع والممكن ، والكلام مع إنسان كذلك ملال واملال ، وحق جوابه « السلام » •

وأن المعجزات والكرامات ليست من المكسوبات حسب العادة ، بل من الموهوبات من الله لعباده ، ومن توهم انه لا فرق بين المعجزة والسحر فقد غلط من جهات عديدة :

الاولى : أنا نرى بالعين أن السحرة قوم يدرسون عند الأساتذة دروساً مما تورثهم تلك الأعمال • وأن قسماً منها شعوذة وتوهمات لا أصل لها ، وقسم منها لا أصل واقعي لكنه مبني على علوم مكسوبة •

وأما أصحاب المعجزات والكرامات فلم يثدركهم أحد يشتغلون بتلك الدروس ، وإنما هم قوم مختصون بالعبادات ودعوة البشر إلى التوحيد والطاعة ، وليس لهم مكاسب معينة تنشأ منها تلك الخوارق •

الثانية : أن أصحاب الكرامة ليس ظهورها في اختيارهم وإنما هو بمحض الموهبة من الله تعالى • وأما أصحاب السحر فهم في اختيار تام في الاشتغال بأسباب ما يظهر على أيديهم ، إن شاءوا أتوا واشتغلوا وإن شاءوا تركوا •

وما عداها اسمها الكرامة
وقال بعض "جسلة الكرامه
والخارقات ممكنات الذات
ليست من اكتساب أهل الدنيا
حقائق يخلقها الإله
فالمعجزات خارقات بارقه
إعلاء شأن الرسل الكرام
ما كان قبل الفوز بالرساله
وأولياؤنا لهم كرامه
وصلحاؤنا لهم معونه
وكلها من باب فيض الباري
والسحر علم" بأصول يكتسب
وقد يكون بعضه بالكفر

ذلك من مصطلحات العامة
معجزة" ، أو خارقات "هاممه
ومستحيلات" على العادات
مثل الرياضيات ولا كرؤيا
لعارفين في رضاه تاهوا
تأتي كأنوار السماء الشارقه
عند تحديي البعض من أنام
سمي إرهافاً لذي الجلاله
وهي لعلو شأنهم علامه
في الاضطرار والرجا ودونه
أحسن بلطف الراحم المختار
من أي إنسان بلا شرط الحسب
قولاً وفعلاً من فساد يجري

الجهة الثانية : أن أصحاب المعجزات إما رسل معصومون ، أو هم
ممتازون بالأعمال والأخلاق العالية والخدمات المباركة النافعة ، ولا
يكتسبون بما عندهم حطام الدنيا الدنية . وأما السحرة والمشعوذون فهم
في ركاب الهوى ، ويعملون دوماً لكسب المال ، بل لهم على أعمالهم
مقررات من مطامع الدنيا فظهور الخوارق على أيدي السحرة والفاسقين
المارقين في الحقيقة ليست خوارق العادة ، بل لها أسباب معينة ، وإن
اتفق ظهور بعض الأشياء منها على أيدي الفاسقين ، فإنما هو استدراج لهم
وإغواء ، لينكبوا على وجوههم مدحورين في الدارين . فالخوارق
المباركة معجزة وكرامة ومعونة . وأما الخوارق المشثومة فليست خوارق
واقعية ، وإنما علوم سحرية ، واستدراجات لقوم ضال غاو من أهل
الهوى والفساد والله يحفظنا من شرور أنفسنا .

كذلك الاستدراج للإغواء يظهر في شِذْمة الغوغاء
وكل ما كان بلا اتباع لحضرة الرسول في ضياع
لا نعرف الولي بالكرامة (٢)

(٢) قول الناظم : لا نعرف الولي بالكرامة • يشير إلى مقياس مقرر في الدين لمعرفة الصالحين ، وامتنياز الطبقة المعروفة بالأولياء عن غيرهم ، وقد سبق منا تقسيم الأولياء إلى أربعة أقسام : الولي المؤمن فقط ، والولي المؤمن التقى ، والولي المتقي المستقيم ، والمؤمن الولي المتقي المستقيم المستغرق بالحضور الذي لا يغفل عن الله تعالى •

وهنا نذكر أن ظهور الخوارق والكرامة ليس من شرائط الولاية ، والكرامة لا اختيار للعباد فيها ، وإنما هي هبة من الله تعالى يهبها لهم ، بل شرط الولي الاستقامة على رعاية آداب الدين ، فالكرامة تعرف بالاستقامة والولاية ، ولا عكس فتدبر • والاستقامة أعظم كرامة للإنسان ، وقد قال الله تعالى لحبيه : « فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ » (هود/ ١٢٢) وقال صلى الله عليه وسلم لشخص طلب الوصية : « قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمْ » (رواه مسلم) •

فكل ما وقع معجزة للرسول الكرام يجوز أن يظهر كرامة للأولياء وقد ذكرنا أن الشاطبي قال في كتاب الموافقات : أن أمة كل رسول خصها الله تعالى بكرامات تناسب معجزة رسولها للمناسبة بين الأئمة وإمامها • وذكر الناظم عدة من معجزات الرسل الكرام ، وعدداً من كرامات الأولياء الأعلام ، ولها مستندات محكمة ، من أراد الوقوف عليها يجب مراجعة الكتب المختصة ببيانها كالمواهب اللدنية ، وجامع كرامات الأولياء •

وبما أن معجزة القرآن الكريم أعلى معجزة علمية واقعية مستمرة إلى الأبد ، وليبان وجوه الإعجاز شأن كبير قررنا بيانها بقدر ما يناسب المقام

وليس في دين الهدى كرامة
ما وقعت معجزة للأنبياء
وهو رشيد عارف بالله
ممثل بطبق أمر الله
إلا إذا جرى قضاء وقدر
فليست العصمة شرطاً للولي
فالأولياء خلف الرسول
أولو التزام للكتاب والسنن
كلامهم يشفي وبأ الصدور
يا أيها الذين آمنوا اتقوا
ومع ذا أمر أن يرافقوا
فخارقات الرسل الكرام
أمثلة من الكتاب والسنن
كاستجابة الدعاء لنوح
ونار إبراهيم ذات اللهب
وكعصا موسى وماء النيل
تسبيح داود مع الجبال
ومثل تسخير الإله الباري

تعلو لشانها على استقامه
يمكن خلق مثلها للأولياء
يمشي على نهج رسول الله
وتارك لجملة المناهي
صدر ثم تاب عنه بالحدز
بل خاصة النبي ذي الفخر الجلي
آدابهم مسالك الوصول
أولو استقامة ولو عند المحن
مقامهم مشعلة للنور
أمر بتقوى ربهم ليصدقوا
بالصدق أهل الصدق حتى يرتقوا
وبارقات أوليا الأنعام
يذوقها من كان ذا خلق حسن
وفوزه بالنصر والفتوح
صارت سلاماً جالباً للعجب
ويده البيض شفا العليل
والطير بالترتيل في المقال
لابنه الجن على البحار

فاتظره في الصحيفة التالية لما هنا تطلع عليها إن شاء الله تعالى .

وكذلك نذكر بيان جاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، والطلب من
الله تعالى متوسلاً بجاهه الرفيع ، أو الطلب من الله تعالى بجاه سائر
الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، أو الطلب منه
تعالى متوسلاً بجاه الصالحين فاتظرها هداانا الله تعالى وإياكم لما فيه
سعادة الدارين آمين .

كذا الرياح العاليات في الهوا
ومنطق الطير كلام النمل
وجلب صاحب له عرش العلا
ورزق غيبٍ مريم العذراء
ومعجزات ابنها الشريف
تعليم ربي من لدنه علما
مقام أصحابٍ لكهفٍ كافي
موت عزيز ثم إحياء له
إحياء موتى من طيورٍ أربعة
وبحث أصحاب الرقيم الوارد
وإذ وصلنا للرسول الهادي
تسبيح حصوات لدى كفيه
حين جذع من فراق صدره
وشقه القمر في السماء
شجرة شقت طريقها الى

وسيره على الهوى لما نوى
وهدهدٌ يريدُه في السهل
من سبأ لإيليا بين الملا
هزَّتْها لنخلة الشفاء
عيسى المسيح دون ما تكليف
لعبده العارف وافي حلما
كرامةً لصاحب الإنصاف
من مائة إحياء ما يركبه
لسيدي الخليل قد كان معه
في سنة الرسول خير ماجد
فمعجزاته كبدر بادي
في كفهِ وكف من لديه
من ظهره كاسف قدر أمره
يعد من أمثال الآلاء
سيدنا محمد بين الملا

فضائله - صلى الله عليه وسلم

آثار خيره بدون عدٍّ
عند عناد زمرة الأعداء

له فضائل بدون حدٍّ (١)
كنصره في الحرب والهيحاء

(١) قول الناظم : له فضائل بدون حد • بحث عن فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم • إن خصائص الرسول عليه الصلاة والسلام وفضائله كثيرة وفيرة ذكرنا منها سابقاً مقداراً يعد من المعجزات ، كسجود الشجرة ،

وصول رعب منه قبل النصر الى عدوه مسيرة شهر
دوام دينه بطول الدهر مع العدو وغناد الجهر
عصمة امته عن ضلال في حكم الإجماع مع الأجيال

أي شقها الأرضَ ووصولها إليه صلى الله عليه وسلم منحنية الرأس
لتعظيمه .

ومنها ما يعد من الكرامات : وهي التي لم تكن مقرونة بالتحدي ،
كوصول رعبه إلى الأعداء مسافة شهر ، وكدوام دينه على الوجه السليم
بدوام الدهر ، ولو مع عدد قليل من الأمة . كما روي : « لا تزال
طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله » (رواه البخاري
ومسلم) ومثل عصمة اجماع أمته عن الضلال .
ومنها مجموعة أخلاقه الكريمة التي لم تجتمع في
إنسان قبله أو بعده صلى الله عليه وسلم من الصبر والصدق
والأمانة والزهد عن الدنيا . قال بعض المحققين المنصفين : والحق أن
مجموعة أخلاقه تعتبر من أعظم كرامات الرسول ، لأن سائر المعجزات
لم يكن للرسول دخل فيها ، وقد خلقها الله لتأييده ، وأما أخلاقه فيها
اكتسابه عليه الصلاة والسلام ، وهناك فرق كبير بين الموهوب
والمكسوب .

ومن كراماته وفضائله في عالم الآخرة أنه صاحب لواءٍ مسيٍّ بلواء
الحمد ، ويدخل فيه آدم ومن سواه من الكرام . وشفاعته الكبرى تعم
جميع الأمم من الجن والإنس وأمة غيره من المرسلين ، وهذه
الشفاعة يعبر عنها بالمقام المحمود ، أي الرتبة الرفيعة الحميدة عند الله وعند
الناس أجمعين ، وأهم من فضائله كلها : معجزة القرآن ، وسيأتي بيانها
إن شاء الله تعالى .

حقيقة الإخلاص للمعبود
دليله الدوام في الجهاد
وما خلقت الجن والإنس ، به
في الصوم والركوع والسجود
تكاملت في شخصه أخلاقه
من صبره وصدقته وفائه
تواضع " وزهده وعزته
سخاؤه كأنه الشمال
بل كان بحراً مائجاً في الجود
فخصّ في لوائه المعقود

تحققت فيه بلا حدود
ونشره للدين بالإرشاد
يظهر سره لدى المنتبه
ليلاً وصوم اليوم بالشهود
تنوّرت من خلقه آفاقه
والعفو للعدو مع جفائه
تحمّل " إذا أقتته كربته
يميل نحو الناس حيث مالوا
كما أنار عالم الوجود
بمقتضى مقامه المحمود

(٢) قول الناظم : ومن بمعجزاته الخ • توطئة لمقصود وهو أنه يجوز التوسل إلى الله بجاه الأنبياء والأولياء والصالحين • لأن الله تعالى رفع شأنهم بالمعجزات وخوارق الكرامات ، ويستفاد منها أن لهم شأنًا واحترامًا ومحبة عند الله ، فيجوز أن يدعو الداعي ، ويقول القائل : اللهم اغفر لي أو أكرمني بالعمل ، أو بولد صالح ، أو بمال حلال ، أو بحل المشكلة الفلانية بجاه الأنبياء والرسل والصالحين لأن الله تعالى قال : « وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ » (المائدة / ٣٥) والوسيلة مصدر بمعنى القرب أو في معنى ما يتوسل ويتقرب به إلى الله • ففي الآية الكريمة : « وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا » (النساء / ٦٤) •

وحديث الأعمى الذي علمه الرسول صلى الله عليه وسلم عبارة الدعاء بقوله : « اللهم إني أسألك بجاه حبيك محمد أن ترد إلي بصري »

جنّ وإنس عربٍ وعجم
من حملة الأعباء للرسالة
وآله وصحبه وكرّما
تأتيك نبذة من البيان
معناه أن الله قد أعلاه
له ، لأهله لباقي الأمة
في نازلات الكرب والبلاء
وهجمة الأعداء إذ فيها خطر
منها ابتغوا إليه الوسيلة

شفاعة عمت جميع الأمم
فصار عين الفرد في جلاله
صلى عليه ربنا وسلمما
وفوقها معجزة القرآن
ومن بمعجزاته وافاه
قدراً وجاهاً كرماً ورحمة
والجاء أن يشفع بالدعاء
ودفع الاسقام وأمراض البشر
هنا لنا أدلة جميلة

(رواه الترمذي) فدعا الرجل ورد الله تعالى إليه البصر . وقوله صلى
الله عليه وسلم عندما حفروا قبر فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب :
« اللهم بحق النبيين قبلي إلا غفرت لفاطمة أُمي » وما رواه النووي
فيمن خرج من بيته صباحاً الى الصلاة : « اللهم إني أسألك بحق
السائرين اليك ، وبحق ممشي هذا . . . » (رواه الطبراني وابن
ماجه) . وثبت الاستسقاء بالرسول وجاهه بعد وفاته ، وكذلك ثبت
الاستسقاء بجاه غيره كالاستسقاء بالعباس رضي الله تعالى عنه . والذين
قالوا : إنه استسقاء بالحي فقط وإن كان مسلماً لكنه لما دعا عمر
أضاف عباس الى الرسول ، وذكر في كلامه : « عباس عمّ نبيك »
ولم يقل عباس ابن عبدالمطلب .

وثبت استسقاء أصحاب الغار بأعمالهم الخالصة . وقد قال صلى الله
عليه وسلم : « إذا انفلتت دابة أحدكم في الطريق فاسألوا الصالحين
وقولوا : يا عباد الله اغثوني » (رواه الطبراني في معجمه الكبير) ولا فرق
بين الأحياء والأموات في التوسل بجاههم ، لأن أصل الجاه والنجاح للأرواح ،
وهي باقية خالدة مؤبدة ، وفي كل يوم تزداد درجاتهم عند الله تعالى .

أي اطلبوا القرب من الإله
وما علمنا النهي ناء عنه
من العبادات ومن دعاء
والالتجاء لأولي الصفاء
وبار تضاء صحبة لصادق
أو عالم يعمل بالإخلاص
أو نجدة من ذي نفوذ عال
فقال صالح إذ ما أبتلي
بكم من قوة أو آوي إلى
وكلها يجوز في الأحياء
يبقى هنا رجا الدعا بعد الوفا
أو من مقام سيدي عين الوفا
وذلك الطلب من أرواحهم^(٣)

بكل ما ليس من المناهي
يدخل في المأمور فاتبعته
وصدقات المرء بالرجاء
حتى يساعذك بالدعاء
كالشبل للأسد في المضائق
يبتعد الناس عن الوسواس
لدفع ما عرض من نكال
بلهفة وأسف : (لو أن لي
ركن شديد) أي يساعدي على
والميل نحو الحي للرجاء
من الولي الكامل أهل الصفا
بروح مخزن الصفا المصطفى
يدعون للناس لاستصلاحهم

(٣) قول الناظم : وذلك الطلب من أرواحهم • معناه أن طلب الانسان الداعي
الراجي من الأنبياء والمرسلين طلب من أرواحهم لا من غيرهم ، والأنبياء
أحياء في قبورهم ، وكذلك الأولياء والصالحون حياة برزخية ، قال
تعالى : « وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ
أَحْيَاءٌ وَلَكِنَّكُمْ لَا تَشْعُرُونَ » (البقرة/ ١٥٤) وقد ثبت أن الله تعالى
حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء • كما ثبت أن الشهداء في
حرب إعلاء كلمة الله ، والحفاظ للقرآن الكريم ، وكذا المؤذنون
المحتسبون لا تبلى أجسادهم • (رواه ابو داود والنسائي والدارمي
وأخرج الطبراني عن ابن عمر قال : قال رسول الله (ص) المؤذن المحتسب
كالشهيد المشحط في دمه ، وإذا مات لم يدود في قبره) •

والأنبياء في القبور أحياء°
 من كل الصديقين ثم الصالحين
 أعني حياةً برزخية كما
 والقصد الطلب للدعاء
 وكل من طلب منهم شيئاً
 مثل دواءٍ من طبيب حاذق
 كالشهداء ، ثم باقي الأصفياء°
 العاملين في الهدى والراغبين
 يليق بالشأن لدى رب السما
 منهم لدى الإله ذي الآلاءِ
 نورَ شتاءٍ أو بصيفٍ فيثا
 يداوي مرضاه بوجهه فائق

وأدب الزيارة للأنبياء والمرسلين والصحابة وسائر الصالحين أن تدخل
 المقام وتسلم عليهم بعبارة : « السلام عليكم ورحمة الله » أو « السلام
 عليكم دار قومٍ مؤمنين أتمم السابقون ونحن اللاحقون » • وإذا امكن
 تستقبلُ القبلة مع التوجه إلى القبر ، وإن لم يمكن ذلك تتوجه إلى المقبرة
 الشريفة ، وتستدبر القبلة ، وتقرأ ما تيسر من القرآن الكريم ، ثم تقول
 اللهم أعلِ مقام هذا النبي الكريم ، وارحمني برحمتك الواسعة ، أو
 تقول : اللهم ارحمني بجاه صاحب هذه المقبرة الشريفة أو الروضة
 الشريفة ، أو تقول : يا صاحب الجاه يا رسولَ الله ، أو يا صاحب الجاه
 يا سيدي عبدالقادر الجيلاني أدعُ الله تعالى أن يكشف عني هذه
 المصيبة ، أو نحو العبارة أو أن تسكت عن الطلب ، وتقرأ ما تيسر ،
 وتخرج من عندهم ، لأن البركة المستفادة من زيارتهم لا تحتاج إلى
 الطلب منها ، وصاحب المقام عالم بمن قام •

وهذه الأحوال استقر عليها السلف إلى الخلف من الأمة الإسلامية ،
 وكفى بأعمالهم سندا • وهذه الآداب لمن لم يكن من أهل القلب
 المكاشفين ، وإلا فهم في حالة تشبه اللقاء بالجسم والروح رضي الله
 عن المسلمين الأصفياء آمين •

علاوة على ذلك كل ما ذكرناه من الآداب لم يرد نهي عنها ، والأصل
 الإباحة في ما سكت عنه الشارع •

ليس الطبيب شافيا ولا الدواء°
وتلك أسباب من الله العلي
فهل هنا نهى جرى وهل ترى
اذ قلت : يا ربي بجاء المصطفى
ادفع عن المحتاج محنة الزمن
أو ادعُ : يا رسولنا ذا الرحمة
أو ادعُ : يا وليَّ بالكرامة
كلا ولا رأيت نهياً عنا
لا نهى من كتاب أو من سنة
ينهى عن الطلب للدعاء
وكل ما لم يثنه عنه جائز
أتى الرسول بدعاء منجلي
ما كان معناه برأي العين
ربي بحقي حسب باب الفضل
إلا غفرتَ ذنبَ أمي فاطمة
وحقه عند الإله جاء°
يختص بالرحمة من يشاء
وفاطمة أمه بالرعاية
لو لم يكن فرق لنا من بيننا
لما سمعت الحق في المقام
من أي شخص جاهل أو لاهي
وينكرون جاء أهل الفضل
لا يدر أن الجاه من مقام

بذاته صاحب نفع في الشوى
خلقها لكشف كربٍ ينجلي
من ذاك عصياناً على الداعي جرى
أو جاء أرباب الخلوص والصنا
واجعل له المخرج من ذي الفتن
لكشف غمة البلا عن أمه
يجعل لنا الخلاص من ظلامه
ناهٍ بطول دهرنا المعنى
أو أثرٍ يشبه بالمتنَّه
من أي الأموات أو الأحياء
عند الذي لنور عقلٍ حائز
من بعد دفن فاطمة أم علي
يظهر بالتحقيق في التبين
وحق الأنبياء كانوا قبلي
فإنها كانت بحق قائمة
وجاهته من فضله آتاه
من خلقه السماد والسماء°
لا بالرضاع بل كمثل دايه
لم يك فرق حاجبٍ وعيننا
لا تسمع اللغو من الكلام
يمنع نطقكم بلفظ الجاه
من الكرام المتقين الأهل
أرباب طاعة من الكرام

من النبيين وصدّيقيننا والشهداء ثم الصالحين
من الذين أنعم الله بحق على ذواتهم كما النص نطق

(الاستعانة)

إن قلت جاء^(١) حصر الاستعانة بكل ما اشتقّ من الإعانة
على الإله وهو يستبين في جملة « إياك نستعين »

(١) قول الناظم : إن قلت جاء إلخ • بيان لاعتراض وارد على ما ذكرنا :
أنه ورد من الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال لابن عباس رضي الله
عنهما : « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله » ، كما ورد
في القرآن الكريم : « إياك نعبد وإياك نستعين » الدالين على حصر
العبادة في العبادة لله ، والاستعانة في الاستعانة من الله . فما معنى
طلب الانسان من إنسان آخر ؟
والجواب : أن المقصود من السؤال : السؤال لإيجاد المقصود وخلقه ،
ومعلوم أن الخالق والموجد هو الله تعالى وحده ، فلا سؤال عن غيره.
تعالى للإيجاد ، ومعنى سؤالنا عن إنسان آخر حي أو لا أن يكون داعياً
من الله تعالى لخلق مقصودك ، لأنه قد يكون بسبب طاعته أحبّ الى
الله منك ، ودعاؤه أقرب إلى الإجابة ، وليس المقصود أن يخلق لك
ذلك المسؤول مقصودك قطعاً •

ومعنى حصر الاستعانة : حصر طلب العون والمساعدة في خلق المقصود
وإيجاده لك ، أي لا تطلب من أي إنسان أن يعاوتك بأن يخلق لك
شيئاً ، فإن الخالق هو الله ، والخلق والابداع والإيجاد من صفات الله
تعالى •

وليس معناه حصر الاستعانة بمعنى المعونة في الدعاء كما للصالحين ، أو

←

لدرک الأشياء بوجه كافي
هما إضافي مع الحقيقي
حصر حقيقي كما يبين
في ما نريده من خيره
اتركه ولست اعتني به
بالصبر والصلاة « يا أمين ؟
ياستعانة من الكتمان ؟
في البر والتقوى بلا تباين ؟

قلت : إذا عندك عقل صافي
فاحصر حصران على التدقيق
والحصر في « إياك نستعين »
أي أستعين الله لا بغيره
وكل ما أشرك مشرك به
إلا فكيف جاء واستعينوا
وكيف جاء أمره العيانني
وكيف جاء الأمر بالتعاون

في التداوي كما للأطباء ، أو في الاستخلاص من مشكلة اعتيادية ، كما في لجوء الإنسان إلى غيره ممن له تفوذ في حل مشكلة ، ودفع مصيبة ، فالاستعانة بالمعنى الأول حصر في الباري تعالى لا يجوز لغيره ، كما في استعانة المشركين بالأصنام كاللات والعزى والمناة وهبل وغيرها ، لا الاستعانة بالمعنى الثاني أي طلب المعونة في المكاسب الاعتيادية . فإنه كما لا يمكن عادة لإنسان واحد أن يعيش وحده بدون اجتماعه مع الغير والتعاون معه كذلك لا سهل لإنسان أن ينقطع عن غيره ، فإن التربية والتعليم يحصلان بمعونة الأستاذ المعلم والمربي ، والخلاص من الأمراض عادة لا يكون إلا بمعونة الأطباء . فالحصر حقيقي بالنسبة للخلق والإيجاد ، أي استعن بالله في إيجاد المقصود لا بغيره من الأصنام ، وليس المقصود أن لا نستعين بأي معلم أو مثرّب أو طبيب ، أو ذي تفوذ في تحصيل المقصود ، وإلا فقد قال تعالى : « وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ » (البقرة / ٤٥) وقال صلى الله عليه وسلم : « استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان » (رواه العقيلي وابن عدي الجرجاني في الكامل ، والطبراني في الكبير ، وأبو نعيم في الحلية ، والبيهقي في شعب الإيمان) .

أليس عوننا بالإستعانة
عن طلب الإيجاد والإبداع
كما جرى ذلك في الكتاب
عند صلاته للإستسقاء
أرجوك يا أخّي أن تفهم ذا
كي لا نكون من أولي حال الجفا
مع انه قد جاء في نص الأثر
حاصلها الترغيب في الزيارة
والكل في مرتبة القبول
علاوة زيارة القبور
واعتماد صاحب اللوا الرفيع

من عاجز عن حملة الأمانة
وحاصل المقام منع الداعي
لا نسبة استعانة الأسباب
غشاً مغيثاً في الدعاء جائي
وإذ فهمت الحق قل يا حبذا
ينهي عن استقبالنا للمصطفى
حُسن الزيارة بسبعة عشر
لروضة الرسول بالعبارة
لرحلة الوصول للرسول
مرغوبة بأمره المنصور
بعض الليالي زودة البقيع

« كرامات الأولياء »

ثم كرامات الكرام الأولياء ثابتة عند الأناس الأذكياء
من ممكناتٍ خارقات العادة تظهر من أهل الصفاء السادة
قد سبق التعريف والمثال وفي إعادة لها إملال
لكن هناك نكتة لدينا^(١) إظهارها قد يجب علينا

(١) قول الناظم : لكن هناك نكتة • حاصلها بيان للحقيقة ورفع لأوهامٍ
واردة في الموضوع ، منها أن كشف الغيب من النبي أو الولي ممتنع ،
لأنه عالم الغيب ، وهو مختص بالله تعالى • ومنها أن ذلك الكشف ليس
كرامة ، ولا مختصاً بالولي ، بل الأطباء يعرفون ما في الأرحام بالجهاز
الموجود عندهم ، ولذلك يعترضون على الآية الكريمة الحاكمة بأنه
لا يدري ما في الأرحام إلا الله ، ومنها أن أصحاب علوم الأنواء يكشفون
وجود الأمطار والعواصف وغيرها من الحوادث المستقبلية • ومنها أن
بعضاً من الهنود المجوس وغيرهم يعملون كثيراً من الخوارق ويكشفون
كثيراً من المغيبات الى آخر ما تخيلوا هنا فأجاب الناظم عنها :-

فالجواب عن الأول : هو أن النبي أو الولي
الكاشف لا يعلم الغيب ، بل يعلمه ربه ويثلمه ، ويثقي إليه ذلك
المغيب • الذي يذكره النبي أو الولي فهو إعلام بالغيب من الله لا علم
الغيب ، فإن علم الغيب علم ذاتي أزلي قائم بالحق ، لا يشارك الباري
تعالى فيه غيره •

والجواب عن الثاني : أن الأطباء وأصحاب الأجهزة ، عندهم ما يكشف
لهم الأرحام كما إذا فتح الطبيب بطن الحامل ، وعرف ما في رحمها ،
وذلك ليس علم الغيب ، بل إحساس بالعين بواسطة ذلك الجهاز ، وكل
من عنده ذلك يعلم ما هنالك •

ممتنع إذ ذاك علم الغيب
ممتنع من النبي أو ولي
من وصف ذات الحق دون ريب
وحي "أو الهام من الله العلي"
لهم من الله وذا الهام
يُرِيدُ إِكْرَامَهُ بين الكثر ما
فإنَّ رَبِّي حاكم مقتدر
تكشف الغيوب للبصيرة
ظن بما قد يجري في الهواء
من الجهاز مثل إبصار جلي

قالوا بأن كشف ما في الغيب
وذاك مختص برينا العلى
قد جهلوا بأن علم الغيب
وما يكون لنبيٍّ أو ولي
وليس علم الغيب بل إعلام
إعلام ربي للولي عند ما
قد يَنْجَلِي لهم ، وقد يستتر
بدون ما أجهزة قديرة
والكشف من أجهزة الأنواء
وكشف ما يوجد خلف الجبل

فحصر الباري معرفة ما في الأرحام بالذات حق ، والاعتراض عليه باطل
قطعا . وعلماء الأنواء الجوية أولا عندهم آلات تفيد ما يستنبطونه
منه ، فعلمهم بل ظنهم بواسطة تلك الوسائل . وثانيا أنه ليس عندهم علم
بما يقولون ، فإنه كثيراً يتخلف الواقع عن بياناتهم ، وإنما عندهم
ظنون ، قد تخطئ وقد تصيب ، فالجواب هنا بطريقتين : الأول ، أنه
ليس إدراكاً بالذات بل بواسطة القواعد العلمية لهم .

والثاني : أنه ليس علماً ، بل هو ظن ، والظن لا يغني عن الحق شيئاً .
والجواب عن الثالث : أن ما عند أولئك المجوس المرتاضين من الأعمال
والأمور الخارقة إما عادية حصلت بالممارسة ، كترك الأكل والشرب
مدة مديدة ، وترك التنفس زماناً طويلاً ، والمشي على الأسلاك الدقيقة ،
وليست من المعنويات أبداً .

وأما المعنويات منها فليست من العلوم ، وإنما هي ظنون غالبها أخطاء .
علاوة أن الكرامات تحصل لأناس طيبين اعتقاداً وعملاً وأخلاقاً ، وأما
أولئك الناس فمن الفجار والفسقة ، فأنتى يكون ما عندهم من الكرامات ؟

أيضاً برفع للحجاب النامي
يرى الجنين عيناً رأي العين
من رجم غيب ليس معلومات
اعلام ربنا لأهل الحال
أو ما يكون وقت الاستقبال
وليس ظنياً كما في الحلم
يادعاء علم الغيب ، عندي
والظن ليس ما إليه نحنو
والعلم من ربّي إليه المنتهى

وكشف ما يكون في الأرحام
ما دام لم يبق حجاب البين
وما يكون من تبؤات
لكن إدراك الولي العالي
لا فرق فيه بين درك الحال
لأن هذا من تجلّي العلم
وما يرى من المجوس الهندي
ليس من العلم ، ولكن ظن
خذها عقيدةً بقدر وبها

حكم الذكريات

واعلم أخي هناك ذكريات^(١) تشبه أنها اعتقادات
كمولد الرسول والإرسال وبحث معراج لذي الكمال

(١) قول الناظم : واعلم أخي الى آخره . مبحث مهم حول بعض الاعمال الاجتماعية لمناسبات ، كوليمة مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، والاجتماع لذكرى الإسراء والمعراج ، أو لبيان هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، أو لذكرى غزوة بدر الكبرى وهكذا . . . فهذه لم تكن في عصر الرسول وفي عصر الخلفاء الراشدين ، وفي قرون بعد التابعين الى أن حدث اجتماع لذكرى المولد الشريف في القرن السابع الهجري على يد الملك الصالح مظفر الدين كوك بوري أمير أربيل في عهد الملك نور الدين الصالح وقد أظهر ذلك بإلهام من الله تعالى ، لأن الناس ابتعدوا عن ذكرى أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم ،

وذكر هجرة دار الهجرة ونصرة الأنصار يوم العشرة
وهذه المباحث الشريفة في طيها دقائق لطيفة

فقرر عقد مجلس واسع كبير في اربيل ، ودعا لطعام المولد الشريف
أناساً من الفقراء والصالحين والعلماء العاملين ، وسائر طبقات الناس ،
وأمر عالماً من العلماء بجمع ما يؤخذ من بطون كتب السيرة الحاكية
عن نشأة الرسول وما نسبها فكان المولد كموسم لأخذ درس شمائل
الرسول صلى الله عليه وسلم من ناحية ، ولبحث روح محبته صلى الله
عليه وسلم من جهة أخرى ، ولإطعام الفقراء وإعداد الناس للاقتداء به ،
فذاع هذا الأمر في أقطار الإسلام ، وتلقاه العلماء بالقبول فصار إجماعاً
منهم عليه ، أو أكثرية ساحقة ، لاشتراك على منافع من حيث تجديد
الإيمان به صلى الله عليه وسلم ، وتعظيمه ونصرة دينه ومحبته ، وإبداء
حالة محبة روحية في قلوب المسلمين ، ومساعدة الفقراء ، وكذلك باقي
الذكريات مما ذكرناه آنفاً . ومضى على ذلك قرون ، وتتابع الناس عليه ،
واجمعوا عليه أو أكثر الناس راعاه مع الثناء على هذا العمل . وقد
ظهر بعض الناس في آخر الزمان فخالفوا ذلك ، وجعلوه من البدع
المنكرة والضلالة والعياذ بالله ، وتشوش المسلمون من مخالفتهم بشبهة
أن أمثال ذلك الاجتماع لم يكن في عهد الرسول والخلفاء وكل ما كان
كذلك فهو بدعة منكرة . ولم يعلموا أن البدعة في عرف الشرع : ما لم
يدل عليه الكتاب والسنة والإجماع والاجتهاد ، وليست على المعنى
اللغوي ، أي ما لم يكن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فإن كثيراً
من مهمات الإسلام من جمع القرآن وتدوين السنة النبوية وبناء دار
الافتاء ودار القضاء ، وتأليف الكتب العلمية الخادمة للكتاب والسنة من
النحو والصرف وأصول الدين وأصول الفقه لم يكن في ذلك العهد
مع أنها من الواجبات التي تتوقف عليها إقامة الدين ، وكل ما توقف عليه

والناس يذكرونها في وقتها لنشر أحوال النبي وصيتها
لأنها أمانة النعوت ولا يخونها سوى ممقوت

الواجب فهو واجب ، وعدم اشتغال السلف بذلك لكونهم كانوا في
أشغال أهم من هذه الذكريات والآداب ويؤخذ الأهم فالأهم منها ، وكل
ما أحدثوه مبارك .

قلنا ما قرروه في المناسبات مبارك ، ويأخذ حكم الاستحباب على العسوم ،
وحكم الوجوب في بعض الصور إذا كان محفوظاً من الأعمال المنهية
شريعاً .

وذلك لأدلة :

الأول : أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرر صوم العاشر من محرم
لما سمع بأن اليهود قالوا : هذا الصيام شكر على انتصار موسى ودحر
فرعون (الحادثة في البخاري ومسلم وابن ماجه) .

الثاني : أن هذا الأمر فيه تعظيم للرسول ، ونصرة له ولدينه على موافقة
قوله تعالى في سورة الأعراف : « وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ »
(الأعراف / ١٧٥) . أي عظموا محمداً ونصروا شخصه في حياته ودينه
بعد وفاته ، وقرر لهم أنهم هم المفلحون .

الثالث : أن الجهد في انبات محبة الرسول سيدنا محمد ودينه في قلوب
الأجيال ، لا سيما الأطفال والشباب واجب ، وفي عصرنا هذا صارت
هذه المناسبات قسماً مهماً للغرض المذكور ، ومقدمة الواجب واجب .

الرابع : أن هذا الأمر أجمع عليه أئمة المسلمين ، وعلى تقدير أنه لم
يجمعوا عليه نقد وافقه الأكثرية الساحقة السالمة من فساد الاعتقاد ،
والرسول صلى الله عليه وسلم رغب الأمة في اتباع السواد الأعظم وهدد
بمقابل ذلك .

لترك شرح حاله كما جرى
قبل قرون قد مضت في الدهر
واحتفلوا له هناك وهنا
عليه للتأثير في الأخلاق
أخذ حقه من استحباب
لما احتواه من نعوت جمّة
حتى يصيروا عارفين كمّله
مدرسة للشباب والأطفال
وصدقاتٍ وافقت مزاجه

اهل الكتاب ذمهم رب الورى
واتبته الناس لهذا الأمر
تتابع الناس عليه بالهنا
وأجمع الأعلام في الآفاق
فكل ما جرى بذاك الباب
وقد يكون واجباً للأمة
ويجب إفهام جيل جهلّه
وفيه تأسيس للاستقبال
وفيه إطعام لأهل حاجة

الخامس : أن فيه إطعام الطعام ، وإسعاف الفقراء والمحتاجين ، وذلك ميزة
وخير عظيم .

السادس : قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون
أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » (رواه
البخاري ومسلم وأحمد والنسائي) . وهذه المناسبات
مما تثبت المحبة بالصورة القطعية ، أو القرينة من القطع .
ومن خالف تلك المناسبات بشبهة أنها لم تكن فهي بدعة وضلالة . . لم
يفهم معنى البدعة الشرعية في عرف الشرع ، لأن كل ما اندرج في دلالات
الكتاب والسنة أو صار بالإجماع ، أو نشأ من الاجتهاد فليس ببدعة ،
بل هي مما يدخل في صميم القلب كستر العورة في الصلاة بقماش لم يكن
في عصر السلف ، أو خدمة الفقراء بمادة لم توجد سابقاً ، وتألّف كتاب
احتاج المسلمون إليه فلو أخذ أحد أصحاب السيارات فقيراً في الطريق
معه في سيارته وأطعمه طعاماً لم يكن في عصر السلف ، وأعطاه ورقاً
نقدياً لم يكن إذ ذاك لزمه من قوله أن هذا الرجل المحسن مبتدع لأن
سيارته وطعامه ونقوده لم يكن في عهد السلف ، وذلك أمر عجيب .

« وعزروه » شيممة الأشراف
تعزيره تعظيمه بين الورى
وفي الكتاب نعتة ومدحه
من جملة الآيات ما دل على
ولم يكن نهى جرى في الخبر
فذكره من واجب أو مستحب
أي أدب الشرع الشريف الأمجد
هذا الذي في ديننا نعتقده°
إن قيل : ذاك لم يكن عصر النبي
قلت : وفقده لدى عصر النبي
لنا أمور لم تكن في عصره
وعندنا الدليل في الإسلام
وإن أردت الشرح للمقال
أسباب علمنا : حواس سالمه°

« ونصروه » جاء في الأعراف
ونصره من واجباتنا يرى
منه لصدر المسلمين شرحه
إظهار قدر المصطفى بين الملا
من ذكر نعتة ولا من أثر
بشرط كونه على نهج الأدب
حسب تعاليم النبي محمد
ومن يخالف ديننا ننتقده°
فالآن بدعة وسوء الأدب !
لا يوجب الخروج من ذا الأدب
وواجب في يومنا لنصره
على أمورنا مدى الأيام
فاسمع كلامي فيه بالكمال
خبر صادق عقول عالمه°

(٢) قول الناظم : أسباب علمنا • يشير إلى أنه تقرر في علم الأصول أن
أسباب العلم ، أي الإنكشاف التام الذي لا يحتل النقيض ثلاثة :
الحواس الخمس السالمة عن الاختلال ، والخبر الصادق المنقسم إلى
الخبر المتواتر ، وخبر الرسول لمن شافهه • وثالثها : العقول السليمة •
ومن أوسط هذه الثلاثة أي الخبر الصادق ما يسمى بالكتاب والسنة
أي القرآن الكريم والسنة النبوية قولاً وفعلاً وتقريراً •

ولكل من نصوص الكتاب والسنة دلالات :

الاول : دلالة النص : نحو « قل هو الله احد » •

الثانية : دلالة الايساء : كدلالة : « أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ

من هذه أوسطها الكتاب وسنة" كلهما الصواب
وفيهما الاجماع واجتهاد أهداف كل ذينك الرشاد

الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ » (سورة البقرة/ ١٨٧) على صحة صوم من
اصبح جنبا •

الثالث : دلالة الاشارة كدلالة : « فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ »
(الاسراء / ٢٣) على تحريم ضربهما •

الرابع : اقتضاء النص : كدلالة : « وَاسْتَلِ الْقَرْيَةَ » (يوسف / ٨٢) •
على إضرار الاهل •

وكذلك للسنة دلالات أربع • وفي نص الكتاب ما يدل على الاعتبار
باجماع الأمة واجتهاد المجتهدين فكل حكم مأخوذ من إحدى
الدلالات الأربع ، أو الإجماع أو الاجتهاد ، فهو من دين الإسلام ، ولا
يقال : إنه من البدع والأهواء إلا ممن لم يعرف الكتاب ولا السنة •
ولو لم تكن هذه الدلالات معتبرة لم يقل الباري تعالى : « أَلْيَوْمَ
أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ » لأن إكمال الدين باكمال أصوله
وقواعده ومبادئه ، لا بالتصريح بجميع الفروع التي تلتحق بالأصول •
وعليه فكل ما ارتضاه الأئمة المسلمون ، وبالأخص الشيء الذي نص
عليه القرآن فهو حق ثابت • « وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ
الْبَاطِلُ » (الاسراء / ٨) •

ومن جهة أخرى يعلم كل مسلم ممارس لعلوم الدين أن سيدنا محمدا
صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء والمرسلين • فدينه باق الى يوم
الدين ، وأنه مبعوث رحمة للعالمين إلى كافة الأمم في العالم فاذا لم توجد
طريقة لمعالجة مشاكل المسلمين ، واجتهاد واستدلال فكيف ينشر
هذا الدين ويصل الى المسلمين • فالحق أن كل ما حدث في المسلمين ،
ودخل في أصل من تلك الأصول السابقة ، فهو حق وحقيق بالقبول
والتسليم •

الفاظ ذين بالأصول الجارية
دلالة النص كذا إيماء
والبدعة الضلال ما قد خالفا
ومن يراها بالطراز اللغوي
وما اقتضاء النص بالدلالة
من خالف الإجماع واجتهادا
فافهم كلامي وتدبر فترى
دين رسول الله دين خالد
يحتاج للعلم والاستدلال
بالنص أو بوجه استنباط
وما اقتضاء اجتهاد العلماء
والدين والعلم وعقل صاف
وإن جرى الخلاف فيها فاعلموا
وكل من لم يتجه للحق
وفقنا الله على الثبات
اعتقدوا خيرية للإمامه (٤)

فيها دلالات بحق سارية
إشارة للنص إقتضاء
دلائل الشرع الشريف ذي صفا
قلنا له إنك غافل غوي
منكره باغ وذو جهالة
ضل عن السبيل إعتقادا
من ذلك التقرير خيرا نثرا
ومستمر في الوري وآبى
وفهم حكم الله ذي الجلال
حتى يكون الدين في انضباط
يكون للفوز بحق سؤلما
توائم جاءت بلا خلاف
بأن حكم ديننا مسلم
ضل عن الطريق كالمُنشَق (٣)
حتى تفوز نعمة النجاة
تلك لنا عقيدة مهمة

(٣) اي المنشق عن الجماعة .

(٤) قول الناظم : اعتقدوا خيرية للأمة . يريد أن يذكر أنه لما دخلنا في بيان

فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم وجب علينا أن نذكر أنه من
فضائله صلى الله عليه وسلم أن أمته خير أمة أخرجت للناس ، وفضائل
الأمة فرع فضيلة صاحبها ، لأن كمال التابع فرع كمال المتبوع .

وهذه الخيرية معناها : أن هذه الأمة الجليلة كانت متصلة بسيدها وقائدها
وسندها محمد صلى الله عليه وسلم ، فأخذت من حضرة قيساً من

ونص « كنتم خير أُمّة » كافي لصاحب الوجدان والإنصاف
خيرية مطلقّة الجناب لا من نطاق واحد أو باب

كمالاته العلمية والعملية • ومن كماله العلمي : قوة الإيمان ونور الاعتقاد
وصفاء الصدر وانشراحه واتصافه بالأحوال العالية من حضوره في رعاية
حقوق العبودية لربه تعالى ومن هذه الناحية نتجت فرقة الأصفياء
الأولياء في امته •

ومن كماله العملي القيام بالعبادات الواجبة والمندوبة ، وكف النفس عن
المناهي ، والجهد في الجهاد ، وإرشاد الناس بالتعاليم الإسلامية القيمة ،
ونشأ من هذا : الفرقة العالمة بالدين ، من قراء القرآن الكريم وحفظه ،
ومن رواة أحاديثه الشريفة بالأسانيد المباركة الصحيحة اللطيفة ، وفقهاء
الإسلام من المجتهدين الكرام • وبهذه الفرق الأربعة الأكابر من
الأصفياء المتتورين المنورين للقلوب ، وقراء القرآن ، ورواة الأحاديث
الشريفة وفقهاء الأحكام قامت ودامت دولة الإسلام الخالدة الحاصلة
من جهاد الصحابة الكرام ، وتضحيتهم بكل مالهيم من الأنفس
والأموال والأحوال • ومن هنا يظهر أن دين الإسلام مجموعة مباركة
من العقائد والأحوال من رعاية الأحكام الفقهية واستمراريتها للأجيال ،
فالدين ليس جانباً واحداً بل جوانب ، وكلها كانت موجودة في صدر
الإسلام الذي كان بحراً متموّجاً بأمواج الفضائل العلمية والعملية •
ونص « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ » (آل عمران/ ١٠) •
جامع لكل ما ذكرنا •

وإثبات خيرية هذه الأمة يكون باستقامتها على اتباع الرسول صلى الله
عليه وسلم بلا غلو ولا جمود ولا إفراط وتفریط ، يعنى ببقائها على
الاعتدال في العلوم والأحوال والأعمال ، ويعلن ذلك قوله تعالى :
« وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى

←

دليل ذلك كله اعتدالٌ سواء الإيمان والأعمال
من لم يكن معتدلاً في الوصف لا ريب في اعتلاله بالعرف

النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً» (البقرة/ ١٤٣) •
وأساس ما كان لها من الفضل الإيمان بالقلب السليم والعمل على الصراط
المستقيم بالإخلاص •

وعمدة ما قام به السلف المسلمون بالإيمان بالله ورسوله وحفظ كتاب الله
تعالى كتابة على السطور ، وحفظاً في الصدور ، وجعله دستوراً لكل أمر
من الأمور ، وحفظ سنة النبي صلى الله عليه وسلم كتابة ورواية من
الرواة إلى سيد الأنام بالاتصال والسند الثابت السليم ، مع الجهاد
الحثيث في إيصال الإسلام إلى الأنام بحيث تنور العالم بهم في مدة
أربعين سنة • ثم جاء دور فتح باب العلم والمعارف الإسلامية بتدوين
السنة النبوية بعد جمع القرآن الكريم في خلافة الصديق • وتوحيد
رسم القراءة في عهد عثمان ، حيث علموا بتوقف بقاء الإسلام على بقاء
الكتاب والسنة الشريفتين •

وكل ذلك كان مع استمرار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل دورة
من أدوارهم ، والأمة المباركة كانت منتبهة لما يحتاج إليه الدين من كل
تأليف وتصنيف للعلوم الإسلامية من النحو والصرف واللغة والبلاغة
وأصول الفقه وأصول الدين وغيرها مما ينفع الأمة الإسلامية •

نشأ من القرن الأول حفظ الكتاب الكريم وأحاديث الرسول صلى الله
عليه وسلم • ومن القرن الثاني علم الفقه ، وتبويب أحكامه ، واجتهاد
المجتهدين في استنباط الأحكام ، كما استقر الصالحون على مجاورة
بعضهم لبعض حتى يتهدبوا بالاعتداء بسيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم في التزكية ، والتحلية بالفضائل ، والتخلية عن الرذائل حتى صاروا
أقباساً في الأمة الإسلامية ، واستنار بهم الناس الطالبون •

جعلنا بالفضل أمةً وسط
وذا لكل رفعةٍ أساسٌ
في باب فضل الأمة أمور :
قراءةً كتابيةً بالأدبِ
بسدِّ الأبوابِ على المناهي
وكسرِ باب الجهل والعصيان
والنهي عن منكرها الشنيعة
في حفظ دين الله ذي المنافع
وكل علمٍ سُلِّمَ الوصول
إلى بقاء شرعة الرسول

جاء لنا نصٌ على هذا النمط
أساسها الإيمان والإخلاص
عمدة ما تجلو به الصدور
حفظُ الكتاب معُ سنة النبي
جهادُها في نشر دين الله
وفتح باب العلم والعرفان
والأمر بالمعروف في الشريعة
إنشاؤها لكل علم نافع
من نحو أو من صرف أو أصول
والجهد فيها بغية الوصول

فالأصفياء أمثال : الصديق ، وسلمان ، وقاسم ، وجعفر الصادق ،
والحسن البصري وأتباعه ، والجنيد ، ومعروف الكرخي ، ومن اقتدى
بهم ، حملوا لواء التزكية والتخلية عن الرذائل والتحلية بالفضائل ،
واقْتدى بهم الناس إلى يومنا .

واستمر القراء على صيانة آيات القرآن الكريم وكلماتها وحروفها بما
يحتاج إليه ، واستمروا إلى يومنا هذا .

والمحدثون داموا واستقاموا على رواية الأحاديث الشريفة ، وتفسيرها
بقدر الاستطاعة والإمكان إلى يومنا هذا . وإن لم تكن الصيانة بالصدر
فقد كانت بالخطوط والسطور على أوراق صافية من الكدورات البشرية .
والفقهاء اجتهدوا حسب طاقاتهم في استنباط الأحكام الفقهية ، واستمرار
آثارهم إلى يومنا هذا . والشرف والفضل في كل ما ذكرنا للصدر
المبارك ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : « خير القرون قرني ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم » الحديث (رواه البخاري والترمذي وابن
ماجه وأحمد) .

والجهد في التعليم والدراسة
والجهد في التنوير والإرشاد
تخليّة للنفس عن رذائل
وأهل الاجتهاد والإرشاد
لذلك الفضل الجلي ينجلي
نفازت الأمة بالجلالة
وبقيت طائفة منها على
حافضة الإسناد للقرآن
بكنه مصائب أتت للأمة
أساسها الجهل بدين الحق
ثارت وثار نور الإسلام عليه
بحفظ رب العالمين للهدي
فقدس الله تعالى سرهم
من دعوة المنائر الرشيدة
لكن هنا مراتب بحقها
امته العليا على مراتب

للتالبيين دون ما خصاصة
والجهد في أسباب الاجتهاد
تخليّة للنفس بالفضائل
من دينكم بقي في العباد
خير القرون قرني ثم ما يلي
إجماعها صين عن الضلالة
حق وتبقى مثلها مستقبلا
ولحديث السيد العدناني
وفتن ومحسن مهمه
وطمع من مارق منشق
غارت فغار حكم الإسلام عليه
وجهد مخلصين في دفع العدى
عمّ الجميع خيرهم وبرهم
وخطب المنابر المفيدة
تؤتي جميع ذي الحقوق حقها
حسب أصول الدين في مناصب

(٥) قول الناظم : أمته العليا الخ • بيان مراتب هذه الأمة الجليلة ، وذلك
من جهتين : جهة القرب من حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فمن
هذه الجهة كما نص عليه صلى الله عليه وسلم أربع مراتب : الصحابة ،
والتابعون ، وتابعوهم ، وبعد الطبقات الثلاث سائر الأمة بأسرها •
وجهة الخدمة لتأسيس دين الإسلام ونشره في العالم ، فمن هذه الجهة
أيضا المراتب كما ذكرنا ، لأن الصحابة أول من ضحى بأنفس والأموال
في سبيل الله ، ثم التابعون في خدمة قواعد الدين ، كتاباً وسنة وعلماً

الفرقة الأولى من الأصحاب حملة السنة والكتاب
لولا جهاد صحبه الكرام لم يثبت الإسلام في الأنام
هم جاهدوا لدينه واجتهدوا وفي سبيل نشره أظطهدوا

واجتهاداً ، ثم تابعوهم في إدارة شؤون الإسلام ومعارضة ما حدث من
الفتن الاعتقادية وما شاكلها من الاضطرابات الحادثة في المجتمع كما هو
العادة الجارية بين كل أمة من الأمم •

وأما جهة الفضائل الاكتسابية فيجوز أن يكون لمسلم في آخر الزمان
فضائل لم يكن إلا لقليل من سلفه كما قال صلى الله عليه وسلم : « مثل
أمتي مثل المطر لا يدرى أوّلته خير أم آخره » (رواه الترمذي) •
فإن سيدنا المهدي هو إنسان كامل وهو في الآخرين ، وسيدنا عمر بن
عبد العزيز يعتبر من الخلفاء الراشدين ، وهو في القرن الثاني أي من
التابعين ، وهناك لفيف شريف من أفراد الخلفاء والأمراء من المسلمين لهم
مزايا جليلة قلّ من اتصف بها ، كصلاح الدين الأيوبي واشباهه ،
وكالناصر لدين الله العباسي رضي الله عنهما وعن أمثالهم ، ومثال كبار
المجتهدين في الفقه وأصول الفقه وأصول الدين وكبار الأولياء المخلصين
المتنوّرين المنوّرين للعالم كسيدنا جنيد البغدادي ومن بعده من كبار
الصلّاحين ، وكالأقطاب الأربعة المعروفين بتنوير المسلمين وتجديد عهود
السابقين في تنوير القلوب بذكر الله تعالى وإعادة المحبة والتآخي بين
أقطار العالم الإسلامي • ولم يزل المسلمون على هذا المنوال ، فقد ظهر
في كل مائة سنة من السنين من يجدد هذا الدين أو جدّدّه كما هو
معلوم لمن له معرفة بتاريخ العالم الإسلامي وطبقات رجاله العلماء
العاملين والأمراء العادلين البارزين ، وصلحاء الأمة المصلحين في العالم
جزاهم الله رب العالمين •

هم حاربوا وقابلوا وقاتلوا بالروح والأموال حتى وصلوا
فَدَّوْا بأرواحهم النفيسة لدحر أهل الملة الخبيثة

(٦) قول الناظم : هم حاربوا • شروع في تفصيل أسباب تفضيل القرن الأول •
فيقول : الأصحاب الكرام هم الذين حاربوا المشركين لإعلاء كلمة الله
في العالم ، بعد أن اضطهد الفرقة الأولى منهم من جانب المشركين في مكة
المكرمة بما لا يحتمل عادة ، فهاجروا من ديارهم إلى بلاد الحبشة مرتين :
المرّة الأولى من تعبهم بأيدي المشركين ، وبعد بتأنيهم مدة في الحبشة
سمعوا أن المشركين سالموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجدوا
معه لله عند قراءة سورة النجم ، فحسبوا أنهم أسلموا أو صار فيهم
مسألة معه فرجعوا إلى مكة ، وبعد أن علموا أنهم باقون على ما كانوا
عليه هاجروا المرّة الثانية إلى الحبشة حتى هاجر الرسول صلى الله عليه
وسلم إلى المدينة المنورة ، وتتابع الأصحاب في الهجرة ، فرجعوا من
الحبشة إلى المدينة المنورة ، واستقروا ولما نزل الأمر بالقتال مع المشركين
دخلوا في محاربتهم ، فقاتلوهم وقتلوهم واستشهد منهم كثيرون ،
فنصرهم رب العالمين عليهم ، وانتصروا ، وأخذوا يغرسون شجرة الإيمان
في قلوب الناس بالإرشاد وتلاوة القرآن الكريم ونشر السنة النبوية ، فقبلوا
الكرب والبلاء والمحنة في الغربية شرقاً وغرباً حتى فتحوا مكة المكرمة ،
والقبائل المجاورة للمدينة ولمكة ، واستولوا على قبيلة هوازن ، وانتشر
الإسلام في الحجاز ، فلولا بريق سيوفهم ولولا أنوار حروفهم ما كان
يستقر الإسلام بين الأنام •

ثم أخذ الناظم يذكر فضائل كبار رجال الصحابة ، وهم الخلفاء
الراشدون : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي رضي الله عنهم • وبدأ
يذكر مآثر أبي بكر رضي الله عنه ، فقال : أبو بكر هو أول إنسان

فغرسوا شجرة الإيمان على صدور الناس في الزمان
تكربوا لدينهم تغربوا وفي البلاد شربوا وغربوا

رجل آمن بالرسول وبذل حاله وماله له صلى الله عليه وسلم ، فلولا
اهتمامه بحضرته ما كان ينجو عادة من شرار العرب ، ولا كان يسهل له
الهجرة للمدينة المنورة . ومواقفه الحميدة في المعونة والجهاد بالمال
والمال والنفس معروفة لمن يراجع التأريخ الإسلامي . فصار أبو بكر
بمساعده بالإيمان ، وصرف النفس والنفس ، ومصاهرته له يداً يبنى
في جسده الشريف . وعندما قرب وفاته ودخل في المرض استخلفه للإمامة
بالناس في الصلاة واقتدى صلى الله عليه وسلم به في مرضه للوفاة ،
وأمر بسد جميع الأبواب الصغيرة المحيطة بالمسجد إلا الباب الذي يدخل
منه أبو بكر للمسجد ، وكل مهام المسلمين في ذلك الوقت كان من
الإمام ، وكل هذه الأعمال من الرسول دليل على أن أبا بكر أول خليفة
له صلى الله عليه وسلم .

ومن مآثره أنه بعد استقراره على الخلافة الإسلامية قام بأمر هامة
كانت كأساس لبناء الإسلام . منها : قتال أهل الردة المانعين عن إعطاء
زكاة أموالهم ، وقالوا : إنها تشبه الجزية ، ونحن نستكف عن دفعها ،
فصار كلامهم عقدة وشبهة في قلوب باقي القبائل المجاورة ، فقاتلهم
أبو بكر رضي الله عنه حتى استسلموا وانكسرت ثورة شبهتهم الباطلة
واستسلم باقي القبائل المجاورة .

ومن مآثره محاربته مسيلمة الكذاب المنحدر من عشيرة بني حنيفة ،
واتباعه الذين بلغوا نحو اثني عشر ألف محارب ، فحاربهم أبو بكر
بالصحابه الكرام ونصره الله تعالى بفضله ورحمته وقتلوا مسيلمة ،
وأبادوا جيشه بالرغم من أنه استشهد كثير من الأصحاب ، وخاصة قراء
القرآن الكريم الحفاظ له .

زادهمُ الاخلاص واختصاص
لولا شروق الدم من أبدان
لما بدا الإسلام عند الابتدا
وحفظوا وكتبوا القرآن
لحفظ الأحكام بلا عيوب
خذه من المحبِّ يا خليل

للبعض هجرتان بل ثلاث
لولا بريق السيف في الميدان
لولا قبول كل حال للهدى
وحفظوا البيعة والأيمان
وحفظوا الإيمان في القلوب
ذلك حال الجمع ، والتفصيل

أبو بكر رضي الله عنه

وافقه التوفيق والتصديق
أفضل أمة الرسول العالي
وذا بنور القلب لا بقاله
ما كان ينجو من شرار العرب
ما صارت الهجرة للرسول
لتأهت الأمة تيه الحسرة
لم يبق للإسلام من حساب
لم تبق ملة الهدى بسالة

أما أبو بكر فهو الصديق
أول من آمن في الرجال
سخا بكل حاله وماله
لولا اعتناؤه بحضرة النبي
لولا سخا بالمال للوصول
لولا خلافته بعد الحضرة
لولا قتال ردة الأعراب
لولاه لولا قتلته مسيلمة

بمنها جمعه بمشاوره عمر بن الخطاب معه ومشاورتهما مع زيد بن ثابت
كاتب الوحي المختص به صلى الله عليه وسلم خوفاً من ضياع القرآن
بوفاء القراء الحفاظ له ، فجمعوا جميع القرآن الكريم واستسخوه في
صحائف من الجلود ، وبقي في بيت أبي بكر في حياته ثم عمر في مدة
خلافته ثم عند أم المؤمنين حفصة بعد وفاة عمر إلى أن جمعه عثمان
جمعاً ثانياً .

فلولا هذه الخصال الثلاث لما استقر الإسلام لضياعه على أيدي المرتدين
لا سيما مسيلمة الكذاب لقوته . ولضاع الكتاب الكريم ، ولكن الله
نصره ، فانتصر عليهم ولله الحمد .

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

أما عمر فإنه إعزاز^(١) لدين الإسلام ، وامتنياز
لولا بدار^٢ عمر للبيعة لم يبق للإسلام أي^٣ منعه

(١) قول الناظم : أما عمر إلخ • شروع في مآثر عمر رضي الله عنه ، وأول
مفخرة له أنه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وقبل دفن جسده
الشريف لما رأى أن الناس اجتمعوا في السقيفة ، وكاد أن يحصل الخلاف
وانشقاق المسلمين على مسألة الخلافة ، مدّ يده القوية الشريفة إلى
يد أبي بكر الصديق فبايعه بيعة الخلافة الإسلامية ، وتتابع الناس على
عسله ، وبايعوه وسبحان الله لم يعارضه أحد من بيعته ، نعم إن سيدنا
علياً لمفاجعته بوفاة الرسول كان في محنة تامة ، فتأخر أياماً إلى أن أفاق
من حاله وملاله وجاء إليه وبايعه وصفا الحال ، ولم يبق أي كدر هناك •
وكل ما ينقله القصاصون على خلاف ذلك كذب وافتراء • وسيأتي
توضيح لهذه القصة إن شاء الله تعالى • فهذا المدّ السعيد لساعد عمر
أول مفخرة له صارت سبباً لاستقرار الإسلام • ومن مآثر عمر أنه كان
أول من تفكر في جمع القرآن بعد واقعة حرب مسيلمة ، خوفاً من ضياعه ،
فأطاعه أبو بكر ، ثم شاوروا زيد بن ثابت ، ووافقهما عليه ، ومن مآثره
أنه تم فتح جزيرة العرب في خلافته ، وفتح فلسطين وفتح الشام وفتح
أهواز وكردستان وإيران في خلافته • وأنهى خصام الفاسدين معه على
هذا الأمر •

ومن مآثر عمر رضي الله عنه أنه بعد أن فتح العراق ووجدها مملكة
خسبة ، وخاف من اشتغال الفاتحين باستثمارها بعد تقسيمها ، استوهم
الفاتحين أرض العراق ، وكانت الأراضي الزراعية منها ستة وثلاثين
مليون جريب (دونم) تقريباً ، فوقها وقفاً عاماً للمسلمين ما عدا

لحارّت الأمة في ارتياب
قد جعلوه الشمس للشوابت
ليبعة الصديق واستمدت
من اختلاف الرأي والمقال
ما تمّ فتح لجزيرة العرب
ببرق نورٍ مع صدق الوعد
ومعه شقيقه المعنى
غلاظ قلبٍ مستحقي النار

لولاهما في الجمع للكتاب
هما وزيد الكاتب بن ثابت
روحي فداءٍ ليدٍ قد مدّت
لولاه صار الناس في زلزال
لولا جهاده بقوة الحسد
هو الذي جهز جيش السعد
من صيتٍ سعد قد أتى المثني
فطهروا البلاد من كفارٍ

ما يحتاجون إليه للمساجد والمدارس والمقابر ، وما يحتاجون اليه للمصالح العامة • وقرر على كل جريب من تلك الأراضي مبلغاً من الأجرة يصرفها المستأجر إلى مأمور بيت المال سنوياً •

والسواد من العراق عرضاً : من القادسية (كوفة) إلى حلوان (زهاو) • وطولاً : من حديثة الموصل إلى عبادان من الأهواز فهذه كلها من أرض سواد العراق • ويدخل فيها على ما قرره المولى ابو بكر المصنف في الوضوح شرح المحرر المخطوط لحد الآن قرى : جوانرود ونفسود (نوسود) من ناحية أورامان لهون وأراضي شهرزور إلى نهاية جبل سوريّين ، وقسماً من شهربازار ، وكل السليمانية وما والاها إلى كركوك ، وصحراء أربيل منحدرأ إلى حديثة الموصل • فلولا كفايته وبعد نظره لم يفعل ذلك ، واشتغل الناس الفاتحون بالتملك والاستثمار ، وتركوا الجهاد ، ووقعوا في تهلكة غلبة الكفار المجاورين ، فرحم الله عمر لإيمانه وعقله وعلمه وعدالته وشهامته وشجاعته ، واستشهد عمر أخيراً على يد أبي لؤلؤة المجوسي لشبهة غلاء جزيته ، وكان في الحقيقة بمؤامرة ظالمة أجنبية • ومن كانت له عين البصيرة يطلع على السريرة ، ومن لم تكن له ذلك فلا اعتبار له •

وَبَعْدَ لَوْهَا بَرِيَاضِ الْجَنَّةِ
وَبَعْدَ فَتْحِهِ الْعِرَاقَ كُلَّهَا
وَبَعْدَ تَقْسِيمِهَا بِالْأَئِمَّةِ
إِسْتَوْهَبَ الْجَمِيعَ مِنْهُمْ بِالرِّضَا
أَجْرَهَا لِأَهْلِهَا مَثُوبًا
مِنَ الْحَدِيثَةِ إِلَى عِبَادَانِ
تِلْكَ عَلَى الطُّولِ وَذِي بِالْعَرْضِ
قَرَرَهَا الْأُئِمَّةُ الْكَرَامُ
وَفَتَحَ الْبِلَادَ مِنْ أَهْوَا
فَتَحَ أَرْضَ الْعَجَمِ بِأَسْرَهَا
فَتَحَ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ الشَّرِيفِ
وَأَرْضَ مِصْرَ مَرْبِعِ الرِّبَاطِ
فَرَتَّبَ الْبِلَادَ بِالمُؤَاصَلَةِ
وَنَشَرَ الْعَدْلَ عَلَى الْبِلَادِ
وَبَعْدَ ذَلِكَ اللَّهُ قَدْ آتَاهُ
ذَا عَمْرٍ ، وَإِنْ سَأَلْتَ مِنْ عَمْرٍ ؟
رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ عَمْرٍ

عَاشَ بِهَا الْأَحْرَارُ دُونَ مِثْلَةِ
جِبَالِهَا وَصَعْبِهَا وَسَهْلِهَا
بَيْنَ أَوَّلَى السُّيُوفِ بِالْيَقِينِ
وَوَقْفِ السَّوَادِ كَلَاءً وَارْتَضَى
بِأَجْرَةِ لِبَيْتِ مَالٍ أَبَدًا
وَقَادْسِيَةِ لَأَرْضِ حُلُوانِ
تِلْكَ السَّوَادِ مِنْ عِرَاقِ الْأَرْضِ
إِلَّا أَبَا حَنِيفَةَ الْهَمَامِ
وَأَرْضَ شَهْرَزُورَ بِامْتِنَانِ
إِلَى خِرَاسَانَ بِدُونِ كَسْرَهَا
وَأَرْضَ شَامَ ، شَامَنَا اللَّطِيفِ
طَهَّرَهَا مِنْ وَسَخِ الْأَقْبَاطِ
مَعَ جَيْشِهِ مَعَ قُتُوبِ الْمُوَاصِلَةِ
صِيَانَةً لِلدِّينِ وَالْعِبَادِ
الْفُوزَ بِالشَّهَادَةِ وَارْتَضَاهُ
عَمْرُهُ اللَّهُ لَخِدْمَةُ الْبَشَرِ
الْعَادِلِ الْعَامِلِ حَسْبَمَا أَمْرُ

عثمان رضي الله عنه

مِنَ النَّبِيِّ كَالنُّورِ لِلْعَيْنَيْنِ
مَرَّةً (بَثْرُ رُومَةٍ) شَرِيتَيْنِ

عُثْمَانُ^(١) مَنَ عُثْمَانُ ؟ ، ذُو النُّورَيْنِ
قَدْ اشْتَرَى الْجَنَّةَ مَرَّتَيْنِ

(١) قول الناظم : عثمان إلخ . بيان مناقبه رضي الله عنه ، وهو من السابقين في الإيمان ، وهاجر مرتين إلى الحبشة ، وبعد حجرة الرسول صلى الله

ثانيةً تجهيز جيش العسرة فياله من خدمة ونصرة
افضل أعماله في الإحسان عند الإله الغافر المنان

عليه وسلم جاء إلى المدينة المنورة • وله مفاخر في الاسلام باشتراء بشر رومة ، وبتجهيز جيش العسرة وعليهما قال - صلى الله عليه وسلم - اشترى الجنة مرتين عثمان رضي الله عنه • وزوجه الرسول صلى الله عليه وسلم بنته رقية ، ولما توفيت زوجه بنته أم كلثوم ، ولما توفيت قال صلى الله عليه وسلم : « لو كانت عندي ثالثة لزوجتكها » وكان منبعا للحياء إلى درجة قال صلى الله عليه وسلم : « إن الملائكة تستحي من عثمان » واتفق مناقبه عبارة عن جمع القرآن الكريم على لغة قريش ، أي على قراءة توافقها •

وتفصيل هذا الجمع هو أن القرآن الكريم نزل بلغة قريش ، ولما طلب الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجعل الله للغة القبائل الأخرى فيه خطأ نزل في بعض كلماته بلهجة سائر القبائل ، وتلك الوجوه لا تختلف في أصل المعنى المقصود • وإن كان بحسب المفهوم اللغوي فرق ، كما بين يعملون ويفعلون ، وتلك الوجوه لا تزيد على سبعة بينها العلماء ، ومعلوم أن القرآن الكريم لم يكن عند بعض الأصحاب كله ولا كل تلك اللهجات ، فإذا قرأ شخص : « والله عليم بما يفعلون » وآخر قرأ : « بما يعملون » يحصل بينهما نزاع ، وبعضهم يخطئ الآخر •

ولما جاء دور خلافة عثمان رضي الله عنه ، ووصل جيش المسلمين إلى (باب الأبواب) بعرف ذلك العهد (باكو) بعرف الناس اليوم ، وهي في أطراف روسيه ، حصل نزاع بين أفراد من الأصحاب في بعض القراءات حتى كاد أن تحصل منه فتنة كبيرة ، وباقي الأصحاب سعوا في إخماد نارها في ذلك الوقت • وكان فيهم حذيفة بن اليمان ، أمين الرسول

يبقى بلا خلفٍ لدينٍ خالدٍ
رجع من باكو يُحدّثي سيفه
نظامها سيدنا المولى علي
وكلّ جزءٍ كان في كتابٍ
بلغه قريش القوم الأجلّ
فكتبوا في هامشي الأوراق
لديننا موسوعة المعارف

جمع الكتاب في نظام واحدٍ
على هدى أتاه من حذيفة
وذاك من تشكيل لجنة تلي
فأحضروا مصاحف الأصحاب
وكتبوا القرآن حسبما نزل
ذلك في الداخل أما الباقي
فكتبوا سبعا من المصاحف

عليه السلام ، ونظر إلى القضية بدقة ، وخاف من عود مثلها ، فركب دابته
ورجع إلى المدينة المنورة ، وأخبر عثمان وأشار عليه بتدارك الأمر ،
فلبّاه عثمان ، وجمع لجنة من خيار الصحابة ، وجعل علي بن أبي طالب
مشرفاً عليهم ، فجمعوا المصاحف الكاملة والناقصة كما أنّهم جاؤا
بالمصحف الذي كتبه زيد بن ثابت ، والذي جمعه أبو بكر ، وأمر بكتابة
سبع نسخ منه على لغة قريش الذي نزل القرآن عليها في صلب الصحائف ،
وبكتابة سائر اللهجات على هوامش الصحيفة ، رعاية لبقائها حتى لا يضيع
شيء منه ، وأمر بإحراق سائر المصاحف التي عند الصحابة مما عدى تلك
السبعة ، فأحرقوها حتى مصحف عبدالله بن مسعود ، وعلي بن أبي طالب
رضي الله تعالى عنهما ، وكان أولا لا يُحبان إحراق ما عندهما ، فلما
علما أن إحراقهما أنسب بالمصلحة أحرقا ما عندهما ، فبقي المسلمون
على شكل واحد من خط المصاحف ، واتفقت كلمة الأمة بهذا العمل
النافع ، فرضي الله عنه وعنهم بهذا العمل الجليل ، وأرسل عثمان منهما
مصحفاً إلى مكة المكرمة ، وآخر إلى اليمن ، وآخر إلى البحرين ،
ومصحفاً إلى الكوفة بالعراق ، ومصحفاً إلى الشام ، وآخر إلى مصر ،
وأبقى عنده في المدينة المصحف السابع ، واشتهر بالمصحف الإمام ،
والحمد لله تعالى .

وبعد ذا أمر بالإمحاء
لم يبق في الدنيا من القرآن
أرسل ستة إلى الأمصار
لمصر ، للشام ، لمثلك اليمن
لبلد الكوفة في العراق
سابعها للطيبة المنورة
سمي بالإمام حيث إنه
أو إنّه بقى لدى الإمام
والحق لولا جمعه النفع
فرضي الله تعالى عنهم
وصار حاصل المديح فيه

لكل مصحف بلا إرجاء
مما عداها بعد ذلك الآن
مع مقررئين كمثل أخيار
لمكة الشريفه ، والبحرين
مشعل نور العلم في الآفاق
أكرم بها مكرمة ومفخرة
إمام ما قد استسخوه منه
فصار كالإمام للأنام
افسد أمة الهدى النزاع
وكل من رضي سعيهم
شهادة في بيته تكفيه

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

باب جميع الخير والصواب
أخي الرسول الهاشمي العربي

نأتي إلى أبي ثراب
باب مدينة معارف النبي

(١) قول الناظم : نأتي إلى باب إلخ • شروع في بيان فضائل سيدنا علي كرم الله وجهه ، وأشار بكلمة باب الى حديث : « أنا مدينة العلم وعلي بابها » • (رواه الطبراني والحاكم وغيرهما • وقال الشيخ السيوطي : حديث حسن لغيره) وهو أول من أسلم في صغر السن معصوماً قبل وصوله وقت التكليف وقد تربى مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، أي مجاوراً له ، ومتأديباً بأخلاقه ، وكان عمره تسع سنين عند نزول الوحي الى الرسول صلى الله عليه وسلم •

أول معصوم أتاه الدين	عليّنا وليّنا الأمين
أعماله مشهورة جليّة	أخلاقه مسطّورة جميلة
نقول هذا الفاضل الهمام	وذلك العلامة الفهّام
وذلك الأمين في الاسلام	وذلك المبين للأحكام
وذلك الشجاع في الأنعام	وذلك الرفيع في المقام

وهذا الفاضل له شهرته في ديارته وأماتته وعلمه وثقافته وفي غيرته وشهامته ، وفي القضاء بين المتخاصمين ، قال صلى الله عليه وسلم : « أقضاكم علي » (رواه البخاري وابن ماجه واحمد بن حنبل) فإنسان في هذه الرتبة من المكارم من الدين والأمانة والعلم والغيرة والشهامة لا يتصور الإنسان العاقل أنه إذا ورد نص في حقه يترك حقه من الخوف من احد ، او من الجهل بالواجب ، ولما قبل خلافة أبي بكر وبايعه ولو بعد حين ، وقبِلَ خلافة من استخلفه أبو بكر ، وهو عمر ، وزوجّه بنته أم كلثوم ، وولدت له أولاداً ، ثم قبل أن يدخل في الشورى لاختيار الخليفة بعد استشهاد عمر رضي الله عنه ، علمنا أنه لم يرد في حقه نص . لأن ترك النص إما لقلّة الأتباع وكان عنده من قريش أفراد كثيرون ، أو للخوف ، والخوف يكون من الضعف ، أو بترك الواجب وهو كان الأمين المأمون في الدين ، فعلمنا أن الحق ما استقر عليه عمل الصحابة في باب تعيين الخلفاء .

وما نقل من تأخره عن بيعة أبي بكر الصديق كان لمفاجعته بوفاة ابن عمه الكبير سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووفاته بالنسبة إليه كانت ادهى داهية ، وأقسى مصيبة واردة . وما نقله اللشاعة من بعض أمور ملفقة كلها كذب وافتراء ، وما عليها إلا ما على افتراء المفترين الفاسدين . على أن العقل السليم لا يقبل في حق جمع من خيار الأمة النسي ورد في

ما ترك الحق تقىً عن خلقه
 قلبه من حزن وفاة المصطفى
 مزوّجاً بنته للمشايعة
 يطلب حقه على نص الخبر
 من نصرة الرفاق كلاً وارتضى
 وليس دعواهم لأجل الله
 يشهد بها منبر دار الكوفة
 من ارتضى بفعله الحق القوي
 فكل ما قضى به حق جلي
 وكل من رضي من فعل علي

لو كان نص وارداً في حقه
 ما راجع الصديق بعد أن صفا
 وما أتى عمر للمبايعة
 ما دخل الشورى ورى فوت عمر
 فالحق ما كان عليه قد مضى
 فالناس ناسون لحق الله
 خطبه في مدحهم معروفه
 فليعلم العالم أنّي العلوي
 قد قال في حقه : «أقضاكم علي»
 فرضي الله علياً الولي

الامام الحسن رضي الله عنه

سيد عصره بنص المصطفى
 بايعه الموجد من أهل الوفا

وبعده الحسن^(١) ختم الخلفا
 بتوقيع بعده بصدق وصفا

مدحها آيات كثيرة عموماً وخصوصاً ، وأحاديث كثيرة كذلك أن تحصل
 منهم الإجماع على خلاف الحق ، أو قبول غير الحق . ثم سيدنا علي
 رضي الله عنه كان مدة ست سنين على منبر الكوفة يخطب ولم يسمع منه
 بالنسبة إليهم إلا الثناء والترضي عنهم ، فرضي الله تعالى عنهم أجمعين .

الامام الحسن رضي الله عنه

(١) قول الناظم : وبعده الحسن . بيان لفنائل أكبر السبطين سيدنا الامام
 الحسن رضي الله عنه . و في الحقيقة هو وأخوه الإمام حسين سبطا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقان ببيان كرامتهما ، ولتثبت
 محبتهما في قلوب المؤمنين ، لأنهما من كبار أئمة آل بعد والدهما

لَمَّا تَعَالَى شَأْنُهُ مِنَ الصَّفَا تَرَكَ مَا قَدْ دَارَ فِي عَهْدِ الْجَفَا
وَحَقَّ صَدَقاً إِنْ ابْنِي سَيْدٍ أَمْرُ التَّنَازُلِ بِحَقٍّ جَيِّدٍ

وامهما رضي الله عن الجميع • وكان الحسن يشبه جده رسول الله أزيد من أبيه ، وقد ورد بذلك الحديث كما ورد في شأنه : « إِنْ ابْنِي هَذَا سَيْدٌ وَسَيَصْلَحُ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » (رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي) وقد ظهر بهذا الحديث الشريف أنه من سادة المسلمين ، وهو من المصلحين ، وأن كلاً من الفئتين أي فئة جده وفئة ابن عمه معاوية بن أبي سفيان من المسلمين ، وأن خلافتها خلاف " اجتهادي " ، وأنه لما تنازل عن حق خلافته لمعاوية رضي الله عنه عمل عملاً مباركاً نافعاً للأمة الإسلامية •

والأفضل بعدهما باقي العشرة المبشرة ، أي بعد الخلفاء الأربعة ، وعما الرسول سيدانا حمزة وعباس ثم أصحاب بدر الكبرى ، ثم أصحاب أحد ثم أهل بيعة الرضوان الذين كانوا نحو ألف واربعمائة رضي الله عنهم أجمعين •

ومما يجب أن يعلم أن آيات كثيرة وردت في فضائل الصحابة عموماً وخصوصاً ، وكذلك من الأحاديث الشريفة بحيث تندهش العقول أمام فضلهم من حيث الإيمان والاعتقاد والدوام على الحق والدين ، ويكفي المسلم المنصف قوله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَتَّفَقَ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ مِثْدَهُ أَحَدُهُمْ وَلَا نَصِيفَهُ » (رواه البخاري وأبو داود والترمذي) • ولم يكن ذلك الحديث إلا لقوة إيمانهم ، ومزيد إخلاصهم ، كيف ولو لم يكونوا بتلك الدرجات ما كان الإسلام ينتشر في ربوع العالم ، وما بقي للحق أثر ، كما قال صلى الله عليه وسلم في واقعة بدر : « أَللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعَصْبَةُ (أي جماعة جيشه) لَمْ تَعْبُدْ وَلَمْ يَسْجُدْ لَكَ » (رواه مسلم) • أو كما قال ، فرضي الله عنهم

←

لِحَسَنٍ وَصَنُوهُ احْسِنِ
تَفْضِيلَ بَاقِي الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرَةِ
وَعَمَهُ الْعَبَّاسُ خَيْرَ مَنْ بَدَأَ
لَيْسَ يَنَالُ قَدْرَهُمْ مِنْ أَحَدٍ
فِي كُلِّ سَاعَةٍ بِلَا تَسْوَانٍ
وَسُورَةِ الْفَتْحِ بِدُونِ رِيَّةٍ
رَبِّي بِهَذَا فِي كِتَابِهِ قَضَى

رَضْوَانُ رَبِّي نَازِلٌ بِالْعَيْنِ
وَبَعْدَهُمْ فِي الصَّحْفِ الْمُنْشَرَةِ
عَمَاهُ حَمْزَةُ رَئِيسِ الشُّهَدَاءِ
أَصْحَابِ بَدْرِ وَصِحَابِ أُحُدٍ
وَأَرْضَ عَنْ أَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ
كَفَى الْجَمِيعَ مَدْحُهُمْ فِي التَّوْبَةِ
وَالتَّابِعُونَ بَعْدَهُمْ أَهْلُ رِضَا



فلنأت للأئمة الكرام^(١) مجتهدى أمتنا الأعلام

جميعهم أولهم وآخرهم وعن التابعين لهم بإحسان وتابعي التابعين من
الأئمة الأعلام المجتهدين وغيرهم من خدام هذا الدين وعنا ببركاتهم
آمين يا أرحم الراحمين •

ومن أولاد الإمام الحسن : الطائفة المعروفة بالأدارة ملوك المغرب
وشرفاء مكة وسيدنا عبدالقادر الكيلاني ، وكلهم أولاد السيد عبدالله من
أحفاده رضي الله عنهم •

(١) قول الناظم : فلنأت للأئمة الكرام : بيان بالإجمال للأئمة المجتهدين من
التابعين وتابعي التابعين ، فضبطوا قراءات القرآن الكريم ونشروها
وعلموها الأئمة الإسلامية كما أخذوها من الأصحاب الكرام ، وهم
أخذوها من حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم بطريق التواتر وهو من
أسباب اليقين • ثم ظهر قراء سبعة ، ولكل منهم راويان مختصان
بالفضائل وإلا فالكل آخذون لها بعدد التواتر ، والقراءة عندنا في بلادنا
قراءة حفص الدوري ، وهو راوٍ عن العاصم رضي الله عنهم •

وأما الأحاديث الشريفة فلم يكتب في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم
خوفاً من اختلاطها بآيات القرآن الكريم ، وحصول الاشتباهات إلى

هم خير فرقة لأمة الهدى على شمول المنتهى والمبتدا
فحفظوا الكتاب باهتمام ودوّنوا السنة للإمام

عصر الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز الأموي ، فأمر الزهري وكان
زميله في أخذ القرآن والأحاديث ، فأكسبوا العمل وتعبوا في جمع
الأحاديث الشريفة بقدر الإمكان وبعد جمعها أخذ الأئمة يرتبون على
أبواب الفقه والاعتقاد بحيث يستفاد منها بسهولة حتى أتى الزمان إلى
أصحاب الصحاح كموطأ للإمام مالك ، ومسانيد أبي حنيفة والشافعي
ومسند أحمد بن حنبل ثم سائر الصحاح الأخرى مثل صحيح البخاري
ومسلم وغيرهما .

وأما أئمة أحكام الفقه فيقول ابن القيم الجوزي : توفي الرسول صلى
الله عليه وسلم عن عدد كثير من المجتهدين يبلغ عددهم المبلغ الزائد على
المائة ، وكلهم واصلون درجة الفهم الكامل للآيات والسنة النبوية ،
كعبدالله بن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وتميم الداري ، وأبي الدرداء ،
وسلمان الفارسي ، ومعاذ بن جبل العَلَمَ العالي في الافتاء ، وأبي
موسى الأشعري ، وغيرهم ، ولكلٍّ منهم مساعٍ جميلة جليلة لا سيما
ابن عباس ألّف كتباً كثيرة في الأمور الإسلامية .

حتى جاء دور الأئمة الأربعة المشهورين : أبي حنيفة ، ومالك ،
والشافعي ، وأحمد بن حنبل الشيباني رضي الله تعالى عنهم أجمعين ،
فكتبوا ودوّنوا الأحكام الإسلامية وصارت ذخيرة للمسلمين .

أما أبو حنيفة فولد في تاريخ الثمانين من الهجرة في الكوفة وأخذ الأحكام
من أستاذه حماد ، وهو أخذ من إبراهيم النخعي ، وهو عن علقمة ، وهو
عن عبدالله بن مسعود الصحابي الجليل الذي أرسله عمر بن الخطاب
إلى الكوفة . وتوفي أبو حنيفة سنة مائة وخمسين من الهجرة النبوية
في بغداد ، وقبره قرب جامعته .

وجاهدوا واجتهدوا وشرحوا ودين الإسلام بحق أوضحوا
لولاهم ما قام للإنسان مفخرة البيان للأحكام

وأما الإمام مالك بن أنس ولد في المدينة المنورة عام تسعين ، أخذ العلم من الزهري ابن شهاب ، وعن نافع مولى عبدالله بن عمر ، ومن ربيعة ، وعاش تسعة وثمانين عاما ، وتوفي في المدينة ، وقبره الشريف في جنة البقيع بالمدينة المنورة .

وأما الإمام الشافعي ، فهو محمد بن إدريس من أحفاد شافع المطلببي ، ولد في غزة من ديار فلسطين . ودخل مكة ، وأخذ العلم من سفيان ابن عيينة ومن مسلم بن خالد الزنجي ، ومن وكيع ، ومن الإمام مالك . وتوفي في مصر عام مائتين وأربعة من الهجرة ، ودفن الإمام في قرافة مصر رضي الله تعالى عنه .

وقد ثبت أنه بعد تخرجه عند مالك جاء إلى بغداد وبقي مدة ثم سافر إلى شمال العراق بلدة أربيل وما والاها ، وتجول نحو سنتين وصار له مع علماء تلك البلاد مباحث ومذكرات ، وبث آراءه الاجتهادية لهم ، فقبلوها وصوبوها والتزموها ، ولذلك قلد جميع الأكراد مذهبه ، حتى أطراف لورستان التابعة لكرماشان ، وكان هناك أمير يسمى بعزالدين ، وقد كان شافعي المذهب ، وكما يقول صاحب كتاب (شرفنامه) قد حفظ نحو من اربعة آلاف مسألة من فقه المذهب الشافعي . ثم بعد استيلاء الصفوية على تلك البلاد في تاريخ ٩٠٦ هـ وذلك بتأييد الأجانب حتى يكسروا شوكة الخلافة العثمانية تركوا مذهب الإمام ووصلوا إلى ما وصلوا إليه ، والأمر يومئذ لله .

وأما الإمام أحمد بن حنبل الشيباني وكان حنبل جده الثاني واشتهر بالإضافة إليه ، فولد في بغداد عام مائة واثنين وسبعين من الهجرة وأخذ العلم في بغداد ، وسافر إلى الشام ثم إلى مكة المكرمة ، ثم إلى

فحسبهم « خير القرون قرني ثم الذين » في ذكر علو الشأن
فرضي الله عن الجميع رضاء عفو ورضا الترفع

اليمن ، ثم إلى بغداد وأخذ العلم في سفره من سفيان بن عيينة الذي
أخذ منه الإمام الشافعي ، وفي بغداد تلمذ على الإمام الشافعي ، وتبحر
في الحديث الشريف والفقه الشريف فصار كاملاً في العلم ، بحيث أنه
قال الشافعي عند خروجه من بغداد : تركت بغداد ، وما تركت فيها أفقه
ولا أروع من أحمد بن حنبل رضي الله عنه . وتوفي في بغداد عام
مائتين وواحد وأربعين هجرية ، ودفن قرب دجلة ، وبعد مدة من الزمن
جاء السيل وطغت دجلة ، فيقول الناس : إنه نقل من قبره إلى محل في
(ميدان) قرب الدفاع ، وقد زرته هناك ، وكتب على جبهة الباب : هذا
قبر الإمام أحمد بن حنبل أحد المجتهدين . والمحل مهجور وليس فيه
ما يليق بشأن ذلك الامام العالم المحترم المحدث الشهير ، وصاحب المسند
الكبير رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

وأولئك الأئمة الكرام خدموا الإسلام في إسناد الأحكام وبيان أدلتها
بالتمام ، والرسول صلى الله عليه وسلم مدح قرونهم بقوله الكريم :
« خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم »
(رواه البخاري والترمذي وابن ماجه وأحمد بن حنبل)
أو كما قال . وعلى المسلمين الترضي عنهم جميعاً .
وإياكم أن تسمعوا كلام الجهلة الذين لا يحفظون مائة حديث
في الأحكام ، ولا أسانيداً ولا معانيها ، بل ولا علم لهم بالإعراب والبناء !
فإنهم ديدان القراء ، وحذرهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن فتنهم ،
والحديث في جامع الصغير في حرف السين .

أوصيكم أيها الكرام البررة^(١) أتم على بساط دنيا سفرة
يحتاج كلنا لحمل الزاد ليوم نلقى ملك العباد

(١) قول الناظم : أوصيكم : بيان " لوصية بحق من واجبه ، والوصية
وصية بالاستقامة على شعار الإسلام ، وآداب الرسول وأصحابه ، كما هو
بالاستقامة على شعار الإسلام ، وآداب الرسول وأصحابه ، كما هو
شعار أهل السنة المأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم في بيان المسلمين
الكاملين بقوله صلى الله عليه وسلم : « هم الذين على ما أنا عليه
وأصحابي » والذي رواه عنه تميم الداري ، قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول : « الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة
المسلمين وعامتهم » (رواه البخاري والترمذي) • والنصيحة : الخلوص
والجهد بالصدق والتزام الحق • وعلى ضوءها يجب علينا جميعاً التزام
الكتاب بالعمل بحكماته ، وتفويض متشابهاته إلى الله ، أو تأويلها بما
يليق بحضرة واجب الوجود الذي ذكرت صفاته بالأحادية والصدقية
والقدم والبقاء أبداً وعدم مماثلة من سواه وما سواه • ومحبة رسوله
وتعظيمه ونصرة دينه وتعظيم أئمة المسلمين في بيان القرآن والأحاديث
والاعتقاد والفقه والزهد عن الدنيا ، ثم لعامة المسلمين ، والنظر إليهم على
ضوء حديث : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله ولا
يكذبه » (رواه مسلم) •

ومن مهمات الوصايا : التحذير عن الانخداع بحيل الكفار ومكرهم
فانهم بعد استيلائهم على بلاد الإسلام يشتغلون دوماً بإضعافهم بل
ويأبادتهم من جهات شتى ، أولاً : بتغيير منار التربية والتعليم ، بحيث
لا يستفيد الدين وأهله من معلوماتهم ، ويصرف علومهم في خدمة
المطامع النفسية •

لله في منهاجيه الرشاد
والنصح للرسول ذي التمكين
وعامة العباد في الإسلام
هم أشرف الوري بنصح تام
من كل عيب ظاهر وخافي
لهم من الله على ما نزلت
فإنه الموجب للوسواس
فإنها مختصة بالانبياء
فيهم فضائل العباد كلهم
من سابق ولاحق قد حَقَّقا
موحشة لما يثرى من ضرر

الزاد نصح حُسن الاعتقاد
والنصح للكتاب أصل الدين
والنصح للأئمة الكرام
لا سيما أصحابه العظام
وأهل بيته النزيه الصافي
واعقدوا فيهم كرامة أتت
لا تسمعوا فيهم كلام الناس
لا أقصد العصمة من كل أذى
لكنهم من بعد عصمة لهم
لأنهم خير العباد مطلقا
ولو أتى آت ببعض خبر

ثانيا : إهمال شئون الدين ، ودراسة التراث المقدس العربي الاسلامي
دراسة تخدم القرآن والسنة النبوية ، والاعتقاد الإسلامي ، والفقه
الشريف ، وما من جهة الأخلاق •

ثالثاً : يشون دعايات فاسدة كاذبة حول الإلهيات والتبوات والرسالة
الإسلامية الإلهية ، ثم حول الرسول نفسه وأهله وخاصته ، ثم حول
الصحابة الكرام ، ثم حول الأئمة المجتهدين في الفقه والاعتقاد الإسلامي
ثم حول الأولياء الصالحين والأصفياء المستقيمين على شعار الدين وخدمة
الحق ، فخدعوا المسلمين بأنواع الحيل والدسائس ، فيلقون الوسواس
إلى قلوب المسلمين •

رابعاً : بث روح التفرقة والعداء بين كل طائفة وأخرى بالوسائل الجهنمية
النارية •

خامساً : بإعانة كل من يشايعهم ويتبعهم في الإفساد وإمحاء آثار كل من
يخالفهم ، والحقيقة يجب على المسلمين اليوم الانتباه وبالله التوفيق •

فهي على فرض الوجود فيهم واعتقدوا العدا من الأجانب
فيحرقون دارنا بنارنا
لا يرقبون إلنا أو ذمة
إياكم إياكم إياكم
خيراتهم في دينهم تكفيهم
يأتوننا من كل صوب جانب
بتهمة الإصلاح من أشرارنا
ويفسدون كل أهل همة
عدوكم بالكيده قد أتاكم

البشر أفضل من الملائكة

وهذه الأمة بل كل البشر^(١)
مؤمنهم أفضل من نوع الملك
خواصنا أفضل من خواصهم
من ماض أو مستقبل أو من حضر
حسب مقامهم وكل في فلك
عوامنا أفضل من عوامهم

(١) قول الناضم : وهذه الأمة إلى آخره • بيان لبعض فضائل الأمة الإسلامية من حيث اندراجهم في مطلق الإنسان المكلف المسلم ، من أي صنف ، وفي أي زمان أو مكان خواصهم وهم الرسل والأنبياء الكرام والعلماء العاملون بالأعلام ، والأولياء وسائر الصالحاء أفضل من الملائكة : رسلنا من رسلهم ، وأولياؤنا وخواصنا من خواصهم ، وعوامنا غير الفاسقين من عوامهم ، لأدلة :

الأول : إن الله لما خلق سيدنا آدم أمر الملائكة بسجودهم له سجود الإكرام والتعظيم ، لا سجود العبودية ، فإنه يتمتع ويحرم لغير الله تعالى ، والعادة تقضي بأن المفضول يسجد للفاضل •

الثاني : إن البشر لهم موانع من العبادة من حيث إنهم مقيدون برذائل النفس الأمارة من الشهوة والغضب والحقد والحسد والعجب والرياء والأنانية والكبر وأمثالها ، وكل ذلك يمنع الشخص عن العبودية وعن الطاعة الخالصة لله تعالى والملائكة براء من تلك الصفات ، فالعبادة

لأن رب العالمين قد أمر
والعبادة السجود من مفضول
وأنهم براء مما للبشر
فليس عندهم دواعي الهفوة
فجَبَلُوا ذاتاً على العبادة
وإنما الأجر على المشقة
لكن كلامنا على الأخيار
إن الفضيلة لدى إنسان
لا لشرو عابث عبّاس
واذ علمت فضلهم على الملك
إذ عنصر الجن ثوى على الهوى
نعم وفي الجن رجال بررة
وكان فيهم من أولي القبول
ذكره في الفتح العسقلاني

جمع الملائك بالسجود للبشر
لفاضل بالمنهج المقبول
من نفسه الأمانة بكل شر
من طمع أو غضب أو شهوة
دون مشقة خلاف العبادة
بحمل أتعاب بذل الرقة
دون عصاة الناس والأشرار
متصف بالعدل والإحسان
يلقى الأنام في الأذى والبأس
ففضلهم على جميع الجن لك
من ركب الهوى فلا شك غوى
من علماء عاملين خيرة
من فاز بالصحة للرسول
شرح البخاري من الأعيان

منهم ما فيها مشقة ، وأما من البشر ففيها مشقة زائدة فوق العادة ، والأجر
بقدر المشقة .

وما دام للبشر فضل على الملك ففضلهم على الجن
أولى ، لأن عنصره ناري وغالباً تسوقهم إلى المفسد
إلا ما شاء الله ، وهذا من النوع ولكن الحق هنا أن ننظر إلى
شخصية الجن ، فإن الإنسان الاعتيادي ولو كان صالحاً لا يفضل على
الجن العالم العامل الصالح الذي له خدمات دينية ، ولذلك يقول
المحققون إنه وإن سلم فضل البشر على الجن باعتبار النوع لكن في
الأفراد يجب التوقف حتى ننظر إلى سبب التفضل حتى يكون الإنسان
في حكمه على بصيرة قال تعالى : « قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى
اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي » (يوسف / ١٠٨) .

« الإيمان بالكتب المنزلة »

تؤمن بالكتب كل ما نزل^(١) برحمة من ذاته عز وجل
جاءت بإلقاء من الجليل للملك الأمين جبرائيل

(١) قول الناظم : تؤمن بالكتب الخ • شروع في بيان الركن الرابع من أركان الإيمان وهو بالكتب المنزلة من الله تعالى إلى رُسُلِهِ الكرام من آدم إلى الخاتم • ومعنى الإيمان بها : أن تُصَدِّقَ بأن تلك الكتب نزلت من الله تعالى لا من غيره ، وألقاه الله تعالى إلى الملك المأمور للوحي بذاته ، وإن ذلك الملك أتى به إلى الرسول بدون تغيير وتبديل وزيادة ونقص أي ليس فيها علاقة لما سوى الله تعالى من ملك أو إنس أو جن أو غيرهم •

وهي بحسب الرواية الثابتة عددها مائة وأربعة ، نزلت عشرة منها على سيدنا آدم ، وخمسون على شيت ، وثلاثون على إدريس ، وعشرة على إبراهيم ، وتلك الكتب مشهورة في العرف باسم : الصحف • ونزلت التوراة على موسى ، والزبور على داود ، والإنجيل على سيدنا المسيح ، والقرآن نزل على الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، والقرآن : مائة وأربع عشرة سورة ، وعدد آياتها : ستة آلاف وستمئة وستون آية •

وإن امتياز سورة عن أخرى ، وعدد آيات كل سورة منها بإخبار الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأما تقديم السور بعضها على بعض فقد قالوا : إنه أيضا عليم منه عليه السلام ، وقيل : إنه بالاجتهاد من الصحابة عند جمع المصاحف في عهد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه •

وكان نزوله في مدة ثلاث وعشرين سنة ، مدة حياته صلى الله عليه وسلم رسولا • وأوله سورة العلق ، وآخره آية في أواخر البقرة :

وهو باز تغير أو تبديل
جاء بها إلى الرسول الأكرم
محمدٍ أحمدٍ ختم الأنبياء
عدها المائة ثم الأربعة
عشر على آدم ، خمسون لشيث
عشر لإبراهيم والدا الشرف
توراة موسى ، وزبور داود
إنجيل عيسى ويقال إنها
أما الأناجيل التي من بينهم
وبعدها قرآنا العظيم
مائة سورة ويأتي بعدها
ستمائة آلاف وستمائة
مدى ثلاث مع عشرين سنة
يبقى كما جاء مع الأمين
والله حافظ له لحرفه
واسمع لفهم سره في ذاته
فمفرداته حروف هيئته (٢)

شأن السفير المخلص الجليل
من آدم إلى الرسول الخاتم
 والمرسلين عند رب الكبرياء
فيا لها من عزة ومنعة
ثم ثلاثون أتت لإدريس
عبر عن جميع ذك بالصحف
فيه مواظ وذكر المعبود
لم تبق في الأرض إليه المنتهى
فمن تأليف رجال دينهم
منفخرة "أهدى بها الكريم
أربع عشرة سورة" أوردتها
فألست والستون آية الحكمة
أعجز كل بالغ بالألسنة
إلى الأمين مبدأ للدين
لعامل به بحسن إلفه
مما أتوا به على آياته
على لسان القارئ لينه

« وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ » (البقرة / ٢٨١) •

(٢) قول الناظم : مفرداته : شروع في بيان نبذة مما احتواها القرآن الكريم
من أسرار الرقي والعلو في الأدب فيقول :

أما لفظاً فمفرداته حروف سهلة على اللسان بالنسبة إلى ما دار على ألسنة
الناس ، والمجموع المركب منها في سرد الكلمات ترتيبه كترتيب قطعات

←

الحلي بالذهب •

ومن باب مقدمات الفصاحة والبلاغة فنفرداته فصيحة ، أي خالية عن :
تنافر الحروف ، وغرابة اللفظ استعمالاً واشتقاقاً ، وعن مخالفة القياس
اللغوي ، وكلامه خالص من ضعف التأليف ، وتنافر الكلمات والتعقيد
اللفظي بالتقديم والتأخير والفصل بين المرتبطات ، ومن التعقيد المعنوي ،
أي عسر الانتقال من المدلول الأول الى المفهوم المراد منه • وبليغ مطابق
لمقتضى أحوال من يخاطب به ، من جهة الإتيان بالوعد أو الوعيد •
والجملة الخبرية والإنشائية •

ومن جهة الاحتواء على الحكيم المتعارفة ، والأمثال المستعجلة من الأدباء
فوصل إلى درجة من دقائق المعاني والنكات اللطيفة زاد على المعتاد من
طاقات البشر •

ثم في تنسيق الآيات وترتيبها وذكرها في المواضع المناسبة في درجة يختار
منها المختار من أهل الأدب ، وكذلك في ترتيب سورته بحسب مناسبة
عقول الناس والإتيان :

أولاً : بما فيه السهولة أخذاً وفهماً •

ثانياً : بما يحتوي على الأحكام الإسلامية الاعتقادية والعملية والأخلاقية
كما يستحسنه أصحاب الطباع السليمة الراقية • وكل ذلك مأخوذ
بالتوقيف من حضرة الرسول وهو الذي يقول : « لا أعلم بنهاية سورة
حتى تنزل البسملة الشريفة ، فأعلم أن ذلك بداية لسورةٍ غير ما سبق » •
ولكن بعض الناس يقول : إن ترتيب السور أمر إجماعي حصل في
زمن عثمان رضي الله عنه حين جمعه له ، وتوحيد لهجة القراءات كما

مركباته من الترتيب
فصاحة المفرد والكلام
كلامه البليغ في المقال
وعداً وعيداً خبراً إنشاءً
وصل مبلغاً من النكات
يعلم ذاك أهل ذوق عال
تسيق آياته في الترتيب
سوره كالسور في الإحاطة
وكل ذا أخذ بالتوقيف
وبعضهم يقول ترتيب السور
لفظاً ومعنى كلّه مستحسن
مريحة جملة ومقرّده
إعرابه ، صرفه ، اشتقاقه
ولا نقول ذاك بادعاء
بل إنه مثبت مدلل
هذا الذي قلنا من المباني

صوغ الحلي الصافي بالتذهيب
يعلمها طائفة الأعلام
مطابق لمقتضى الأحوال
وحكماً ومثلاً أفاداً
زاد على المعتاد من طاقات
رقى على مدارج الكمال
يحير الأستاذ في التدريب
ترتيبها مستحسن الرباطة
من حضرة الرسول ذي التشريف
كان بإجماع جرى على قدر
ولا أقول حسن بل أحسن
مليحة صورته وأبجده
رفيعة وسيعة آفاقه
بلا دليل مثل ذي غوغاء
برهائنه مبجل مجلل
مع نكات عالم المعاني

سبق . ولكن هذا الرأي ضعيف ، إذ لو كان أمراً إجماعياً كذلك يتواتر
بين الصحابة ، ولم يتحقق ذلك فالحق أنه توقيف عنه .

وإذا نظرنا إلى إعراب مفرداته ، وإلى اشتقاق مشتقاته وهو نازل بلغة
أفصح العرب أعني قريشاً ، ولاحظنا انقواء العلمية المقررة وجدناه
ذا أفق واسع ، وذا جمال بارع وصاحب كمال نافع جداً والحمد لله
تعالى على ذلك . ومن أنكر شيئاً مما قلنا فالعلم والأصول موجودة ،
والمناظرة لظهور الحق محمودة .

وإن تكن تحوم حول المنطق^(٣) وحول استدلاله المتسق
دقق رويداً من براهين أتت للرد أو إثبات ما فيه ثبت

(٣) قول الناظم : وإن تكن تحوم حول المنطق : يعني هذه الفاخر التي ذكرناها كانت من حيث الألفاظ والمعاني الأوائل والثواني البلاغية الممتازة ، وإذا نظرنا إلى الاستدلالات الواقعة في القرآن الكريم ، أو إلى التعاريف المستفادة منه لبعض ذوات أو صفات تراه ينطق بمنطق في درجة راقية من المنطق ، سواء كان في الاستدلال على وجود الله تعالى ، أو توحيده أو صفاته الكمالية ، أو إلى إثبات رسالة الرسل عليهم السلام ، أو إثبات المعاد الجسماني بعد المبدأ ، أو إلى إثبات أن القرآن كلام الله ، وجدته تبهرت عنده العقول .

وإذا نظرنا إلى صورة من المناظرة البديعة ، وانتقال إبراهيم من دليل إلى آخر لكونه أليق بفهم الناس عجبت من ذلك الموقف الرهيب . وكذلك رد الكتابيين القائلين : بأن الله لم ينزل الكتاب المبين على بشر كقوله : « قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ » (الأنعام / ٩١) .

وإذا نظرت إلى سبكه في الوصول إلى قواعد الأصول الاعتقادية أو العملية علمت المراد من قوله تعالى : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي » (المائدة / ٣) أفاد الإكمال بتشريع الأصول العامة من النصوص والأحكام الإجماعية أو الاجتهادية ، وبذل الجهد في استنباط الأحكام بحيث لا تبقى حاجة لملة الإسلام إلى أية تشريعات خيالية لاستيعاب الإجماع والاجتهاد ، علاوة على سعة الدلالات الأربع من نصوص الكتاب لما يحتاج المسلم إليه إلى الأبد .

وإذا نظرت إلى أحكام محكمات آياته ، والعام والخاص ، والمشاركات

وانظر إلى استعمال «لو» حسب اللغة
وانظر إلى تعريف ما عرفه
وإن أردت مسلك المناظرة
وانظر إلى انتقال إبراهيم
وإن ترم سبكه في الوصول
أحكامه واضحة محكمه
وعامه وخاصة ومجمله
ناسخه منسوخه تداري
من أنكر النسخ جهول بالأمم
والنسخ رفع الحكم بالتمام
في موقع عقل الوري ما بلغه
من مؤمن بين الوري شرّفه
فانظر إلى سبكه كالمحاضرة
في رد نمرود الغبي اللثيم
إلى مباحث من الأصول
طريقها لائحة مسلّمه
له بيان للوري يتفصله
طبق المناسبة للأعصار
إذ نسخه كالنور في رأس العلم
تخصيصنا التنقيص للإحكام

المجمله المبينه بقيود موضحة ، وجدته في غاية الاتقان ، وكذا إذا نظرت
إلى النسخ لبعض الأحكام والإتيان ببدلها وجدت النظام في انتظام ،
ومن أنكر النسخ فهو جاهل لأنه إذا نظر إلى نسخ الشرائع السابقة
وتبديل بعض أحكامها بغيرها وجد ان النسخ للأحكام العملية من
مصالح العباد .

ومن ادعى أن النسخ هو التخصيص لم يفهم معنى النسخ ، لأنه رفع
الحكم كله بانهاء أمدّه رعاية للمصلحة .

وأما التخصيص فهو تنقيص العام من حيث الشمول وبيان أن ذلك
البعض ليس بمراد من ذلك العام ، كإخراج المعذورين من عموم
الناس في الجهاد ، وبينهما فروق أخرى بيّنت في لب الأصول . وكل
هذه المقاصد أفادها الرسول وبلغها في ما احتيج إليه بعبارة مناسبة لامته
بحيث لم يبق فيها غموض . والغاية من الاصطلاحات الإصلاحات .

وكلها أفاده الرسول بيانه معتبر موصول
 لكن بوجه لاق بالأصحاب في فهمهم لمحتوى الكتاب
 لم يكن إذ ذاك مجال الفهم بالاصطلاح عند قوم أمّمي
 والاصطلاحات التي قد دُوِّنتْ غاياتها من الرسول بُيِّنَتْ

تأليف التابعين وتابعيهم

لكتب الاصول والاصطلاحات

بعد وفاة حضرة الرسول^(١) احتاجت الأمة للوصول
 إلى افتهام الدين بالاصول فبدأوا بالسعي للحصول

(١) قول الناظم : بعد وفاة حضرة الرسول : بيان لرد شبهة بعض الناس من أن القرآن نفسه كافٍ في الأحكام ومنهزم للخاص والعام بعد تبليغ رسول الإسلام ، فإذا كان الأمر كذلك فأي حاجة الى التأليفات العديدة الأصولية للفقهاء أو العقائد ؟ ومقصودهم الاكتفاء بما كان بدون حاجة إلى زيادة بيان .

وحاصل الرد هو أن هذه الشبهة نشأت من الجهل بأحوال الأمم ، واختلاط العرب بالعجم ، بل وحدث جيل جاهل بما سبق وتقدم ، وحاجته إلى التربية والتعليم .

وخلاصته : أولاً : إن الرسول كان عالماً بمراد ربه من آياته فينبه بالتطبيق القولى والعملى لهم ، واستغنوا عن كل شيء .

ثانياً : إن الصحابة كانوا أمة أمية لم يدرسوا القراءة والكتابة ولم يمارسوا مدارس التربية ، ويمتنع عادة بيان الاصطلاحات وإيضاح المشكلات لهم حسب القواعد .

من عهد صاحبٍ لعهد تابعٍ أتوا بما يلزمُ في المواقِعِ
إذ معَ اختلاطِ أمةٍ العجمِ معَ عربٍ والارتباطِ بالأُممِ

وثالثاً : إنهم كانوا مضطهدين ومشتغلين بالجهاد والإرشاد المستعجل ، ولم يكن لهم مجال للحضور في مجالس لفهم دقائق الأمور ، ولم يكن لهم حاجة إليه بعد بيان الواجب للعمل والتطبيق .

ورابعاً : إن أمة العرب ولو فهمت بعض الأشياء لموافقة القرآن لِّلغَتِهِم واستغنوا عن بيان الزائد ، ولكن العرب المستعربة والانباط والأعاجم لا سيما الأبعاد ما كانوا قابلين لفهم الدين إلا بشق الأتفس ، ومعلوم أن دين الإسلام خالد ، ونأتي أمة في طور أطوار السابقين فلا شك في حاجتهم إلى تأسيس الأصول والاصطلاحات هذا مما لا ينكره إلا الجاهلون أو المتعسفون .

هذه من ناحية الأحكام العملية القابلة للنسخ والتبديل ، والمحتاجة إلى وضع تلك الاصطلاحات .

وأما ناحية الأحكام الاعتقادية فمعلوم للمسلم الفاهم أن القرآن الكريم مشتمل على بيان جميع الاعتقادات الواجبة له . وفي القرآن إلزام الإيمان بالغيب ، قال تعالى : « أَلَمْ • ذَلِكََ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ • الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ » (البقرة / ١ - ٣) • ومن جملة الغيب الملائكة والجن والكتاب النازل على الرسول ، ثم الموت وأحوال الميت في البرزخ ، ثم البعث والحشر والحساب والميزان والجنة والنار .

وفيه بيان أركان الإسلام الخمسة ، وذلك كله يحتاج إلى الضبط والإدراج في القواعد الأصولية ، فنحتاج إلى تأليف لبيانها وتشريع اصطلاحات ، كأن يقال : الله ذات واجب الوجود • والوجوب معناه كذا ، والممكن كذا والممتنع كذا • وكل اعتقادي أن الناس الذين

ممتنع بدون الاصطلاح تفهيم الأجنبي بوجه ضاحي
بل ذاك واجب لنفس العرب إذا أراد الفهم دون تعب

لا يريدون تشريح الأحكام التشريعية إما مجانين لا يفهمون ، أو
دسائسون أرسلوا من جانب الأجانب مباشرة بالمطامع الدنية ، أو بواسطة
أرطالٍ خامسة خبيثة لتشويش الدين على المسلمين ، فلا قيمة لكلامهم
ولا اعتبار .

وذلك انذي ذكرناه من صفات القرآن الكريم ذكرناه من ناحية الألفاظ
والمعاني والدلالات . وأما إذا نظرنا له كدستور خالد لدولة إسلامية
صاحبها الأول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى من يأتي بعده في
المستقبل ، فمعلوم أنه يجب ذكر ما تحتاج إليه الدولة علماً وعملاً
ورياسة وإدارة وجيشاً واقتصاداً وصناعة . ومن الناحية الاجتماعية
إلى نظام العدالة ورعاية الأمانة وأدائها إلى أصحابها وبث الشعور
بالمسؤولية أمام الله تعالى ، وأمام المجتمع الإنساني الأقارب والأباعد ،
والقرآن الكريم مشتمل على ذلك كله .

وآية : « لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تَوَلَّوْا وَجْهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ » (البقرة / ١٧٧) . كافية لبيان وجوه البر
والإحسان والإنسانية في سورة البقرة .

وآية : « زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ... الخ » (آل
عمران / ١٤) يبين أصول المغريات ، ويذكر بعدها ما هو خير للناس
وكل عاقل ، ويجب السعي حوله .

والآيات السبع عشرة في أوائل سورة الإسراء بيان للإنسان الكامل .
وآيات آخر الفرقان بيان لخصال عباد الرحمن . وسورة العصر فيه
خلاصة ما يسعد ويربح به الإنسان في كل عصر وزمان . فنقول
للمسلمين : يا قوم اقرؤا سورة الفلق لدفع شر ما خلق من الحاسدين
للقرآن وأهله .

فَتَعِبَ التَّابِعُ فِي تَنْوِيرِ
فَرْضِي اللَّهِ عَنِ الْمُجْتَهِدِ
لَوْلَاهُ فِي إِنْشَاءِ الْأَصْطِلَاحِ
كَيْفَ بَدُونَ الْإِصْطِلَاحِ يَجْرِي
هَلْ أَنْ دِينَ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ
وَالْحَالُ أَنْتَهُ لِمُطْلَقِ الْأُمَمِ
وَإِنْ ظَهَرَتْ نَحْوُ الْاِعْتِقَادِ
تَوْحِيدُ ذَاتِ وَاجِبِ الْوُجُودِ
أَبْدَعَهَا مِنْ عَدَمٍ وَذَا يَهْوَنُ
وَفِيهِ الْإِيمَانُ بِكُلِّ غَيْبِ
وَفِيهِ الْإِسْلَامُ عَلَى أَرْكَانِهِ
مِنْ الْإِدَارَةِ وَحُكْمِ الْأُمَرَاءِ
إِعْدَادُ قُوَّةٍ بِمُسْتَطَاعِ
وَأَمْرُ الْاِقْتِصَادِ لِلْحَيَاةِ
وَالْاجْتِمَاعِيَّاتِ بِالْكَمَالِ
وَالْوَعْظُ بِالْحِكْمِ وَالْأُمَثَالِ
فِيهِ مِنَ الْمَوَاعِظِ اللَّطِيفَةِ
يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
يُلْحِجُ فِي الْأَدَاءِ لِلْأَمَانَةِ
يَأْمُرُ بِالْأَخْلَاقِ مِمَّا حَسُنَتْ
فِيهِ عَلَى تَفْصِيلِهِ آيَاتُ
« لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ بَدْرَجُ الْبَقَرَةِ
« زَيْنٌ لِلنَّاسِ » بِآلِ عِمْرَانَ
أَوَائِلُ الْإِسْرَاءِ آيَاتُ أَتَتْ

أُمَّةِ الْإِسْلَامِ عَلَى التَّقْرِيرِ
فِي كُلِّ مَا قَبِلَهُ مِنْ كَسَدِ
مَا افْتَهَمْنَا الدِّينَ بِالْإِلْحَاحِ
تَفْهِيمِ الْآيَاتِ لِمَنْ لَا يَدْرِي
يَكُونُ عَنْ بَسَاطَةِ الْعَوَامِ
مِنْ عَرَبٍ أَوْ بَرَبَرٍ أَوْ مِنْ عَجَمٍ ؟
فَفِيهِ كُلُّ سَبِيلِ الرِّشَادِ
خَالِقِ كُلِّ عَالَمٍ مُوجُودِ
فَإِنَّمَا إِيجَادُهُ كُنْ فَيَكُونُ
جَاءَ مِنَ اللَّهِ بِدُونَ رَيْبِ
وَكُلُّ مَطْلُوبٍ عَلَى مَكَانِهِ
وَالْعَدْلُ فِي الْحُكْمِ وَمَا مِنْهُمْ جَرَى
لِرَدِّ كُلِّ ظَالِمٍ شَتَّاعِ
وَالْعِلْمُ وَالتَّعْلِيمُ لِلنَّجَاةِ
رِعَايَةُ الْأَرْحَامِ بِالْوَصَالِ
وَاللِّينُ فِي الْإِرْشَادِ بِالْمَقَالِ
مَا يَجْلِبُ الطَّبَائِعَ الْكَثِيفَةَ
يَنْهَى عَنِ الظُّلْمِ وَعَنِ طُغْيَانِ
يَرْجُرُ عَنْ بَغْيٍ وَعَنْ خِيَانِهِ
فِي كُلِّ حَالٍ حَسَبَ مَا قَدْ أَمَكَنْتَ
لِكُلِّ خَيْرِ الْخَلْقِ جَامِعَاتُ
شَجَرَةٌ تُثْمِرُ خَيْرَ ثَمَرِهِ
نَصِيحَةٌ تَنْفَعُ أَهْلَ إِيْمَانِ
بِهَا خِصَالُ مُؤْمِنٍ قَدْ ثَبَتَتْ

عباد رحمانٍ بكلِ آنٍ
نصيحة في البدو أو في مصرٍ
إرشاد إنسان لديه عقله
يدفع عن القرآن شر ما خلق
كان على الأدبِ واحتسابٍ
فيه الكرامة وفيه العطفُ
اليومَ أكملت لكم تكليفي
ولأصوله وتفريعاته :
في نص دينه على أصولٍ
للاجتهاد في هدى الأحكام

آخر فرقانٍ من القرآن
وسورة العصر لكلِّ عصرٍ
ماذا نقول في كلامٍ كلَّشه
أقولُ : يا قوم اقرؤا نص الفلق
حواره مع تابعي الكتاب^(٢)
نداء يا أهل الكتاب لطفُ
بيانه لدينه اللطيف
أكملُ مبدأً لتشريعاته
إطاعةُ الله مع الرسولِ
إطاعة الأئمة الكرام

(٢) قول الناظم : حواره مع تابعي الكتاب • بيان لبعض مزايا القرآن العظيم فيقول : حواره وكلامه مع أهل الكتاب كان بكل رعاية للأدب ، فيناديهم بالنسبة إلى الكتاب الذي يعتمدونه ، ويقول : يا أهل الكتاب • ويبين مهمات دستور المسلمين بالأمر بإطاعة الله تعالى ، وإطاعة رسوله الكريم ، وأولي الأمر من الأمة ، سواء فسرت بالأئمة المجتهدين في الدين أو بأهل الإجماع على الأحكام أو بالأئمة العادلين ، ويرشدهم إلى دفع النزاع بينهم بالمراجعة إلى نصوص كتاب الله ، فبه تندفع مخالفة الأئمة في القواعد المعمولة للدين المبين ، فالقرآن حق والباقي ضلال • وبالرجوع إلى وضوح دلالة القرآن على المقصود فيما اختلفوا فيه من الآراء ، فالأقرب إلى النص أحق بل هو الحق اللائق بالقبول • وقرر الإجماع وهدد من يتبع غير سبيل المؤمنين بآثمه سيصلى جهنم • والمراد بسبيل المؤمنين : الإجماع ، لأنه لو كان المراد : الإيمان ، ما أضاف السبيل إلى جميع المؤمنين ، لأنَّ إيمان زيد وعمرو وبكر

أو عند إجماعهم الشريف
أو الملوك العادلين الرشداء
تَفَقُّه في الدين مأمور به
بذلك ديننا يكون خالدا
وفيه إسعاف أولي الحاجات
وفيه أمر الناس بالخيرات
قرآنا شجرة مثمرة
وفيه إخبار من المغيب
فيه إشارات لعلم الكون
ومنه آيات محكمات

على نظام دينه اللطيف
في كل أمر طارئ منهم بدا
وأهل الاجتهاد منصور به
وجارياً في حكمه لا جامدا
بالجاء والمال من الزكاة
« وما تقدموا » له ثواب آتي
فيه ثمار للورى وافرة
من البعيد أو من القريب
بالعلم والحس وعين العون
واضحة ومتشابهات

إيمان واحد • وليس المراد بالمؤمنين الجهلة الفسقة الخونة الجبناء ،
بل أراد بهم العلماء العادلين الأئمة الشجعان ، وهم أئمة الإجماع •
وكذا قرر الاجتهاد وأمر بالتفقه في الدين • وقرر الاستنباط وقرر
الرجوع إلى أهل الذكر • وقرر أن فوق كل ذي علم عليم •
وبهذه الأمور الأربعة يكمل الدين ، ويبقى إلى آخر الزمان • وفي
القرآن الأمر بإيتاء كل ذي حق حقه • وفيه الأمر بالخيرات كيف
تيسرت •

علاوة على كل ذلك في القرآن الكريم إخبار بالمغيبات الماضية والمغيبات
الآتية من المهمات • وفيه إشارات للعلوم العلوية والسفلية من حركات
الكواكب ودورانها وموازينها ، وبأرضاع الهواء بين السماء والأرض ،
وبأحوال النباتات والمعادن وغير ذلك • فالقرآن شجرة مثمرة لخيرات
الدنيا والآخرة •

نسأل الله تعالى أن يفتح قلوبنا ، ويشرح صدورنا بعلمه ، وبالعمل به ،
مع الإخلاص لذاته في جميع أعمالنا إلى يوم الدين •

آيَاتِهِ حَقَائِقُ الْمَعَارِفِ^(٣) هَبَاتِهِ دَقَائِقُ اللَّطَائِفِ
مَصْبَاحُ نُورٍ يَهْدِي الْآيَاتِ عَلَى الصُّدُورِ السُّودِ بِالظُّلُمَاتِ

(٣) قول الناظم : آيَاتِهِ حَقَائِقُ الْإِخ • إشارة إلى بيان بعض أمور معنوية تظهر للقارئ المخلص في إيمانه وقراءته وتنكشف بها عنده معلومات متنوعة ، وهذا أمر وجداني لا يستدل بها إلا لمن وجدها في وجدانه وأحد الصالحين عندنا اسمه عمر ضياء الدين قرأ أواخر الحشر على مصلى من الحجر فانشق عند قراءة : « لِرَأْيَتِهِ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ » (الحشر / ٢١) •

وآيَاتِهِ شفاء لأسقام القلوب بداء الكفر والضلال ، فالإيمان به دواء له وشفاء للأمراض ، وهذا قد صار إلى درجة اليقين من فراءة آيَاتِهِ على المرضى وشفائهم بها • وقد حصل الشفاء من كتابتها على الورق وحمل المريض لها • وهذا صار إجماعاً عملياً أو حكماً أكثرياً • والمنع الوارد على قبول الرقية محمول على الرقية الجاهلية التي فيها الكفر والإشراك • وقد قال صلى الله عليه وسلم لبعض الصحابة : « أعرضوا علي رقاكم » (رواه مسلم وأبو داود عن عوف بن مالك) • فلما عرضوا عليه ولم يكن فيها شيء محذور قررها ورضي بها •

ويقول : ولها أي لتلاوته تغذية للقلوب الجائعة المشتاقة ، ولا تشبع منها لأنها غذاء ، والقلب يقبل الكثير منه ، بخلاف الغذاء المادي • وسماعه يشبه مس الدواء للأعضاء الجريحة أو للعيون الرمداء ، وذلك كله وجداني ، فمن وجدها من نفسه فليشكر الله عليه •

وعند تلاوته يحصل للقارئ المخلص الفاهم نوران ، نور من فهم المعنى • وهذا يستقر في القلب كمفهوم من المفاهيم ، ونور غيبي رباني يرد على الروح الإنساني من حيث إنه صفة الباري تعالى ، فأوراق الأزهار تشر

من مرض الكفر ومن طغيان
من كان مخلصاً لرب الغيب
لمن أطاع الله ذا الآلاء
ولا الصدور من صفا إمتاعها
أنوارها لأهل حلم باهرة
يخشع قلبه لذات الباري
نور إلى القلب من العرفان
مبدؤه مرتبط بالله
متصل بدون ريب وكدر
جبريل ، ثم رب العالمين
واجب كل مؤمن رشيد
طيبة طاهرة سعيدة
نور لها وكاشف الكروب
كأنها من قبل ما سمعتها
موجهات الروح نحو الله

جاء شفاءً بهدى الرحمن
يدرك نوره بدون ريب
بل جاء بالشفاء للأوباء
لا تشبع القلوب من سماعها
أسرارها لأهل علم ظاهرة
لا سيما إذا تلاها قاري
عند التلاوة له نوران
نور إلى الروح بأمر الله
إسناده لذات سيد البشر
ومنه للملك ذي التمكين
وضبط ألفاظه بالتجويد
كذلك من مؤمنة رشيدة
تكرارها اللذة للقلوب
وكلما كررتها وجدتها
منبّهات للضمير اللاهي

عطورها إلى الدماغ ، والدماغ هنا هو الروح .
وإسناده القراء يتصل بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإسناده
الرسول بواسطة ملك الوحي جبريل ، يتصل بحضرة الحق سبحانه .
ودليل صحته : أن نفس القرآن معجزة يثبت بها صدق الرسول في دعوى
الرسالة ، وسائر المعجزات الأخرى التي تدل على أن سيدنا محمداً بن
عبدالله ابن عبدالمطلب رسول من الله تعالى بعثه رحمة للعالمين إلى
الجن والإنس كافة عامة رسالة خالدة إلى يوم الدين . وفي تكرار
التلاوة لذة للقلوب تتجدد بتكرر التلاوة ، ومنبّهات للضمير الغافل ،
وموجهات إلى الله تعالى بشرط رعاية التجويد وحضور القلب .

ترتيلها فيه صفا جميل	وحدروها تدويرها جليل
مدلولها لصاحب الدراية ^(٤)	قوت وقوة بها الكفاية
لكنه يحتاج للبصيرة	حتى تكون عيننا قريرة
إيجازه خال عن الإخلال	إطنابه عال عن الإملال
أسلوبه من غير أسلوب البشر ^(٥)	وما سمعنا الجن يأتي بشذر

(٤) قول الناظم : مدلولها إلخ • يعني أن مدلول الآيات الكريمة قوت من أقوات الروح فإن حياة الأرواح بالإيمان والقرآن والأذكار ، لا سيما في الصباح والرواح ، وهذا الأمر يحتاج إلى بصيرة القلوب •

وإيجاز موافق لقواعد متترة في علم البلاغة فليس مثلاً بفهم المتقاصد . وإطنابه أيضاً ليس مثلاً لأنه على قواعد التي جاءت على رعاية الطباع السليمة •

(٥) قول الناظم : أسلوبه من غير أسلوب البشر • إشارة إلى وجه وجه من بيان إعجاز القرآن • وحاصل ما ذكرنا من وجوه الإعجاز لحد الآن أمور :

الأول : الفصاحة الثابتة في المفرد والكلام منه •

الثاني : بلاغته ومطابقته لمقتضى الأحوال بدرجة خارجة عن طوق الجن والإنس •

الثالث : إخباره عن الأمور الغيبية السابقة واللاحقة •

الرابع : بيانه لكثير من العلوم الكونية التي يعجز عن الوصول إليها إلا أفراد قلائل تصل إلى فهم بعض منها •

الخامس : أن قراءته تورث الانشراح والنور في الصدور وهذا كما قلت وجداني •

السادس : أن أسلوبه مخالف لأسلوب كلام البشر من الأدباء والخطباء

لسان حاله للاتباعِ يقول : إني كلام الله
لذا تحدى ربنا به الورى جناً يكون أو يكون بشراً

والكتاب • وكل ذلك إذا ظهر على لسان شخص أمي لم يقرأ ولم يدرس ولم يذهب إلى المدارس في الدنيا دليل على أنه ليس كلامه ، وأنه كلام الله تعالى ، وقرآن مجيد في لوح محفوظ •

وقد تحدى الباري جميع الجن والانس بالإتيان بشئله كاملاً أو بعشر سور منه ، أو بسورة واحدة ، ولم يأتوا بها فإن كانت لكونها معجزة فذاك • وإلا فقد أعجز الله تعالى الناس عنه حتى يتبين أنه كلام العلي القدير •

ثم إن القرآن الكريم منه آيات محكمات واضحات هن أم الكتاب ، ومنه متشابهات ، كآيات الصفات الدالة على وجود النفس والعين والوجه واليد والجنب والاستواء ، وهذه آمن بها السلف وفوضوا العلم بها إليه تعالى ، وأولها الخلف بتأويلات مناسبة • وكآيات فواتح السور • نحو « الم » (البقرة / ١) و « كهيعص » (مريم / ١) • وكآيات فيها ألفاظ مجملة من المشتركات اللفظية كالعين والقرء و « أو لامستم النساء » (النساء / ٤٣) • وقد ثبت وقف بعض القراء على كلمة الجلالة في آية : « لا يعلم تأويله إلا الله » (آل عمران / ٧) • وبعض آخر على « العلم » في قوله تعالى : « والراسخون في العلم » • فمن وقف على الأول يقول : إنه لا يعرف حقيقة معناها إلا الله ، وفوض علمها إليه • ومن وقف على الثاني قال : إنها جاءت على أساس قابل للتأويل ، فيحمل الوجه على الذات ، والعين على العلم ، واليد على القدرة ، والجنب على الملجأ •

وعلى الوقف على الأول السلف ، لأنه أسلم من الكلام فيما لم تكلف

بشله كلاًّ بِعَشْرٍ سورة
 إن لم يكن في شأنهم فمعجزة
 فانظر بعين العقل يا من يُنصف
 يا ربنا اهدنا لكشف نوره
 فهذه الآيات محكماتها
 فيحمل النصوص في البيان
 بسورةٍ واحده مصوره
 وإن يكن فالله قهراً أعجزه
 هل من كلامٍ هكذا يتصف
 عند التلاوة على حضوره
 واضحة في الفهم بيناتها
 كسنة النبي على العيان

بعلمه ، وعلى الوقف على الثاني الخلف ، بعد نزول كلام الباري
 تعالى بحيث لا يعرف معناه غيره ، فتؤول بتأويلات نزيهة لاثقة بذاته
 تعالى .

وقد ظهر في الأيام قوم لا قائمة لهم في ديوان الاعتبار يدعون أنهم
 على منهج السلف مع أنهم يفسرون آيات بمعان لا يليق به تعالى فيقولون
 إن قوله : « وَجَاءَ رَبُّكَ » (الفجر / ٢٢) معناه أن الله هو ذاته جاء
 ولكن كيفية المجيء غير معلومة ، وإن الرحمن استقر على العرش ،
 وكيفية استقراره مجهولة . والناظم رده على أولئك الناس قولهم ،
 وحاصل رده : أنه إن كنتم مؤولين فأولوها بتأويلات نزيهة لا توجب
 الجسمية والأعضاء له تعالى لأنه واجب الوجود ، وبريء عن هذه
 الأحوال . وإن كنتم مفوضين فيجب عليكم تفويض معنى « جاء »
 و « استوى » إليه تعالى ، ولا تفسروا : « جاء » بالإنيان ، ولا
 « استوى » باستقر ، بل قولوا : تؤمن بأن هذه الآيات حقة صادقة
 ولكن لا ندري تأويلها ، وهو مفوض إليه تعالى .

ونسبة رأيهم إلى مذهب الإمام مالك في قوله : « الاستواء معلوم
 والكيفية مجهولة » مردود بأن مالك لم يرد ذلك المعنى أبداً ، بل أراد
 أن إسناد « استوى » إليه معلوم وكيفية الاستواء ومعناه مجهول —

يَعْنِي ظَوَاهِرُ الْمَعَانِي قَدْ بَدَتْ • إِلَّا إِذَا هُنَاكَ مَانِعٌ ثَبَتَ
هَذَاكَ حَالِ الْحِكَمَاتِ مِنْهَا خَذَهَا وَلَا تَجَاوِزَنَّ عَنْهَا

وإلا فلو فسر « استوى » باستقر ، و « جاء » بقولنا : أَيْ ، لَا يَبْقَى شَيْءٌ نَحْوَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَلِزِمَ التَّجْسِيمُ وَالْفَسَادُ فِي هَذَا التَّقْرِيرِ • وَمَا نَسَبَ إِلَى الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ مِنْ أَنَّهُ قَالَ بِالْعَيْنِ وَالْوَجْهِ وَالْيَدِ ، فَقَالَ بِهَا بَلَا كَيْفَ ، وَالْمَقْصُودُ هُوَ الَّذِي بَيَّنَّتْهُ مِنْ أَنَّ الْبَارِي مَنْزَلُهُ عَنِ الْمُمَاثَلَةِ لِلْمُمْكِنِ ، وَكَيْفَ يَكُونُ الْوَاجِبُ مَوْصُوفًا بِصِفَاتِ الْمُمْكِنِ أَوْ مُرَكَّبًا مِنْ أَعْضَاءٍ مِنَ الْوَجْهِ وَالْيَدِ كَالْمُمْكِنَاتِ وَتِلْكَ الْأَشْيَاءُ مَنْسُوبَةٌ إِلَيْهِ بَلَا كَيْفَ يَعْنِي هُمْ لَا يَعْطِلُونَ الْإِسْنَادَ وَيَقُولُونَ بِهِ ، وَلَكِنْ لَا عَلَى وَجْهِ يَسْتَلْزِمُ النِّقْصَ ، لِأَنَّ كُلَّ مُرَكَّبٍ مُحْتَاجٌ إِلَى الْأَجْزَاءِ فَمَا الَّذِي يَدْعُو إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهُ جِسْمٌ حَتَّى نَقُولَ بِهِ وَبِالتَّزَامِ لَوَازِمِهِ ؟ وَهَذَا عَلَى مَذْهَبِ السَّلَفِ الْمَفُوضِينَ ، وَأَنَا عَلَى مَذْهَبِ الْخَلَفِ الْمُؤُولِينَ فَيُفْسِرُونَ الْوَجْهَ بِالذَّاتِ وَالْعَيْنَ بِالْعِلْمِ وَالْيَدَ بِالْقُدْرَةِ ، وَالْيَدَيْنِ بِالْقُدْرَةِ عَلَى الْمَنْعِ وَالْإِعْطَاءِ •

فَقُلْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ الْمَفُوضُ إِلَى اللَّهِ : لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَ تِلْكَ الْآيَاتِ إِلَّا اللَّهُ وَأَجْرُ هَذَا التَّفْوِيضِ فِي جَمِيعِهَا • وَإِذَا أَوَّلْتَ فَقُلْ : ذَاتَهُ تَعَالَى عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَلَهُ قُدْرَتَا الْمَنْعِ وَالْإِعْطَاءِ ، وَهُوَ الْمُلْجَأُ لِكُلِّ رَاجِعٍ • وَإِلَّا يَشْكُلُ عَلَيْكُمْ آيَاتُ كَثِيرَةٍ مِثْلُ : « وَهَوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ » (الْحَدِيدُ / ٤) وَقَوْلُهُ : « وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ » وَلَكِنْ لَا تَبْصِرُنَّ » (الْوَاقِعَةُ / ٨٥) فَإِنْ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَفِيَاتٍ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ ، فَكَيْفَ يَكُونُ مَعَ كُلِّ مُتَوَفِّيٍّ وَاقِرَبٍ مِنَ النَّاسِ إِلَيْهِ ؟ أَوْ مَعْنَى قَوْلِهِ « وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ » (ق / ١٦) • نَسْأَلُهُ تَعَالَى الْإِيمَانَ بِكُتُبِهِ الْمَنْزِلَةِ وَالْعَمَلِ بِظَوَاهِرِ الْحِكَمَاتِ مَا لَمْ يَمْنَعْ مَانِعٌ ، وَبِتَّفْوِيضِ الْمُتَشَابِهَاتِ إِلَيْهِ تَعَالَى أَوْ إِذَا مِلْنَا إِلَى التَّأْوِيلِ يَوْفَقُنَا عَلَى تَأْوِيلٍ يَكُونُ عَلَيْهِ التَّعْوِيلُ ، هَذَا وَاللَّهُ الْمَعِينُ •

والمتشابهات نحملها على
لا ظاهر المعنى الجلىّ إنسه
إقرأ : « وجاء ربك والملك »
ولا تفسر لفظ « جاء » بأتى
لأن ذا مستلزم التجسيم
إذ واجب الوجود ليس جسما
وقل : ولو « جاء » على معنى : أتى
لكن هنا كيفية التفسير
لأنه لو كان ذا معناه
ولم يكن يحصره الإله
معناه : إن الناس فيه تاهوا
من الذي لم يدر « جاء » أي أتى
ورأى مالك هنا مفهوما
أي أنه المعلوم حسب اللغة
وليس قصده : استوى أي استقر
في قوله : الكيفية مجهولة
حاشا أئمة الهدى عن الهوى
تكلفة دائرة مشهورة
أعني بلا كيف من الإبانة
ولم يثرد : جسم بلا كيف وكم
لأنه مركب محتاج
فما الذي أحوج للتجسيم
فقل كما قرره الإله :

ما قد أراد الله عز وجل
يوهم معنى لا يكافئ شأنه
آمن به واسلك على ما سلكوا
كما على نهج اللسان ثبتا
وفيه عيب ذاته العظيم
ولا بشيء ذي حدود اسما
في لغة القرآن حقا ثبتا
مجهولة إلا لدى الخير
علمه الله ومن سواه
في ذاته نص « إلا الله »
لا يعلم التأويل إلا الله
و « استوى » كاستقر ثبتا
فقوله : الاستواء معلوم
لا في سياق سرد هذي الآية
حتى يصير العرش لله مقرر
كيفية تفسيره مشموله
وسوء تفسير للفظ استوى
نسبتها للأشعري مسطورة
معناه ما قلنا بلا إدائه
لأنه عيب ونقص ونقص
لكل جزء به الامتزاج
حتى نذوق لهبة الجحيم ؟
لا يعلم التأويل إلا الله

في مذهب السنة والجماعه
وفوض المعنى إليه مثل ذا
لا ممكن خاص على حدود
إذ قال في منظومه الفرد القوي :
فربنا على خلاف ذلكا
ولا كعرضة لـ إنسان
منفرد بعزة التوحيد
بذاته الخالق للحقائق
سبحانه من كل نقص عاري

وخذ كلامي يا أخا البراعه
في كل آيات الصفات هكذا
فالله ربي واجب الوجود
فرحم الله الشريف المولوي
« وكل خاطر جرى بـالكـا
لا تجعلوه لعبه اللسان
فداته واجبة الوجود
صفاته كل كمال لائق
منزه عن كل عيب جاري

الايمان بالقضاء والقدر

كل صغير وكبير مستطر
بما جرى بقدرته وحكمته
بخلق ربي ، وبتحديد جرى
من أي وجه كان ذاك حاصل
في كل فعل باختيار حاصل

تؤمن قلباً بالقضاء والقدر (١)
تؤمن بالقضاء أي إرادته
تؤمن بالقدر أي أن الوري
خيراً وشرّاً عاجلاً وآجلاً
والكسب منا باختيار العامل

(١) قول الناظم : تؤمن قلباً بالقضاء والقدر • أي تؤمن بأن الله عالم أزلاً
وأبداً بجميع الأشياء مفهوماً ومصداقاً ، وبأن كل مخلوق بقدر
منه تعالى أي بتأثيره وإبداعه من كتم العدم إلى كشف الوجود عيناً أو
عرضاً •

وإذا كان في الوجود عمل لنا يثسد كسباً إلينا كالقيام والقعود
والركوع والسجود فالخلق منه تعالى ، والكسب منا كما ذكرناه سابقاً •

والكل معلوم" له من أزل^(٢)
عَلِمَ أن عبده يعمل ما
وحسب ما علمه أرادُه
في وقته بقدرة للذات
قدرته تابعة لإرادته
والعلم من حضرته في الأزل
حاكٍ وتابع له بلا اشتباه
فربنا يعلم بالأفعال
وبعبده فالعبد باختيـاره
يعلم كل من له معامل
وكل إنسان بأي عمل
وعندما في بطن أمٍ يلتقي^(٣)

لأبدٍ ، بدون أي خلل
دعاه باعثٍ إليه وانتمى
وكل ما أرادَه أفـساده
بهذه السـنة يأتي الآتي
وهي لعلم الذات حسب العادة
لصورة العمل في المستقبل
لا فاعل " فكن على انتباه
في الماضي والحال والاستقبال
يسلك درب نوره أو ناره
عالم شئٍ كاشف لا عامل
يعلمه خالقه في الأزل
يعلم أنه سعيد أو شقي

(٢) قول الناظم : والكل معلوم له من أزل : بيان لواقع علم الله تعالى
أزلاً وأبداً ، وأنه يعلم جميع ما يحدث من عباده حسب اختيارهم •
وحسب ما علمه أرادَه وحسب إرادته توجهت قدرته في الوقت المستقبل
إلى خلق ذلك من بعد أن حصلت في العبد قدرة تابعة لإرادته التابعة
للعلم • فعلم الله تعالى كالمراة التي تظهر فيها صور من قابله ، وليست
المراة خالقة للصورة ولا جباراً للشخص المقابل ، فعلم الله تعالى
حاكٍ ومظهر في الأزل لكل ما يحدث منا في المستقبل لا مجبر العبد
على العمل وهذا واضح •

(٣) قوله : وعندما في بطن أم يلتقي • معناه أن الله في الأزل عالم بما يظهر
في الوجود ، ولما انتقلت النطفة من الوالد إلى رحم الأم ، وخلق منها
الجنين ، فهذا الجنين هو الذي علم الله في الأزل أنه يولد من أم وأب في

ذلك ظنٌ ساذجٍ وسافلٍ
أو انه الشقي من سوء العمل
كتاب علم الخالق المقرَّب
لا قهرٍ قاهرٍ على المعنى
فلا تكن في عدله بغافلٍ
إجبار ربٍ عادل على البشر
ودينته المكرم الإسلام
آخر توبةٍ لها زعيم
بل دأبه الإحسان بالمعروف
مستتداً لعلمه في الأزل
تفعل فعل الخير أو فعلاً بذى

كيف يكون خالق بجاهلٍ
علم أنه السعيد في الأزل^(٤)
يسبقه الكتاب في قول النبي^(٥)
وذاك علمه كما يتنا
إذ ليس ذا عدلٍ الإله العادل
إذ ليس مفهوم القضاء والقدر
ربك رب عالم عظام
رسوله الرؤوف والرحيم
يمتع الظلم من الرؤوف
فلا تكن مشاغباً بالجدل
إذ علمه يكشف أنك الذي

وقت كذا ، وأنه يتربى بتربية عالية ، ويبلغ درجة الرجال المسلمين
العالمين العارفين المصلحين النافعين ، فعلم بسعادته في بطن أمه ، وكذا
لو كان الولد على غير جانب الخير .

(٤) قوله : علم أنه السعيد . بيان لما قلناه ، وليس معناه أن الله تعالى يجبره
في بطن أمه على السعادة أو الشقاوة .

(٥) قوله : يسبقه الكتاب . أنه بينما هو في عمل سيء يأتي وقت توبته وتفكره
الذي علمه الله سابقاً فيرجع إلى الخير ، وسبق الكتاب وعلمه تعالى
بتطور حاله يغلب على ما هو فيه ويؤول إلى السعادة كما عليها الله
تعالى . وكذلك معنى المقابل أنه بينما يشتغل بالخيرات تدعوه
الشهوات والمغريات إلى الأعمال الفاسدة كما قد علم الله تعالى به في
الأزل فيسبق ويغلب ذلك على حالته المناسبة ويرجع غير صالح باختياره .
والله تعالى لا يظلم أحداً مثقال ذرة لعدالته ، وإن تحصل لنا حسنة
يضاعفها لنا بفضلها إلى سبعمائة ضعف وزيادة ، والله الحمد والمنة .

وكل ما يحدث في الوجود^(٦) لسبب معتبر مشهود
وكل ما أراد من مسببٍ أراده مع سبب مرتبٍ

(٦) قول الناظم : وكل ما يحدث في الوجود • بيان لأن سنة الله تعالى جرت في العالم بأن يرتب الأمور على أسبابها ، فالنبات من البذر والإحراق من النار والنور من الشمس والشفاء من الدواء أو من الدعاء أو من الصدقات ، فالأسباب المادية يعترف بها كل عاقل مسلم أو كافر ، وأما الأسباب المعنوية كالدعاء للشفاء ، والصدقات لرد البلاء لا يعترف بها إلا مسلم منصف له إطلاع على الكتاب والسنة النبوية • وكما أن تلك الأسباب المعروفة أسباب وهي معلومة عند أصحابها كذلك يعترف كل مؤمن بالله الواحد العليم القدير بأن تعلق إرادة الباري بذلك الشيء المرتب على الأسباب هو السبب الأساسي لأنه صفة فعلية للواجب الفاعل المختار وأن ذاته هو الفاعل وهو الخالق وحده •

وكما أن لكل شيء سبباً كذلك للأسباب شروط ، وعلى ذلك الشيء موانع ، فكما أن وجود السبب معتبر لوجود المسبب كذلك تحقق الشروط وانتفاء الموانع ، وذلك جلي عند كل عاقل فاهم مؤمن أو غير مؤمن كما تقرر في محله •

وإذا أراد الله أشياء تحدث أراد مع ذلك وجود أسبابها ، وإذا لم تتعلق إرادته بوجودها لم تتعلق بوجود أسبابها ، والتمييز بين هذا وذاك محول إلى الله ونحن لا ندري به • ولكن بما أننا نعلم أن الشيء المقصود له سبب وبلغنا المبلغ المعصوم ذلك فكلما جاءنا أمر مهم نحاول لمباشرة أسبابه بظن أنه يحصل بذلك السبب فإذا ترتب المقصود على السبب الذي باشرناه علمنا أنه تعالى أراد وجوده وأراد مع وجوده وجود سببه ، وإذا باشرنا الأسباب ولم يترتب عليها المقصود علمنا أن الله تعالى لم يتعلق إرادته بذلك ولا بسببه ، فمعنى

←

لكن الأسباب كثيرة فقد
أهم الأسباب على الآثار
والصدقات والدعاء والدوا
كل لنا أسباب خير وشفاء
فإن جرى الدعاء والدواء
فاعلم بأن ههنا موانع
فليست الأسباب كلها لدى
قال خذوا حذرکم بقوه
لعل ذاك سبب يرتب
فإن أسباب الأمور أكثر
وهكذا الشروط والموانع

يوجد بعضها وبقائها فقد
تعلق الإرادة للبشري
وأبرة الطيب أسباب سوا
وقد نرى من بعدها أذى الجفا
ولا يرى من بعدها الشفاء
أو نقص أسباب بذاك واقع
عبد ضعيف منتهى ومبتدا
وباشروا الأسباب بالفتوه
عليه مقصودكم المسبب
من أن تكون في عداد تحصر
وكل أمرنا إليه راجع

وجود المقصود بالسبب أن الله أرادهما معاً • ومعنى عدم تحقق المقصود
أنه لم تتعلق إرادته تعالى بوجوده ولا بوجود سببه ، وإن ذلك السبب
المزعوم ليس سبباً له عند الله تعالى • فظهر أن معنى رد البلاء
بالصدقات أو الدعاء : تعلق الإرادة بهما معاً • لا أن البلاء وارد محتوم
والدعاء يرده أو الصدقات تردها ذلك عقيدة الجاهل الغافل بالدقائق
فافهم هذا فهمك الله تعالى •

لا نكفر أحداً من أهل القبلة

ولا نكفر من أهل القبلة^(١) من لم يجيء بدين غير الملة
ولم يخالف مورد الإجماع بلا خلاف وبلا نزاع

(١) قوله : ولا نكفر أحداً • لا يخفى أن دين الإسلام مبني على الكتاب والسنة وكلاهما مملوء بالمسامحة والتخفيف ، يقول الباري تعالى : « يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ » (البقرة / ١٨٥) والرسول صلى الله عليه وسلم كان يكتفي في إسلام الإنسان بنطقه بالشهادتين ، وقال : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ » (متفق عليه ، ورواه الأربعة) • وذكر أيضاً : « أَنْ مَنْ لَزِمَ مَسَاجِدَنَا وَصَلَّى صَلَاتَنَا شَهِدَنَا لَهُ بِالْإِيمَانِ » وعلى هذا الأساس فنحن معاشر أهل السنة لا نكفر أحداً من أهل القبلة حتى يظهر منه ما يعارض قواعد الإسلام ، وإنكار أحد أركان الإيمان والإسلام ، وإنكار ما أُجْمِعَ عليه قبل ظهور أهل الأهواء ، ولما أمر الإسلام بالسلوك على طريق الكتاب والسنة فإذا وجدنا شخصاً أنكر الكتاب الكريم أو السنة النبوية الثابتة أو أحد الرسل الكرام كفرناه • نعم الأمر والشعار الذي يستلزم رفض آيات أو آية من الكتاب أو إظهار ما يخالف الإسلام كتحقير المصحف ، أو لبس بعض علامات الكفرة ، أو تحقير المساجد سبباً لجواز تكفير صاحبه ، وبذلك وصى السلف ونحن نمشي عليه • وعلى الأساس السابق نصلي الصلوات المفروضة خلف كل إمام برأي : محسن عادل أو فاجر فاسق ، وإذا مات صلينا على جنازته وشيعناها إلى المقابر •

كذا نصلي خلف كل برّ وفاجر مباشر للشر
 نسيّع الموتى إلى المقابر بكل قلب خاشع وصابر
 يسّن أن نلقن الموتى لنا (٢) على حديث واصل ، نوّ ليّنا
 لعمل السلف ذي الأمجاد بضعفه الموجود في الإسناد
 أو ميت لم يلق في المحفور تؤمن بالسؤال للمقبور (٣)

(٢) قوله : يسن ان نلقن الموتى * وهذا الأمر عمل به الشافعية مستدلّين بقوله صلى الله عليه وسلم بعد دفن ميت من الصحابة رضي الله عنه : « سلوا الله التثبيت لأخيكم فإنه الآن يسأل » وبحديث : « لقنوا مَوْتَكُمْ » وبحديث آخر في التلقين وإن كان ضعيف الإسناد .

(٣) قول الناظم : تؤمن بالسؤال إلخ * ودليله الحديث السابق قال الجلال السيوطي في تبصرته :

ولآية السؤال فيها كائن « يثبت الله الذين آمنوا »

وكذلك تؤمن بالراحة والنعيم للميت في قبره وبالتعذيب له حسب أعماله ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » (رواه الترمذي) * وفي القرآن الكريم : « أَغْرِقُوا فَأَدْخِلُوا نَاراً » (نوح / ٢٥) * والفاء للتعقيب ولبعض آثار أخرى في الموضوع تدل على عود علاقة الروح للميت ، ولو لم يبق جسده لحرقه ، أو أكل السباع له ، بناءً على أنه يحدث له بقدرة الله تعالى جسد برزخي ، وحاله في التنعيم والتعذيب كشخص نائم عندنا يرى في منامه ما يكيه ونسمع بكاءه ، أو ما يضحكه ونسمع ضحكه ، وإن لم نجد منه حركة وتقلباً في البدن * وذكر ذلك أئمة الإسلام كالإمام الغزالي ، ونقل الكلام عنه الفاضل العلامة إسماعيل الكلبوي في حاشيته على العقائد الجلالية فراجعه إن شئت .

دليلنا قول النبي ذي القدر مع الذين قُتلوا في بدر
جوابه لعمر الخطاب يهدي شعورنا إلى الصواب

ويظهر للإنسان تحقق الجسد البرزخي المتوسط الدائر بين الكثافة واللطافة ظهور جبريل عند الرسول صلى الله عليه وسلم في صورة دحية مراراً ، وتمثله بشراً سوياً عند السيدة مريم العذراء ، وكتمثل الولي الكامل بمثاله في أماكن عديدة بعيدة عن محله بصورته المثالية .
إيماننا بوجود الجن الثابت بالنص ، وظهورهم في أشكالهم الهوائية .
وكذلك إيماننا بوجود الملائكة ، وبأداء واجبهم الذي أُمرُوا به ، مثل كرام الكاتبين مع كل مكلف ، يسهل طريقه الإيمان بوجود الجسد اللطيف البرزخي بعد الموت سهل الله لنا بقاءنا في عالم البرزخ ثم طريق البعث والنشور آمين .

والحق أنه بعد ورود الأدلة في الموضوع لا وجه لمن أنكر ، ومنها قوله تعالى : « أَغْرِقُوا فَاَدْخِلُوا نَاراً » (نوح / ٢٥) الوارد في حكاية أحوال قوم سيدنا نوح . ومنها قوله تعالى : « النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ » (غافر / ٤٦) . ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : « تَنْزَعُهَا مِنَ الْبَوْلِ فَإِنْ عَامَةَ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنَ الْبَوْلِ » وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم مرّ بقبرين فقال : « إِنَّهُمَا لِيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ بَلَى إِنَّهُ كَبِيرٌ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتُرُ مِنَ الْبَوْلِ » (رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه) .

وأمر حتى أتوا بسعفين فغرسهما على القبرين لأمر غيبي اطلع عليه الرسول صلى الله عليه وسلم مثل أن يكون للسعفين الأخضرين تسبيح يفيد صاحبي القبرين .

تؤمن بالراحة والعذاب
 كذا الحريق وغريق اليم
 تعود روحه إليه بعدما
 وذاك عرض برزخي مثل ما
 قال « سلوا الثبیت لأخیکم
 واعلم فَعَلِمُ المرء تاجٌ للشرف
 إذ عالم البرزخ كالمنسجم
 ولا نرى منه قلباً ولا
 وقد يثرى ذلك في الأحاد
 فالمت المقبور قد يعذب
 وعالم البرزخ قد يمثل
 للميت في قبره الجذاب
 أو كَلَّةُ السباع دون هم
 مات بحكم رب الأرض والسماء
 أفاده الرسول مولى الكرم
 يسأل الآن » ، وذا يكفيكم
 أن ليس في الإسلام وهم وخرف
 قد يتلى النائم بالآلام
 صوت ولا بكاء منه حصل
 يبكي على الفراش أو ينادي
 ولا يثرى منه به تقلب
 بسيدي جبريل حين ينزل

وورد أيضاً أن قوله تعالى : « يَثْبَتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ » (إبراهيم / ٢٧) •
 انزل في سؤال القبر ، وقد سبق بيان ذلك •

ومن أمور الآخرة : سؤال الباري تعالى من الناس كبارهم وصغارهم من أهل التكليف • يقول الباري تعالى : « يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ : ماذا أَجَبْتُمْ قَالُوا : لا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَتَيْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ » (المائدة / ١٠٩) وقولهم : « لا علم لنا » إما من اندهاشهم بالهبة والرغبة ، وإما مقصودهم أنه لا علم شاملاً لنا مثل ما أنت تعلمه ، فعلمك يا رب كافٍ ، ويقول الباري : « فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ » (الحجر / ٩٢) وهذه نصوص واضحة •

بصورة دحية حبّذا الفتى
وقد رآه مع صورة الملك
وللولي الكامل المكمّل
وصل هذا رتبة التواتر
دليلنا المنصوص مما يُقبل
والقبر إما روضة يُنادي
هذا الذي قرره الرسول
إيماننا بالجن والملائك
الجن موجود بنص الآية
كذلك الملك موجود وهم
ولا نرى منهم شريفاً أبداً
إن العذاب البرزخيّ الآتي
إذ ميّت "مزق" الأوصال
لم يبق منه جسد مرتب
بل برزخيّ "بدن" مثالي
مثال جبريل الوحي الحضره
ومثل خصميت وقد تسوّرا
فحال أهل برزخ في الدنيا
غائص بحر وهو في البراري
أو ساكن في روضة الأزهار
والله قادر على الإيجاد

عند الرسول قائماً وثابتاً
كما هو الواقع في جو الفلك
صورته عند المرید يحصل
أو رتبة الآحاد ذي المفاخر
في ديننا من «أُغرقوا فأدخلوا»
أو حفرة لصاحب الفساد
مَن من هداه يحصل الوصول
إيماننا بالبرزخ الممالك
ولا ترى صورته لغاية
أولو مقامات تقررت لهم
إلا إذا في صورة الإنس بدا
ليس على الأبدان في الحياة
أو أكلة السباع في الجبال
حتى يثاب فيه أو يعذب
مهياً بأمر ذي الجلال
يأتي إليه في مثال دحية
محراب داود وكان ذا كرا
تشبه ما نراه حال الرؤيا
يدور للجوهر في الدراري
يرى الدخول في تنور النار
وكل تصريف على العباد

إن كنت لا تخاف من مكالي فراجع الإحياء للغزالي
إني كسرت مغزلي في الباب حولت موضوعي الى الأحباب^(١)

« الايمان باليوم الآخر »

تؤمن باليوم الأخير الخالد^(١) دار الخلود لجزاء آبدٍ

(١) هذا الموضوع مهم جداً ، ويراها الناس صعباً وهو أسهل من كل سهل ، فإنه قد ثبت بما لا يقبل الشك وجود التناون بين صلحاء العباد بعضهم مع بعض مع بعد المسافة بينهما ، ومن آمن بارسال الملك إلى الرسول في طرفة العين مع بعد البين ، وآمن بنزول مأمور عزرائيل إلى المحتضر يؤمن بنزول ملائكة السؤال إلى المقبور أو المطروح أو المأكل كيف كانوا ، والله المستعان .

الايمان باليوم الآخر

(١) قول الناظم : تؤمن باليوم الآخر . هذا هو الركن السادس من الأركان الستة للإيمان ، وإن الكتاب الكريم جاء لتركيز الإيمان بالله الواحد الواجب الكامل وبالرسالة السماوية وباليوم الآخر وهو يوم الأبدية والخلود والجزاء والمسؤولية التامة على المكلف .

وان هذا اليوم حق لا ريب فيه ، وأما وقته فليس معيناً كما يظهر من قوله صلى الله عليه وسلم : « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » (رواه البخاري ومسلم في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه) . نعم لمجيئه علامات صغيرة وكبيرة ، ذكرها صلى الله عليه وسلم في أحاديث عديدة ، مثل انتفاء وزوال صفة الامانة في رعاية حقوق الله تعالى وحقوق الناس من القلوب ، يعني أن المكلف لا يهتم بترك الواجبات ، ولا بفعل المحرمات ، ولا برعاية حقوق الناس عليه ، فلا يبقى

بعد فناء هذه الدنيا التي لذاتها مملوءة بالمحنة

فرق عندهم بين الحلال والحرام •

ومنها زوال الثقة بين المسلمين من بعضهم ببعض وذلك لغلبة الفساد على قلوب الناس ، فيظن كل بغيره مثل ما تعوَّده كما يقول الشاعر العربي :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه

وصدق ما يعتاده من توهم

ومنها زوال الحياء من المسلمين ، والحياء صفة تمنع الإنسان عن مباشرة القول والعمل المخزي ديناً أو دنياً • قال صلى الله عليه وسلم : « الحياء والإيمان في قرآنٍ ، فإذا ذهب أحدهما تبعه الآخر » ، وقال : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت » (رواه البخاري وأبو داود وابن ماجه والطبراني وأحمد بن حنبل) • ومنها قلة علوم الدين الإسلامي ، من العلم بالكتاب والسنة على الوجه الثابت عند السلف ، وقلة علوم مقدماتهما من علوم النحو والصرف والبلاغة وأصول الفقه والدين واللغة على ما ينبغي ، فإن تلك العلوم من اللوازم المساوية للعلم بالكتاب والسنة ، وإذا ارتفع اللازم ارتفع الملزوم • ومع قلة تلك العلوم وعلمائها يكثر قراء القرآن الكريم ولكن لا شعور لهم بالحقائق منها •

ومنها انقطاع رابطة الوحدة الإسلامية ، وتفرق الناس إلى طوائف يكره بعضها البعض •

ومنها الشح المطاع ، أي أن الناس يكثر فيهم صفة اللثامة والدناءة مع أن أصحابه يطيعون ذلك اللؤم فيهم ، أو أن الناس يطيعون أصحاب الشح لوجود المطامع الدنيوية في أيديهم •

لكنه لا يعلم الوقت أحد حديث «ما المسئول» من أعلى السند

ومنها الهوى المتبع ، والهوى : ما جرى على النفس الأمانة من حب الشهوات والمطامع الدنيئة والأعمال الفاسدة .

ومنها إعجاب كل ذي رأي برأيه ، لأنه لا إيمان لهم بالمبدأ الإسلامي فلا يبقى عندهم إلا ما تهوى أنفسهم الأمانة بالسوء .

ومنها حب البقاء في الدنيا لاستيفاء الشهوات ، وكرهية الموت وذلك من طغيان المادة على المعنى ، ومنها التوغّل في المعاصي بأصنافها .

يقول وتلك السيئات جلّها وغالبها بصورة الإعلان بين الناس لأنهم لا يؤمنون بالله حق الإيمان ، ولا يخافون سلطان الوقت لأنهم مأمونون من جانبهم ، فهم كهم ومنها البغي والعدوان على حقوق الناس والإتيان بالشيء المنكر المحرم عند الله من المباشرة والتعرض للأعراض .

ومنها عدم بقاء الاحترام في العائلة من طرف الأولاد والبنات لآبائهم وأمهاتهم ، فتلد الأمهات بنات يترين بتربية الأجانب فيتجاسرن على أمهاتهن كأنهن سيدات لهن والأمهات خادمت .

ومنها التطاول والتزايد في الأبنية المؤسسة في البلاد من جماعة بدويين علموا بالترف في البلاد وكثرة المغريات فيها بدون لوم ، فيأتون إليها ويننون الأبنية العالية ويسكنونها لمزيد الفسوق .

ومنها : هجمات من الجيل الخلف على الآباء السالفين بشبهة أنهم لم يعرفوا قيمة الحياة ، ولم يعمّروا الدنيا وليس لهم قابلية التقدم في ميدان الحضارة التي ليس عاقبتها إلا الخسارة فيتجاسرون ويجادلون مع جهلهم بالكتاب والسنة على الوجه الصحيح على أهل العلم بهما لضعف حالهم ، أو أن أهل الجهل بالكتاب والسنة مع جهلهم بهما يحسبون أنهم عالمون بهما ويجعلون الكتاب والسنة مادة الاستدلال

←

« أماراتها »

وفي أحاديث الرسول ذكرت
وقلة الرحم مع الأرحام
بعض لبعض مثل خائن يرى
أوضح الأعلام ليوم الآخر
مع كثرة القراء في الأنعام
تأييد كل فاسد مخالف
آفاق دنيا لهما متسع
بلا استناد لسوى الأهواء
طغيان مادة على الحد بغت
دون الرجوع جهة الرشاد
والبغي والمنكر والفحشاء
يأمر نهن طبق أمر الساده
من بدوين دون ما معتساد
وطعنهم فيهم ، فيا موج الأسف !
والسنة السنية الصواب
خوف واعتبار شأن العلما

نعم أمارات لها اشتهرت
رفع الامانات من الانام
وارتفاع الثقة بين الورى
رفع الحياء في نطاق الظاهر
قلة علم الدين والإسلام
تفرق الأمة بالطوائف
شح مطاع وهوى متبع
إعجاب أهل الرأي بالآراء
حب دنيا ، كره موت قد ثبت
وكثرة العصيان في العباد
من سيئات جلثها الإفشاء
وتلد الام بنات غاده
تطاول البنيان في البلاد
وهجمات خلف على السلف
جدال أهل الجهل بالكتاب
مع أهل علم بهما بدون ما

ومعارضة العلماء ، مع أنهم لا يعرفون الكتاب ولا السنة السنية وهذه
الأمارات وجدناها في زماننا بلا شبهة ، فلا شبهة في أن هذا الزمان قريب
من الساعة ، وأن المصائب التي توجد فيه من فتن آخر الزمان •

أعاذنا الله منها آمين •

بغىٰ بنيٰ مسلکنا علینا^(١) ونسبة المفاسد إلینا
ولیس داء فی الوجود مثل ما طبیبکم یخون مرضاکم بماء

(١) ومن الأمارات • بغیٰ أهل مسلک الدین اسماً علی رجال الدین وأهله •
ونسبة المفاسد العقلية والعملية بدین الإسلام حقيقة ، وتوغلهم فی
المغریات والشهوات ، فصاروا کخلق الرجال المقدسین الذین ذکرهم
الله تعالى بقوله الکریم : « فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِم خَلْفٌ »
أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ یَلْقَوْنَ
غَیًّا » (مریم/ ٥٩) •

وسرّ ذلك اتباعهم لآداب الکفرة الأجانب وتقالیدهم ، كما قال
صلی الله علیه وسلم : « لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مِنْ قَبْلِکُمْ شَبْرًا شَبْرًا وَذِرَاعًا
بَذِرَاعًا وَبَاعًا بَبَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جَحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ » قالوا :
اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ » (رواه ابن ماجه وابن حنبل) •
ولا سيما من هذه الفئة المنتسبون الی العلم والثقافة الاعتيادية الذین
حذرنا عنهم الرسول صلی الله علیه وسلم بقوله : « سَیْکُونُ فِی آخِرِ
الزَّمانِ دِیدانَ القراءِ » فمن أدرك منکم ذلك الزمان فلیتعوذ بالله منهم •
وأما الأمارات الکبریٰ فکثيرة أيضاً ، المشهور منها عشرة :

الأولى : نار تخرج من أرض الیمن ، وتحرق الأرض نحو الشمال ،
وقد ظهرت فیما سبق من الزمان •

الثانية والثالثة والرابعة : خسوف واسعة أرضية ، واحد فی المغرب وقد
ظهر أيضاً فی بلد الأصنام من الجزائر • الثاني منها فی جزيرة العرب ،
والثالث فی المشرق كذلك •

وخامسها : خروج یاجوج ومأجوج أمة المفعول تخرج من وطنها متوجهة
نحو الهند وآسیا الوسطی وآسیا الشمالية فیفسدون فی الأرض •

←

قد جاء في الصحاح حقاً سطره
بين الوري وإنها مأثورة
والناس منها للشمال يرحل
، خسفٌ جزيرةٌ بدين يلحق
تفسد عالماً بدون عائد
يهلك أهل العلم والعقول
أيام جهل الناس بالدين الوفي
وكلها فتنة دار العاجلة
يعجب منها الناس عند الجيئة
ظهور مهديٍ بعقل سالم
بعون عيسى دون التباس
بجيشنا المنصور في الحدود
كوكبة من مغرب يأتي بها

وغيرها مما يطول ذكره
علائم كبرى لها مشهورة
نار من اليمن إذ تشتعل
خسفٌ بمغرب ، وخسف مشرق
وفتن كبرى من العقائد
خروجٌ يأجوج من المغول
خروج دجال من المشرق في
بين يدي ساعتنا داجلة
ودابة الأرض العجيبة التي
نزول عيسى من سماء العالم
وقتله الدجال شر الناس
قتلنا مع زمرة اليهود
ثم طلوع الشمس من مغربها

السادس : خروج دجال من أرض المشرق • وفي رواية تخرج من بلاد
خراسان •

وسابعا : ظهور عجيبة تسمى دابة الأرض •

وثامنها : نزول سيدنا عيسى عليه السلام من موضعه من السماء الى
الأرض عند منارة (اللد) بدمشق الشام وتدل عليه الآية الكريمة :
« وَاِنَّهٗ لَعِلِمٌۭ لِّلسَّاعَةِ » ، وآية « وَاِنَّ مِنْ اَھْلِ الْكِتَابِ اِلَّا
لَيُؤْمِنَنَّ بِهٖ قَبْلَ مَوْتِهٖ » (النساء / ١٥٩) •

وتاسعها ظهور المهدي الموعود وقتاله ضد جيش الدجال وانتصاره عليهم
وقتله للدجال بمعونة سيدنا عيسى ، وفي هذه الأوان قتال المسلمين ضد
اليهود والغلبة عليهم •

وعاشرها : طلوع الشمس من مغربها • والتفصيل في المطولات •

على العصاة ما لهم من أوبة
بيئتها رسولنا بالجهنم
مصدق لمن هو الحق
تفصيله في الشرح فتح الباري
بسند معتبر مسلم
له روايات تفيد أنسا
فكم له من عاضد مؤيد

إذ ذاك صار غلق باب التوبة
وكل ذا من ممكنات الدهر
وكل ما ثبت منه حق
حديث دجال روى البخاري (٢)
نزول عيسى في صحيح مسلم
ظهور مهدي أوان عيسى
لا تضطرب من اضطراب السند

(٢) قول الناظم : حديث دجال في صحيح البخاري وشروحها لا سيما فتح
الباري للحافظ العسقلاني وهو يشفى الصدور ، وحديث نزول عيسى
المسيح مروي في صحيح مسلم بسنده وظهور المهدي الموعود في أيام
نزول عيسى ، وخروج الدجال له روايات في كتب معتمدة ، ولا
تضطربوا من وجود الاضطراب والاختلاف في روايات تلك الأحاديث
فإن القدر المشترك منها ثابت .

نقل السيد منصور علي ناصف في التاج الجامع للأصول في كتاب الفتن
عن المحدث الشهير (الشوكاني) ما يفيد أن هذه الوقائع إلى خروج
الدجال ونزول عيسى وظهور المهدي وصل القدر المشترك منها حد
التواتر ولا شبهة فيها .

ثم إن المحققين من المفسرين فسروا قوله تعالى : « وإِنَّهُ لَعِلِّمٌ لِّلسَّاعَةِ »
بأن نزول سيدنا عيسى من السماء إلى الأرض من أسباب اليقين بتحقيق
الساعة وقضيته مشهورة وهي : أن اليهود تأمروا لقتله وأخذوه فألقى الله
تعالى شبهة على واحد منهم فقتلوه .

ورفع الله تعالى عبده سيدنا المسيح إلى السماء وسينزل في الوقت
الموعود ، وتدل عليه أحاديث حسنة منها ما في صحيح مسلم ، ومنها
ما في غيره ، فراجع إن شئت الإطلاع على الحقيقة .

نقل في التاج عن الشوكاني
تفيد هذه الثلاث كلها
عندك نص جملة من آية
معناه إنه نزول عيسى
وأصله أن اليهود اتفقوا
وعندما جاؤا به لصلبه
وشبهه أُلقي على شخص دعا
فشبه الأمر لهم وتاهوا
وقد نجا عيسى أذى بلواه
وبعد ذلك اليهود حاروا
وهذه الحادثة الرهيبة
وبعض أهل الاشتباه يستدل^(٣)

عبارة مريحة الجنان
تواترت معنىً وصح وصلها
«وانه لعلم» تلي «للساعة»
علامة «للساعة لا ينسى»
على وجوب قتله ووافقوا
رفعه الله لمأوى عييه
لقتله وفي هلاكه سعى
فصلبوه زعم أنه هو
ونعم من حفظه الإله
أين الذي بأمره القرار ؟
حادثة نادرة عجيبة
على وفاته بما عنه نقل

(٣) قول الناظم : وبعض أهل الاشتباه • إيضاح لرد ما استدل به بعض
على أن عيسى مات في الأرض ولم يرفعه حيا إلى السماء ، بقوله تعالى :
« إني متوفيك ورافعك الي » (آل عمران / ٥٥) • ولم ينتبه أن
التوفي بمعنى الأخذ والقبض لا بمعنى الإماتة ، والمتوفي والمستوفي
بصيغة اسم الفاعل بمعنى : الآخذ والقاطِض لا بمعنى المُميت واستعمال
الوفاة بمعنى الموت عبارة أدبية تستعمل في الموت أدباً ، وإلا لزم أن
يموت كل حي في كل ليلة لقوله تعالى : « وهو الذي يَتَوَفَّاكُم
بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ » (الانعام / ٦٠) •
وهذه التوهمات ولو وجدت في الماضي لكن جردها بعض الناس الماشين
في ركاب الأجانب بدعوى تخليص الدين من الأوهام والرجوع إلى
الحقيقة ، ولم يعلموا أنهم أنفسهم هم المتأخرون عن السير مع ركب
←

جملة إنني متوفيك خبر
لكنه لم يك ذا اتبناه
إذ متوفيك بنص الآية
ومثل ذاك صيغة المستوفي
معنى الميت جاء بالمجاز
إلا اقتضى مائة كل حي
«إذ يتوفيك» كلام القدس
فاتبهوا يا أيها الطلاب
قد جاء في السنة والكتاب
بقاء عيسى في السما الجميل
وقد أتى في النص بالمعنى الجلي
لابد للإنسان من تفكر
عيسى الذي مثله كآدم
عيسى الذي ولد من دون أب
عيسى الذي يحكي ورا الولادة
وكلم الناس مع الجلالة

وصدقه حق فموته ظهر
وليس فيها حجة كما هي
تفسيره الأخذ بالعناية
تفسيرها القابض دون خلف
ودار بين أمة الحجاز
في كل ليلة الفراش الطي
يليه : «بالليل» لكل إنس
إن العدو كاذب جذاب
هداية لطرق الصواب
من ممكن وغير مستحيل
وفي الحديث للرسول الأفضل
في الدين والدنيا مع التدبر
خلق خرق عادة في العالم
من مريم العذراء ذات الأدب
مبشرا أمه بالسعادة
وواصفا نفسه بالرسالة

الحق والمبتلون بالركض مع خيالة الدجاجة ، وإلا فالعدول عن ظاهر
الآيات والأحاديث لا يناسب الاعتدال والعدالة الشرعية الإسلامية •
وسيدنا عيسى ظهوره إلى الوجود بلا أب ، وكلامه في المهد وزهده
في الحياة ، ونزول إنجيل عليه ، وظهور المعجزات الهامة ، من إحياء
الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، وغير ذلك أعجب من أن يرفعه
الباري تعالى إلى السماء وإبقاؤه هناك وفي الجو أمور أصعب من
ذلك ، فلا تمل إلى كلام الغافلين المائلين إلى الضلال وكن من الثابتين
المستقيمين على الحق والهدى •

عيسى الذي قد أُوتِيَ الكتابَا
وأُوتِيَ التوراة والإنجيلَا
ينفخ في الطين بشكل الطير
يحيي بإذن ربه الأمواتَا
ويُبرئ الأكمه والأبرص من
ونزلت مائدة من السما
وغيرها من خارقَات ظهرت
لا ينكر العاقل أن يرفعه
أليس ربه العظيم قادراً
فلا تملوا نحو قول الجهلة
مادام نص "ظاهر قد وردا
لم يبق للعاقل دون ريب
والريب إذ أتى بأي جانب
لخلق الاشتباه في القرآن
ختام تقريرى الدُّعا لكل مَنْ

وحكمة محكمة صوابَا
وكان عند ربه جليلاً
يطير في الجو بحسن السير
إذ كانت الأرض لهم كفَاتَا
عيب العمى وبرص على البدن
على حواريه كما قد علما
لم تشتهر من عندنا أو شهرت
مولاه ، من أهل الهوى يمنعه
على صعوده السماء ظاهراً ؟
فإنهم من أدعياء السفلة
والخبر الصادق ذاك أيّدا
الريب في ما جاءه من غيب
قد جاءنا من خدم الأجانب
وسنة الرسول ذي الإحسان
يَخْدِمُ دينه بلا أذى وَمَنْ

« زلزلة الساعة »

وعندما آن أوان الساعة (١)
يأمر مأموراً لها على قدر
ليس لها التأجيل لو بساعة
وأمر ساعةٍ كلمح بالبصر

(١) قول الناظم : وعندما آن أوان الساعة • شروع في بيان فناء الدنيا
وانتقال العالم العلوي والسفلي إلى شكل آخر ، من فناء السماوات
وانفطارها ، وانتشار الكواكب ، وانخساف القمر ، وانكساف الشمس ،

ينفخ في الصور بالاستعجال فيقع العالم في زلزال
زلزلة الساعة شيء ذو خطر وتوقع الإنسان في حال السكر
وقد يرى الناس بها سكارى وينظرون في الهوا حيارى

وانقلاع الجبال وصيرورتها كالهباء المنتشر في الجو ، وبديل الأرض
غير الأرض ، وسائر الأحوال الرهيبة التي تدهش العقول ، كما قال
تعالى : « إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ » يَوْمَ تَرَوْنَهَا
تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ
حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى
وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ » (الحج / ١ - ٢) •

وفي صحيح البخاري : روايةٌ حدوثها بمفاجأةٍ حتى إن أصحاب الأشغال
البيسطة لا يمكنهم إكمال عملهم ، كما قال تعالى : « وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ
إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ » (النحل / ٧٧) •

وهذه الأحوال كلها من النفخة الأولى التي ينفخها الملك المأمور بنفخ
الصور ، والصور علمه عند الله ، وقد فسر بمادة كالقرن بيد إسرافيل
فينفخ فيها ، ولكن هذه الكلمات كلمات لطيفة تعليمية ، والمقصود منها
تفهم العامة الذين لم يمارسوا حقائق العلوم ودقائقها ، فكن في هذه
الأشياء على البصيرة ، وحول العلم بحقيقتها إلى الله تعالى فإن الله
على كل شيء قدير •

وتبرز لك بعض هذه المعلومات آيات من آخر سورة الزمر من قوله
تعالى : « وَتَفْخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ
فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ نَفْخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ
قِيَامٌ يَنْظُرُونَ » (الزمر / ٦٨) إلى آخر الآيات • هدايا الله
تعالى إلى الإيمان بواجب الوجود الحي القيوم القادر الذي إنما أمره إذا
أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون •

يروى البخاري : «ساعة القيام
فكاسب وحالب وتاجر
الشمس كورت ، سماء انقطرت
تبعثرت أجزاء ما في العالم
وتنسف الجبال كتلاً نسفاً
تبدل الأرض بغير الأرض
يموت كل ذي حياة فيها
سوى الذي استثنى بالمشيئة
و « لمن الملك » سؤال الباري
فما قدرنا الله حق قدره
كيفية الساعة للخير

من موجبات الدهش للإمام
من هول ذاك اليوم كل حائر
منها الكواكب اللآلي انتشرت
بدون آثار ولا معالم
كأنهن العهن المفشى وصفاً
ليس بها أمت برفع خفض
من نفخة واحدة تكفيها
من هذه المصيبة السيئة
جوابه : «للوحد القهار»
في آخر الأمر ولا في صدره
ليس لنا المجال في التقرير

البعث بالنفخة الثانية

وبعد مدة بأمر ربّها
بالنفخة الثانية العصفية
يَنْفُخُ في الصور كما أتى بها
تبعث الأموات بلا كليفه

(١) قول الناظم : وبعد مدة ، يعنى أنه ثبت لنا في الدين أن العالم يتغير
وينقلب إلى الدمار ، والأحياء إلى الممات بالنفخة الأولى إلا من شاء
الله بقاءه من الملائكة حملة العرش والمقرئين أو غيرهم ممن أراد الله
ببقاءه ، وبعد مدة يقال : إنها أربعون سنة على تحديدنا اليوم ، يؤمر
الملك المأمور بالنفخ في الصور ينفخ فيها ، وبهذه الثانية تحيا الأموات
كلهم أجمعون .

قال تعالى : « ثُمَّ نَفْخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِي قِيَامٍ يَنْظُرُونَ »
وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ

سواءً المكشوف والمستور
يسبح الأحياء في صوت ندى
أشرق الأرض بنور ربها
وذلك المعاد للأنام (٢)

إذ كلهم في علمه مسطور
سبحان من بعثنا في المرقدر
مثل الصباح الصافي من غبر بها
بالروح والجسم وعقل تام

بِالنَّبِيِّينَ وَالشَّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ» (الزمر / ٦٨) الى آخر سورة الزمر .

ونور ربها : نور وضياء يخلقه الباري لذلك الموعد ، كنور ما بين الفجر
والشروق من أصفى الأنوار ، فسبحانه من رب عظيم الآثار ، لا يعظم عليه
شيء من الإحياء أو الدمار .

(٢) قول الناظم : وذلك المعاد . يعني أن بعث الأموات بالنفخة الثانية هو
المعاد الجسماني الذي يجب على الإنسان الإيمان به ، وذلك عود على
ما كان عليه في الدنيا جسماً وروحاً وعقلاً ، بل يكون القوى في الآخرة
أقوى منها في الدنيا ، لأن المكلف له الجزاء الكامل ، وذلك مربوط
بذلك الشخص كما كان .

وسواء كانت الأجزاء المعادة من أمثال الأجزاء في الدنيا لا عينها ، أو
كانت عينها ، فالله قادر على جمعها وربطها ، فإن الأجزاء ولو صارت
تراباً أو أحرقت وصارت دخاناً ، أو أكل الإنسان السباع ، وأجزاءه
تحولت إلى فضلات ، فلا تخرج بذلك عن علم الله تعالى ولا عن قدرته ،
وفي الآيات الكريمة ما تدل على أنها نفس الأجزاء السابقة ، ومنها
ما يدل على أنها أمثالها ، ولا يقدح شيء منها في تحقق المعاد ، لأن الحي
وإن كان ذا أجزاء لكنه في الحقيقة يعتمد على روحه وعقله وإحساسه ،
على أن الإنسان في حياته الدنيوية تتبدل أجزاء بدنه بالاستمرار الزمني
ولا يقدح ذلك في الحكم ببقائه .

على خلودٍ ليس فيه ريبٌ
ومثلَ ما بدأه من عدمٍ
يُعیده ، بل ذلك العود يهون
ببدء بعث الخلق من عَجَبِ الذنب
من عين الأجزاء التي كانت له
آخرٌ ياسين على المثل أتى
وهي ولو تغيرت لكنها
إذ لو علمنا أنها قد بدلت
خالقها يقدر للارجاع
ولو فرضنا أنها أمثالها
فإننا على مرور عمرنا
ومعَ ذا فالشخص باق شخصاً
وقد يقال : إنَّ ذا الآلاءِ
مما هي الشروط للحياة

مع وجودٍ ليس فيه عيب
أَعَادَهُ بِدونِ أي أَلَمٍ
لأن مبنی عوده كن فيكون
كما يريد ربُّه بلا تعبٍ
أو مثلها ، القرآنُ قد ذكره
وفي القيامة بنفسٍ ثبتا
خالقها لأصلها حولها
إلى الهواء ، أو لتربٍ حوت
إلى أصولها بلا امتناع
فلا يعارض المعادَ حالها
لم تبق ما كان يبدء دهرنا
معَ ما جرى زيادةً ونقصاً
يصونُ عينَ تِلْكُمْ الأجزاءِ
والروح والعقلِ والادراكاتِ

السوق للمحشر

من بعد بعث الثقلين (١) كلاً
بل يحشر الكل بأمر الخالق
هل توجد الراحة ، كلاً كلاً
للموقف المعلوم للخلائق

وآخر سورة يس يدل على أنها امثال ما كان ، وآخر القيامة على أنها
عينها ، والكل ممكن ومسلّم كما ذكرنا ، وذكر العلامة الثاني السعد
التفتازاني في شرح المقاصد ذلك .

السوق للمحشر

(١) قول الناظم : من بعد بعث الثقلين . بيان أنه كما أن الإنسان في الدنيا
قد يكون متنعمًا وقد يكون معذبًا بالأمراض والأعراض ، وكما يكون

يُسَاقُ مِنْهُمْ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ وَمَعَ كُلِّ سَائِقٍ مَعَ الشَّهِيدِ
بِرَحْمَةٍ أَوْ زَحْمَةٍ لِلْمَوْقِفِ فِيهِ يَنَادِي الْعَاصِي : يَا لَأَسْفِ
يَبْتَغُونَ فِي الْمَوْقِفِ بِالتَّوَالِي (١) مَدَّةً مَا أَرَادَ ذُو الْجَلَالِ

فِي الْبَرْزَخِ مَتْنَعًا أَوْ مَتْعَذِبًا كَذَلِكَ بَعْدَ الْبَعْثِ قَدْ يَكُونُ مَتْنَعًا إِذَا كَانَ
مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ أَوْ مِنَ الصَّدِيقِينَ أَوْ الشَّهَدَاءِ أَوْ الصَّالِحِينَ • وَقَدْ
يَكُونُ مَعَذِبًا كَأَهْلِ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعَصِيَانِ •

وَعَلَى الْجُمْلَةِ فَأَوْضَاعُ الْبَعْثِ وَالنَّشُورِ أَحْوَالٌ عَجِيبَةٌ ، وَفِيهَا أُمُورٌ
مَدْهَشَةٌ رَهِيبةٌ ، وَلَكِنْ يَجِبُ الْعِلْمُ بِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ وَأَهْلَ التَّقْوَى
يَبْقَوْنَ فِي رَاحَةٍ وَخَيْرٍ ، حَسَبَ قَوْلِهِ تَعَالَى : « تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ
الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ » (فَصَلَتْ / ٣٠) • وَحَسَبَ قَوْلِهِ تَعَالَى :
« أَلَّا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ »
(يُونُسَ / ٦٢) •

وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ بَعْدَ الْإِحْيَاءِ يُسَاقُ الْكُلُّ إِلَى الْمَوْقِفِ الْعَامِ ، وَمَعَ كُلِّ مَنْ غَيْرِ
مَنْ ذَكَرْنَاهُمْ سَائِقٌ لَهُ إِلَى الْمَوْقِفِ وَشَهِيدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهِ فِي أَعْمَالِهِ ، وَإِذَا
وَصَلُوا إِلَى الْمَوْقِفِ يَبْقَوْنَ فِي زَحْمَةٍ وَرَهْبَةٍ إِلَى وَقْتٍ مَعْلُومٍ •

(٢) قَوْلُ النَّازِمِ : يَبْقَوْنَ فِي الْمَوْقِفِ • بَيَانُ أَنَّ الْمَبْعُوثِينَ يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْقِفِ
الْعَامِ الَّذِي لَا يَعْلَمُ حَقِيقَتَهُ إِلَّا اللَّهُ ، فَيَتَعَذَّبُونَ بِطُولِ الْوُقُوفِ فِي الْمَوْقِفِ ،
فَيَتَفَكَّرُونَ فِي التَّوَسُّلِ بِأَهْلِ الشَّفَاعَةِ ، وَيَرَاجِعُونَ الرُّسُلَ الْكَرَامَ مِنْ
سَيِّدِنَا آدَمَ إِلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الْخَاتَمِ • فَيَأْبُونَ عَنِ الشَّفَاعَةِ وَيَعْتَذِرُ كُلُّ
مِنْهُمْ بِمَعْذَرَةٍ ، وَلَمَّا جَاؤَا إِلَى حَضْرَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجَابَ
مَأْمُولُهُمْ ، وَأَخَذَ يَسْجُدُ مُتَضَرِّعًا إِلَى اللَّهِ وَطَالِبًا لِقَبُولِ شَفَاعَتِهِ لَهُمْ
حَتَّى يَنَادِيَ مِنَ اللَّهِ : أَنْ أَرْفَعُ رَأْسَكَ وَرُسُلَكَ مَا تَرِيدُ ، (رَوَاهُ

←

من عسرة الوقفة والبقاء وكثرة التعب والشقاء
بالجهد يلتجون نحو الشفعا من الذين قد رهم ارتفعوا

البخاري ومسلم بإسناد صحيح واحمد بن حنبل وغيرهم) *
فيطلب قبول شفاعته لخلاص الثقلين عن الموقف وإرسالهم إلى مقام
الحساب ، فينادي : سل يا محمد ربك الغني ذا الرحمة والكرم تعط
ما تريده ، واشفع تقبل شفاعتك ، فيبدأ بالحمد لله ، على أبلغ وجه
تام ويسأل ربه خلاص الناس عن الموقف ، ويقبل ذلك من ذاته الكريم ،
فيؤمر بخروجهم خروجا عاما من الموقف الى الحساب والميزان *
ويفتح أبواب الشفاعة لكل نبي ورسول وصديق وشهيد وصالح من
الذين هم معدودون من أصحاب الإيمان بالله ورسله وكتبه وسائر ما
اعتبر من أركان الإيمان *

والشفاعة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لخلاص بعض المستحقين
للعذاب ومنه ولتخفيف عذاب بعض ، ورفع مستوى درجات بعض ،
كما أنه كان له الشفاعة الكبرى لجميع الأمة مطلقا للخروج من الموقفة ،
الرهيب *

ولأهل السنة أدلة على ثبوت الشفاعة للرسول صلى الله عليه وسلم
منها قوله تعالى : « وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ » (محمد / ١٩) * والاستغفار للغير لاشك أنه شفاعة
وهي مقبولة حسب أمره تعالى به ، ومنها قوله تعالى : « وَلَوْ أَنَّهُمْ
إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ
لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا » (النساء / ٦٤) *
واستغفاره لهم شفاعة ، ودعوى أنها تختص بأهل الحياة مردودة ، لأن
الشفاعة مطلقا ناشئة من الروح والروح بعد أن خلقها الله تعالى خالدة
أبدية ، سواء كان الشخص في عالم الدنيا أو في عالم البرزخ أو في عالم

وَيَصِلُونَ بِأَبِ الْإِنْسَاءِ
يَأْتُونَ عَنْ شَفَاعَةِ الْأَنْفَامِ
وَعِنْدَ ذَا يَأْتُونَ نَحْوِ الْمُصْطَفَى
رَسُولِنَا الْمَبْعُوثَ بِالْإِحْسَانِ
مُحَمَّدَ أَحْمَدَ مُحَمَّدٍ الْمَلِكِ
يَعِدُهُمْ بِالْبَدءِ فِي الشَّفَاعَةِ
فَيُلْتَجَى لِلَّهِ بِالسَّجُودِ
يُثْلَمُ بِالْإِعْدَاءِ مَا يُقْبَلُ
فَيَسْتَجِيبُ اللَّهُ كُلَّ مَا دَعَا
أَنْ أَرْفَعَ الرَّأْسَ مِنَ السَّجُودِ
سَلِّ تَعَطَّ وَاشْفَعْ تَقْبَلِ الشَّفَاعَةَ

والرسل الكرام للرجاء
من شدة الهيبة في المقام
منبع الإحسان وجود ووفاء
والرحمة للجن والإنسان
صاحب معراج لما فوق الفلك
بكل الابتغال والضراعة
يدعو ويرجو حضرة المعبود
يطلب عفو ربه ويسأل
ياذن بالشفاعة لشفعا
واشفع بهمة لدى المعبود
منك لمن تريد هذي الساعة

الآخرة والقصر على الدنيا من قصور العقل والإيمان •

ومنها الآيات الكثيرة التي تفيد تقييد الشفاعة من الشفاعة بالإذن من الله تعالى ، ولا مخالف لذلك ، فإن أهل السنة اعتمدوا في الشفاعة من الرسول صلى الله عليه وسلم على صدور الإذن من الله تعالى • ومنها الأحاديث الكثيرة المروية الدالة على ثبوت الشفاعة له صلى الله عليه وسلم ، مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » (رواه أبو داود والبزار والطبراني وابن حبان في صحيحه والبيهقي) • ومنها الأحاديث الواردة في شفاعة بعض كبار أمتهم للناس مثل شفاعة السبعين الفائزين لا يحاسبون لغيرهم من المسلمين • وعلى ذلك تحمل الآيات الدالة على عدمها أو عدم ثبوتها على الشفاعة للكافرين المحرومين • هذا مذهب أهل السنة كلهم أجمعين •

شفاعته صلى الله عليه وسلم

فيشفع الرسولُ عينُ الشرف
فيخلصُ الكل من العذاب
لمن عصا وغار في العيوب
كذا لترفع مقام بعض
فيفتح الأبواب للشفاعة
من النبيين وصدّيقينا
من أي شخص محسن إلى الوري
واذن الرحمن في شفاعته
تفصيلها لخيرنا دليل
أعظم° بجاه صاحب الشفاعة
هذا المقام المرتضى الرفيع°
مقامه المحمود عند الله
وان أردت الكشف للستار
يارب شفّع صاحب الشفاعة
بجاهه وجاه باقي الرّسُل
فإننا من نقصنا في الطاعة

ليخلصوا من هول ذلك الموقف
وأرسلوا لموقف الحساب
كذا لعفو البعض عن ذنوب
من أهل طاعةٍ بنفل فرض
لكل فاضل له استطاعه
والشهداء ثم الصالحين
يشفع كلهم لكل من يرى
لقربه من ربه بطاعته
في كتب يحلو به التطويل
في الموقف الرهيب تلك الساعة
هذا المقام المنتقى الوسيع
وسيلة له بعلو الجاه
فانظر إلى صحيحنا البخاري
فينا ، كما في هذه الجماعة
والأوليا والعلماء الكمّل
وكثرة الذنوب ، ذو ضراعه

وزن الأعمال والحساب

والمرور على الصراط

الوزن للأعمال حق منجلي ثم حسابنا على المفصل
في ثابت السنة والكتاب محقق بدون إرتياب

(١) قول الناظم : الوزن للأعمال حق منجلي • تقرر عند أهل السنة وجوب الإيمان بالأدلة الواردة في نحو وزن الأعمال والسؤال والحساب ، وكل ذلك من الممكنات التي أخبر بها الصادق ، وظواهرها واضحة والعمل بها واجب •

نورد في وزن الأعمال آيات ، مثل : « والوزن يومئذ الحق » (الاعراف / ٨) وقوله تعالى : « وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ » (الانبياء / ٤٧) • وقوله تعالى : « فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأَثَمُهُ هَاسِرَةٌ » (القارعة / ٦ - ٨) •

وكذلك نزل في الحساب للأعمال آيات كثيرة مثل قوله تعالى : « فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسيراً وَيُنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْروراً ، وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبوراً وَيَصْلَى سَعيراً إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْروراً إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحْضُرَ » (الانشقاق / ٧ - ١٤) •

وأما دعوى أن الوزن إنما يكون للمواد التي لها جرم والأعمال أعراض ، أو أن الأعمال كثيرة ، كيف تضبط ويحاسب عليها ؟ فمن السفاهة والجهل بقدرة الباري تعالى وشمول علمه ، مع العلم أن الوزن له أنواع كثيرة ،

←

ثم مرور الناس بالصراط (٢) امتد فوق النار بالرباط
من استحق النار يسقط فيها معذب في مدة يثليها

مثل ميزان الهواء في الحرارة والبرودة ، وميزان ضغط الإنسان ، وميزان درجات الأمراض ، وليست محصورة في ميزان المواد السوقية ، ولكن من لم يتفكر في الأنفس والآفاق لم يصل إلى العلم المفيد له إطلاقاً .
ثم إن أحوال عالم الآخرة وعلوم أهلها ، وكيفية الإثابة والعقاب ودوام أهل جهنم في الإحراق بالنار مع أن المواد تذوب بمقدار فوق الطاقة .
وخلود أهل الجنة في الأكل والشرب والنعيم ، وقابلية أهلها لها ، مسا لا يدرك لنا عادة إلا بالإحالة إلى ربنا الحي القيوم فتبارك الله رب العالمين .

(٢) قول الناظم : ثم مرور الناس إلى آخره : بيان لما وردت به الروايات الوافرة عنه صلى الله عليه وسلم أن في عالم الآخرة جسراً ممدوداً على متن جهنم ، أي على ممر خاص عليها ، يؤمر بمرور الناس عليها ، وهو كما ورد جسر ممدود أدق من الشعر وأحد من السيف يعبره أهل الجنة ، وتنزل فيه أقدام أهل النار .

ومن الناس من يفسر قوله تعالى : « وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصَّراطِ لَنَاكِثُونَ » (المؤمنون / ٧٤) .
قوله تعالى : « فاهدوهم إلى صراط الجحيم » ، علاوة على ما تقرر من أن الكفار منحرفون عن الصراط المستقيم أي دين الإسلام بأن المراد : إن الكفار عن الصراط الممدود على متن جهنم ناكبون ومنحرفون ، وزلت وتنزل أقدامهم فيقعون في نار جهنم .

وبالجملة إن وجود هذا الجسر وعبور الناس عليه ، ونجاة أهل الطاعات عنها على وجوه مذكورة في الروايات ، وسقوط أهل الكفر والمعاصي في

ثُمَّ يُنَجِّي أَهْلَ دِينِ عَنْهَا
أُثْبِتَ بِالنَّصِّ مِنَ الْقُرْآنِ
نَحْنُ ذَكَرْنَا نَبْذَةً إجمالاً
لَكِنْ ذَا الْمُرُورِ لِلْأَخْيَارِ
يَسْهَلُ عَلَى الْمَطِيعِ بِالْإِيمَانِ
كَالْبَرْقِ كَالشَّمَالِ كَالْخَيْالِ
ثُمَّ اتَّجَاهَ الْمُؤْمِنُ الْمَسْعُودُ (٣)

وَيَسْتَقِرُّ أَهْلُ كَفَرٍ فِيهَا
وَسَنَةُ الرَّسُولِ ذِي الْإِحْسَانِ
تَفْصِيلٌ حَالٌ عِنْدَهُ تَعَالَى
بِمَا أَتَانَا مِنْ هَدَى الْأَخْبَارِ
وَصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَالْوَجْدَانِ
كَالْمَشْيِ بِالْعَادَةِ وَاعْتِدَالِ
لِحَوْضِهِ الْمَوْصُوفِ بِالْمُرُودِ

جهنم حق ثابت ، ومن أنكر ذلك ، فإن كان معترفاً بالإسلام فلا حق له في الإنكار لأن الروايات منه صلى الله عليه وسلم وصلت الى درجة يجب الاعتماد عليها ، وإن كان من غير أهله فلا كلام معه .

وأما استدلال المنكرين له من أهل الأسلام ، بأن ذلك غير معقول فغير مقبول ، لأننا نرى بالعيون أن الناس يشعلون القوة الكهربائية وينصبون عمودين حديدين في طرفي نهر كبير ، كدجلة بغداد ، ويمدّون سلكا حديدياً دقيقاً يصعدون المواد والأطنان منها إلى رأس العمود ، ويعبرونها عليه إلى الطرف الآخر حيث شاؤا . فهل يعتبرون قدرة الباري عاجزة عن إمرار الناس على ذلك الجسر الدقيق في الآخرة ؟ سبحانك ثم سبحانك .

وقد ثبت أن بعض العابرين عليها يعبرون كالبرق الخاطف ، أو كالريح الهابة بسلام كالشمال ، أو كفارس الجواد على العادة . وتلك الروايات تعبير عن اختلاف درجات المارّين عليها ، وذلك واضح عند من له إلمام بالأصول ، يختص برحمته من يشاء .

(٣) قول الناظم : ثم اتجه المؤمن المسعود إلخ . بيان لما تقرر عندنا أنه بعد عبور المسلمين على الصراط يتوجه المسلمون إلى الحوض المورود

←

من لطفه وكرمٍ لديه
میزانه لعطشه عيـره
من عطش وبعدٌ لا يأتي الظمأ
يشربه لِأنس بالأحباب
أهل الهدى برتبة الميزان
مع الرسول الخاتم المكرم
تأتي لهم رائحة الريحان
من أهلها من جنةٍ وإنسٍ
يا حبذا مشمها يا حبذا
بدون شبهة على الجنان

لأنه ورودنا عليه
كيزانه كثيرة كثيره
من شرب الشربة منه سَلِمَا
إلا للذة من الشراب
ثم يوجّهون للجنـان
أسبقهم أمة فخر العالم
عند اقترابهم من الجنان
رائحة "تعم كل الشخص
فائحة فائقة على الشذى
معتقد الإسلام بالإيقان" (٤)

وهو غير نهر الكوثر ، او حوض الكوثر ، لأن نهر الكوثر في داخل الجنة ، وإذا كان هناك حوض من ماء ذلك النهر فهو أيضا في الجنة ، والحوض المورد قبل حوض الكوثر في مكان آخر • وروي عنه صلى الله عليه وسلم : « حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء ، وماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه أكثر من نجوم السماء ، من شرب منه فلا يظمأ أبدا » والأحاديث فيه كثيرة •

(٤) قول الناظم : معتقد الإسلام • إن معتقد المسلم هو أن الجنة والنار داران مخلوقتان الآن ، وهما في العالم الموجود الآن وذلك لأدلة :
الأول : أنه ورد القرآن الكريم بإعدادهما وخلقهما مهيتين لأصحابهما بصيغة الماضي ، نحو : « أعدت للمتقين » ، « وأعدت للكافرين » •
الثاني : قصة إسكان آدم وحواء في الجنة ، وتلك حجة ظاهرة على العقول السليمة •

الثالث : ما ورد في الحديث الشريف من قوله صلى الله عليه وسلم : « سقف الجنة عرش الرحمن » •

بأن دار الجنة والنار
جاء بنص الآية « أَعِدَّتْ »
وهي كنز بل هو المنصوص
وأمر « اسكن أنت » دون منه
حديث : سقف الجنة العرش جلي
بقوله في خطبة : « أُرِيتُ
إذ لا يرى بالذات ما لم يخلق
فمذهب المسلم أن الجنة
وهذه هي التي قد سكنا
وهذه عقيدة اشتهرت
في آل عمران أتننا آية
أن عرضها عرض السماء والأرض

موجودتان الآن باستقرار
بصيغة الماضي ، وقد أَقِرَّتْ
وجود دارين لنا مخصوص
شاهد صدق في وجود الجنة
بأن مأواها رفيع وعلي
الجنة والنار » أهتديت
إلا بصورة له ، فدقق
من تحت عرش الله دون منه
آدم فيها قبل أن يخلقنا
أدلة الدين لها تظاهرت
في سعة الجنة بالعناية
وهذه الآية نص مريض

الرابع : ما هو المستفاد من ذلك الحديث : أن الجنة فوق الساعات وتحت
العرش .

الخامس : ما رواه البخاري من قوله صلى الله عليه وسلم : « أُرِيتُ الجنة
والنار من عرض الحائط » فإن الظاهر أنه رآها بالعين ، ولا يرى في
الرؤيا إلا الصور والأشباح ، وعلى ضوءها ذهب المسلمون ، إلى أنها هي
التي سكن فيها سيدنا آدم .
وفي سورة آل عمران آية تدل على أن عرض الجنة كعرض الساعات
والأرض . وبعد هذه الأدلة لا يجوز أن يميل الإنسان إلى أن تلك
الجنة كانت حديقة واسعة في أرض أو جبلا من جبال الهند فإنها من
الهفوات الباطلة . والقول المنسوب إلى الشيخ أبي منصور الماتريدي
من أنها كانت حديقة في جبل همالايا قول زور ودس وافتراء عليه ، ولا
يجوز الاعتبار به قطعا .

فإنها من غَلَطَات ساقطه
نُسِبَ للشيخ أبي منصور
في الهند أو في غيرها بالفرض
بمذهب خالفه الأنام ؟
أحوال آدم بذي الجنان

ولا تميل لهفواتٍ هابطة
ولا تميل لدس قولٍ زور
بأنها حديقة في الأرض
فكيف يأتي ذلك الإمام
قد أنزل الله من القرآن (٥)

(٥) قول الناظم : قد انزل الله من القرآن • يعني أن الدليل على أن تلك الجنة التي سكن فيها آدم وحواء عليهما السلام في السماء ، بل فوق السموات أمور :

الاول : أن الله تعالى أنزل في القرآن آيات تدل على أوصاف لا توجد في عالمنا ، فإنه قال لآدم : « إِنَّ لَكَ أُنْثَى تَجْوَِعُ فِيهَا وَلَا تَعْرِى وَأَأْتِكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى » (طه / ١١٨ - ١١٣) وأرض لها هذه الخواص ليست موجودة •

وإن قلت ان الصفات كانت موجودة في جنة آدم على الأرض بخرق العادة قلت : ما دام اعترفت بخرق العادة فإسكان آدم في الجنة فوق السماوات أيضا خرق العادة .

وإن قلت : لا يقبل العقل بقاء شخص مثل آدم مع زوجته إذا أهبطا من فوق السماوات إلى الأرض بل تتلاشى أعضاؤهما • قلت : الذي خلق آدم وحواء فوق السماوات هو الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ، وبسط الأرض على ماء ثابت ، وهو الذي خلق المجموعة الشمسية من الأرض والقمر وعطارد وزهرة ومريخ والمشتري وزحل وجعلها على مدارات معينة وحركات مستديرة بأصول الجواذب الموجودة فيها وبينها ، والذي خلق النجوم الكثيرة في السماء الدنيا ، وخلق المجرة كحزام صورة للجانب الأعلى بحيث تحير العقول ، وزاد في حجم الشمس بقدر يساوي مليون مرة مثل الأرض ، وخلق الكوكب المشهور بالشعري

ليست بما يُعتاد فوق الأرض
جملة «لا تجوع» مع «لا تعرى»
لا توجد عند العقول المألية
أين على الأرض أو الجبال
وإن تقل تلك بخرق العاده
وإن تقل ما في العقول ضابطة
في كيلومترات يرى مطشرة
قلت الذي خلقه فوق السماء
مَن رفع السماء من غير عمد
وخلق المجموعة الشمسية
وخلق الكواكب الرفيعه
مع الجواذب التي قد اختفت
وأسكن الأرض مع السماء
وقرر المجرة المحيّرة
وزاد شمسَه على أرضٍ بما
وجعل الشعرى تزيد شمسا
مقتدر لا ريب عند العلماء
بدون نقصان وبدون عيب

بطولها مع انضمام العرض
جملة «لا تقمأ» مع «لا تضحي»
في روضة فوق جبال عالية
تلك الصفات عند ذي الكمال
فجنة السما بها معتاده
نفس من السماء تأتي هابطة
أجزاؤها على الفضا منشّرة
في الجنة كما رواه العلماء
وبسط الأرض على ماءٍ جمد
وخلق الملائك القدسية
تدور في دائرة وسيعه
واليوم عند العلماء اكتشفت
في واسع وافٍ من الفضاء
فجعلت عقولنا في حيرة
يعادل المليون عند العلماء
بمثل مليون ، ويأبى نقصا
أن يهبط آدم من فوق السما
يسكنه في الأرض دون ريب

بحيث يزيد حجمه على الشمس قدر مليون مرة ، كما أقر ذلك علماء
الفلك في عصرنا - يقدر على خلق آدم وحواء في الجنة فوق السماوات ،
وإذا أراد أن يهبط بهما إلى الأرض يهبط بهما مع سلامة كل منهما كما
ينزل رواد الفضاء من الأعلى إلى الأسفل بسلامة . فإن المواد السفلية
والعلوية والجواذب العاليه كلها مربوط بخلق الصانع القادر العليم .

ويجعل النار على الخليل^(٦) كروضة في موطن جميل
ويجعل النيل ممر الجيل مائة ألف نسل إسرائيل

(٦) قول الناظم : ويجعل النار على الخليل • معناه ذلك الصانع العليم المريد القادر الذي فعل ما فعل في السموات والأرض هو الذي جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم ، وجعل نهر النيل ممر جيل بني إسرائيل مثل السبيل في الصحارى والجبال • وعمل ما عمل بجيش فرعون وجيش أبرهة - قادر على أن يخلق عيسى كآدم بلا أب ويرفعه إلى السماء العالي ، ويسري برسوله محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ثم يصعد به من المسجد إلى ما فوق السماوات ثم إلى ما شاء الله من الدرجات ثم ينزله إلى محله من الأرض • وهو الذي يخلق الخوارق الكونية لأصحاب الصفاء من الأنبياء والأولياء والصالحين • والأرض والسماء والكرسي وعالم الإنس والجن وغيرها كذرة يتصرف فيها حسب إرادته •

وقد ثبت بالأدلة القاطعة أن الصانع عنده نواميس أي قواعد وقوانين عديدة يمتاز بعضها عن بعض ويقدر أن يتصرف في العالم كما يشاء • نعم لكل أمة مضت أو هي موجودة الآن أفراد من العقلاء يعتبرون بالأمور المعتادة عندهم وينكرون ما عداها ، والكلام معهم يكون بأن تقول لكل منهم : إن كنت تؤمن بالرسالات السماوية وبأحوال الرسل الكرام فمعجزاتهم كلها خارقة للعادة •

وإن كنت لا تعترف بها - والعياذ بالله - ولكن تعترف بأن العلوم لها قوة وسببية في بعض الأمور الغير المعتادة فاعلم أن باب العلم أوسع الأبواب ولا يستحسن بالعاقل أن ينكر كل ما خالف طبعه ، كما لا يستحسن بكل ما وافق طبعه ، فإن الطبع ليس حاكماً وافعياً والحاكم هو الدليل ، وأكبر الأدلة ما ثبت به وجود الصانع الواجب الوجود القادر على كل ممكن من الممكنات ، هذا والله هو الهادي الى سواء السبيل •

ويقصر الجيش الطويل الميّل
ويجعل الإنسان دون درس
مقتدر "حقاً على أن يرفعاً
ويصعد الرسول في المعراج
ويخلق الخوارق الكونية
فالأرض والسما والكرسيّ
كذرة ترى بلا حدود
وهذه الأمور قد يتعد
وذلكم من خرف الأوهام
إذ ليس فوق عند ذي الإمكان
إلا فموضوع المعاد أكبر
وذاك عند قدرة الخلاق
ومن يرى بفكره الأمين
صباحاً مساءً ليلاً أو نهراً
قال بقلب ولسان : ربنا
لا تشبهه في وسعة الجنان^(٧)

من أذنه وأتفه والذيل
أستاذ إرشاد لجن إنس
عيسى المسيح للسما واسعا
إلى مقام العز وابتهاج
لأهل دين وصفاء النية
والعالم الإنسي والقدسيّ
في إقتدار واجب الوجود
عند عقول في هواه يرقد
يخدع بها كل جهول عامي
في الخفض والرفع من المكان
خارقة يختار فيه البشر
كشعرة في أصبع الحلاق
كيفية الدورات بالتمكين
دوران مجموعة جهارا
زدنا علوم الغيب واكشف كربنا
تناسب الرحمة للرحمن

(٧) قول الناظم : لا تشبهه إلى آخره . نصيحة للطالين حول دفع بعض
الأوهام الواردة ، أين الجنة التي عرضها السموات والارض ؟ وأين
جهنم ؟ وكيف تستقر هذه الاوضاع في القلوب ؟ وحاصل الدفع أن
الإنسان الذي له حظ من العقل والشعور إذا نظر الى هذه الآفاق
الواسعة أمامه ، وأن الله تعالى خلق سبع سماوات طباقا ، وزين
السما الدنيا بمصاييح مختلفة في الأنوار كالشمس والقمر وسائر
النجوم المدركة ، وأن كلها في السما الدنيا يعلم أن السماوات الست

←

والعرش والكرسي والفضاء	فالنار والجنة والسما
أو كوكب من جملة المجرّ	في قبضة القدرة مثل ذرة
زينة عالم السماء الدنيا	كل كواكب الجهات العليا
لا يعلم حاله إلا الله	باقي السماوات وما والاه
تقابل الجنة دار الرحمة	وموقع النار للهيبة التي
لأهل كفر الجن ثم الآدمي	في علم ربي في فضاء العالم
من بين أهل الجنة والنار	لكن ما في القرآن من حوار
من عالم علا على السماء	يشهد أن النار في الفضاء
في عالم الخلق وباب أمره	فما قدرنا الله حق قدره

الباقية أعلى وأرفع وأوسع من هذه السماء الدنيا ، وأن الجنة التي عرضها السماوات والأرض بحسب ظاهر الأحاديث الشريفة فوق السماوات وتحت العرش العالي ، وأنها يكون أوسع من جميع ما دونه وتسع الخلائق كلها .

ومع ذلك فالجنة والسماوات وما عداهما بالنسبة إلى قدرة الباري وعلمه كذرة في الكائنات ، وجهنم معها كذرة مع ذرة ثانية ، وهي مستقر الكفرة اللثام ، وأن الجنة مأوى الأحياء الكرام ، وكل ذلك ثبت برسالة الرسول الثابت صدقه بالأدلة القاطعة ، منها ظهور المعجزات .

وأن الايمان بوجودها سهل كالإيمان بوجود كوكب واحد تراه العين السالمة لمن وفقه الله تعالى ، ونسأل المولى أن يجعل قلوبنا أوسع من ذلك علما وأدباً مع الله رب العالمين ، ومع الرسول المبعوث رحمة للعالمين ، وما ذلك على الله بعزيز والحمد لله .

الفرق بين عالم الدنيا وعالم الآخرة

وطبع أهل جنةٍ ونارٍ^(١) خلق للخلود واستمرار
دارانٍ للخلود لا فناءٍ أكرمٌ ب صنع الذات ذي البقاء

(١) قول الناظم : وطبع أهل جنة ونار إلى آخره • أيضاً تنبيه للمسلمين العقلاء على أن الإنسان يجب أن يعرف الفرق بين الدنيا والآخرة من وجوه كثيرة : منها أن الدنيا دار الفناء والوقت المحدود ، وأن الآخرة دار البقاء ودار الخلود • ومنها أن القوة الحيوية الإنسانية في الدنيا ضعيفة غير كاملة ، وأما في الآخرة فهي قوية كاملة ، فالعلوم أوسع والطاقات أزيد ، والأكل والشرب هناك ليس عليها أوساخ وفضلات ، وإنما هي تُصَرَف برشحات •

ومنها أن أهل الجنة والنار لهما قابلية التخاطب والتفاهم كل وقت يريدون التخاطب ، كما في نص القرآن الكريم في نداء أهل الجنة أهل النار : « أُنْزِلُوا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا (الأعراف / ٤٤) » والنداء من أهل النار إلى أهل الجنة « أن أفيضوا علينا من الماء » •

وليعلم أن الجنة والنار خلقتا وأعدتا للجزاء على وفاق الاعتقاد ، وأن المؤمن لو عاش أبداً بقي على الإيمان فجزاؤه الجنة أبداً ، وأن الكافر لو عاش أبداً بقي على اعتقاده فجزاؤه يكون في جهنم مؤبداً ، وكل ذلك مستفاد من نصوص القرآن ففيه نص : « وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ » (الأنعام / ٢٨) ونص « جزاءٌ وفاقا » (النبأ / ٢٦) ونص :

« وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا » (الكهف / ٤٩) وأن أحكامه حكيمة ، وهو أحكم الحاكمين ، وأعدل العادلين ، وأرحم الراحمين ، وقال : « وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ » (الأعراف / ١٥٦) •

داران للجزاءِ بالوفاق	لنشر عدله على الطباق
يؤمن لو عاش الأمين أبدا	يكفر لو عاش الكفور سرّ مدا
فلهما الجزاء كالاعتقاد	والله علام على العباد
لا ظلم لا عذر بقدر ذره	وحكمته عدل بلا معرّه
عجيبه دار الدوام الأبدي	ليس لها من آخر محدّد
ولا يحيط علمنا بذالك	ولا بأحوال لنا هنالك

ثم إن دار الدوام الأبدي عجيبه ليس لها من آخر محدّد ، ولا انتهاء أبداً • والارواح وإن كانت حادثة خلقها الله تعالى ، لكنه خلقها للدوام الأبدي ، وأن الروح لا تنفى ولا تموت ، وإنما الحيّ يموت باتتقال الروح من جسده إلى مقامه المعين في العالم حسب علمه تعالى مع بقاء علاقتها بجسده كيف كان ، وابن كان كعلاقة الشمس بأشعتها وعلاقة الأشعة بالشمس ، فلا جرم أن القوة الجسدية في الجنة أو النار للروح الأبدية تكون أقوى مما كانت في عالم الدنيا بل ولا مناسبة بينهما إلا بالتباين •

وعقولنا لا تصل الى حقيقة ذلك ولا عجب فإنه تعالى قال : « وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا » (الإسراء / ٨٥) •
ومما علم من النصوص أن الجحيم لها سبعة أبواب وأَنَّ الجنان ثمانية : منها جنة النعيم وجنة الفردوس وجنة عدن وأن فيها كلها ما تشتهيهِ الأنفس الطيبة المباركة ، وتلذّ به الاعين العارية عن خائنة الأعين • وأن المشتهايات الدنيئة ليست في دار الجنة ، ونصّ القرآن الكريم على أن فيها أنهاراً من العسل والألبان ، وفيها نهر كوثر ، وأنهاراً من خمر لذة للشاربين ، طاهرة بريئة من الغول والتأثيم ، لأن جنة الله تعالى مقام الرحمة للأمم ، رزقنا الله من سكنائها ونسماتها ولذاتها الروحية والجسمية ، ومن لقاء ذاته بفضله وكرمه إنه أرحم الراحمين •

قوة أهلها قوى الخلود
والعقل والحواس والشعور
ودركات النار سبع اشتهر
وطبقات الجنة ثمانية
منها نعيم "جنة" الفردوس
خيراتها أزيد مما يحصى
فيها جميع المشتهى للنفس
لباسنا من سندس واستبرق
فيها حدائق كذا أنهار
كنهر كوثر صفاء القلب
وهي طهور لا كمثل ما هنا
كذلك انهار من الألبان
لا لغو لا تأثيم فيها أبدا
إذ جنة الله مقام الرحمة
أما ميول "للخنا والفحشا"
طباع أهل الجنة شريفة (٢)

لا قوة "لزمان محدود
كاملة ليس لها فتور
مأمورها في النص تسعة عشر
لذاتها باقية لا فانية
جنة عدن لخيار الإنس
أكلها فازت بحد أقصى
لذة روح مع عقل حس
أنعم من حرير نسج المشرق
وهي تجري تحتها أنهار
أنهار خمر لذة للشارب
هنا بها الغول هنالك الهنا
وعسل صاف على اللسان
ولا صداع لرؤسنا بدا
وليس فيها نقطة من زحمة
فلا تكون فيها حاشا حاشا
ليس بها من خصلة كثيفة

(٢) قول الناظم : طباع أهل الجنة • بيان أن أهل الجنة في طيعة الملائكة من العصاة والكرامة وليس فيها خصلة دنيئة رجلا أو نساء ، وكذا أن المسلمين يتلذذون كذلك النساء يتلذذن ، وإن المسلمات يتبدلن صورة وسيرة جمالا وكمالا وأخلاقا وهن المسميات بالحوور العين ، ومن لها زوج واحد من أهل الدنيا أي أنها تزوجت بشخص فقط فهي حور تعود إليه ، ومن تزوجت بأزواج وفارقتهم بالطلاق أو الوفاة فظاهر الآثار تدل على أنها تعود لآخرهم ، ومن لم تتزوج فهي تعود إلى من اختارها له على الألفة والوداد ، والمجموع في نعيم مقيم ، وفي الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر •

إن النساء المسلمات فينا
أزواجهن من رجال بررة
من دنس الخلق الذميمة القاسي
من غيرهن الحور في الجنان
خلاصة الكلام دار الجنة
دار بها الرحمة والصفاء
يصرن في الجنة حوراً عينا
وهن زوجات لهم مطهره
من دنس الحيض ومن نفاس
مخلوقة بقدرة المنان
دار الوداد والوفاء والحنه
ليست كدار شأنها الجفاء

قواعدها ليست كعالمنا

دار البقاء عالم البقاء^(١) بعيدة عن أوجه الشقاء
كيف يكون عالم الآلاء كعالم المحنة والبلاء
فيها نواميس بالاختصاص ليست هنا للجن أو للناس

(١) قول الناظم : دار البقاء عالم البقاء • معناه ان دار البقاء ليس عالم التكليف ، لأنه عالم الثواب والتشريف وليس عالم المحنة والمرض والأذى والأسف ، وكل ما لا يستحسنه الطبيعة البشرية من الوسوس والقلق النفسي ، ووجع الأعصاب ونحوها ؛ فإنها عالم السعادة الصافية الأبدية ، وقواعدها غير قواعدها عالم الدنيا ، وليس فيها الحرمان مما يتمناه الإنسان ، بل كل ما جاء على خياله فهو حاضر عنده • وإحساس باصرته يعم ما شاء ، وإبلاغ صوته ممكن لأي جانب أراد ، وله قابلية السير في العالم كالبرق الخاطف ، ومن ذلك نشأ ما في القرآن الكريم من الحوار بين أهل الجنة وأهل النار ، وان رئيس الملائكة المأمورين في الجنة اسمه الرضوان ، كما أن رئيس مأموري جهنم اسمه « مالك » •

حفظنا من مالك وزبائنته ، ووهبنا النعم من الرضوان وملائكته ، أي المأمورين عنده ، مما عينه الله تعالى له ، آمين •

في عالم الجنة كل فائده
إبلاغ صوتٍ دَوِيَّتهُ لما ورا
في الأرض في الهواء في الأثير
منها لأهل جنة الرحمن
من ذلك في القرآن نصا جاري
إقرأ «ونادوا» بعده «يا مالك»
ومالك الرئيس للزبانية
«رضوان» في الجنة أمر على
جاء «ونادي» في خطاب المؤمن
ليست نواميس لدار الآخرة
مثل نواميس جهات الدنيا

مخلوقة لمن أراد عائده
والسير كالبرق بإشراق يَرى
في عالم الجنة ذو تيسير
ما شاء من شاء على العيان
حوار أهل جنة ونار
نداء ناري بنار هالك
على عذاب صاحب الأنانية
ملائك الجنة قد اشتهدوا
لكافر في النار جوء المحن
دار الخلود وخصال فاخره
فهذه السفلى وذك العلى

رؤية المؤمنين لله تعالى في الجنة

وفوق ذاك كله إحساناً^(١) رؤيتنا لرَبِّنا عياناً
يعني وجوه يوم ذاك ناضره إلى جمال الرب عياناً ناظره

(١) قول الناظم : وفوق ذلك كله إحساناً • بيان لصفوة النعيم في الجنة وأعلى اللذات الروحية لأهلها ، وهو رؤيتهم لذات الباري تعالى على ما يعلمه هو ، قال تعالى : « وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ » (القيامة / ٢٢) وقال : « لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ » (يونس / ٢٦) وفسرت الزيادة برؤيته تعالى ، لأنها نعمة زائدة على سائر النعم ، وزائدة على الاستحقاق ، وإن كان أصل دخول الجنة أيضاً بفضلته ورحمته ، وزائدة على الاستحقاق ، لكنها زائدة على الزائد ، كما يقال : نور على نور •

والعقل قاصر عن بيان قليل من هذه اللذة الجليلة ، فالروح والقلب وجميع أجزاء الجسد يستلئ من رَوْح وريحان ، وفوحة النشاط والسعادة في تلك الألوان ، رزقنا الله تعالى هذه النعمة في ظلال بركات حضرة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى جميع إخوانه الكرام وأمتة الأصفياء والأولياء الصالحين ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين •

الحمد لله الذي وفقني على إتمام منظومة (جواهر الكلام) في إعتقاد أمة الاسلام مصادفاً ليلة الاثنين الثاني والعشرين من جمادي الآخرة سنة ألف واربعمئة واحد عشر من هجرة الرسول الأكرم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم •

يستغرق الشخص تجلي كرمه
وهذه « زيادة » نلقاها
أي (للذين احسنوا الحسنى) بحق
ينال أهل الجنة بنعمه
ذاك تجلٍّ منه بالإحسان
فنسأل الله العظيم المنّـه
والحمد لله على ما قد هدى
بنظمه (جواهر الكلام)
ثم صلاة الله مع سلام
« الرحمة المهداة » بالإكرام
والأنبياء والآل والأصحاب
ما بقي الممكن ذا وجود
وبهـدى رسالة الرسول
ليستفيد القلب بالاسلام

ينال أعلى نعمةٍ من نعمه
يقرؤها في النص من قراها
(زيادة) كرؤية لذات حق
رؤيته فضلاً لهم ورحمه
ختام مسك جاء للإنسان
ختام أمري باللقا في الجنة
شخصي إلى شفاعته من كل دا
في إعتقاد أئمة الإسلام
على محمدٍ هدى الأنعام
للعالمين الكل بالتمام
والتابعين منهج الصواب
منوراً بواجب الوجود
محمد وسيلة الوصول
مستبشراً بالحسن للختام

موافقاً لليوم السابع من كانون الثاني سنة ألف وتسعمائة وإحدى
وتسعين ميلادياً • على الهاجر المسعود والمسيح المولود وإخوانهما الأنبياء
والرسل الكرام أفضل الصلاة والسلام ، وذلك في غرفة المدرسة الملاصقة
للمنارة الشمالية من جامع حضرة سلطان الأولياء الكاملين وقطب العارفين
سيدنا حضرة الشيخ عبدالقادر الكيلاني ببغداد ، حرسها الله تعالى عن
الفساد والإفساد بجاه سيد العباد صلى الله عليه وسلم ، وأنا الفقير
الخادم لتدريس العلوم الدينية فيها المدعو عبدالكريم محمد المدرس
الكردي من محافظة السليمانية المنتمي الى عشيرة (القاضي) الساكنة

←

في ناحية السيد صادق المعروفة بناحية شهرزور ، غفر الله تعالى لي ولهم
ولسائر المسلمين آمين •

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين •

٢٢ جمادي الثانية ١٤١١ هـ ١٩٩١/١/٧ م

وقد أعانني فضيلة السيد الملا عمر عبدالله محمد بكتابة نسخة واعدادها
للطبع غفر الله تعالى له ولوالديه ولسائر المسلمين برحمته ، إنه أرحم
الراحمين ، وأنا المؤلف الناظم والشارح للمنظومة الخادم للعلم والدين
في مدرسة سيدنا حضرة الشيخ عبدالقادر الكيلاني نور الله روحه وتفعنا
ببركاته آمين •

عبدالكريم المدرس

١٩٩٢/١٠/١٠

فهرست مواضيع الكتاب

الصفحة

الموضوع

٣	المقدمة
٧	بيان اسباب تأليف علم الكلام وغيره من العلوم
١٠	المعتزلة والجبرية
١٦	الاشعرية
١٨	مقاصد الايمان
١٩	شروط الايمان
٢٣	ضوابط الايمان
٢٥	الاحسان
٢٨	التفصيل في الآداب
٣٢	الاستدلال على وجود الله
٣٩	أقسام الكفار
٤٧	الوجوب
٤٧	الوحدة
٥٢	القدم
٥٤	صفات المعاني
٥٨	الكلام
٨٠	أسماءه تعالى
٨٦	ومن أفعال الباري إيجاد العالم باختياره والعالم حادث والمحدث هو الله
٩١	رد ما يتوهم من تأثير افراد الممكنات بعضها في بعض
٩٤	الله خالق والعبد كاسب
٩٦	الكسب ومعناه
١٠١	الثواب والعقاب
١٠٢	اللفظ والخذل
١٠٢	التكليف
١٠٨	الاستطاعة
١٠٩	الرزق منه حرام ومنه حلال

٦١٠	الاجل واحد
٦١١	يجوز غفران ذنوب التائب وغيره
٦١٢	الكبائر
٦١٤	غفران الكبائر
١١٤	التوبة واجبة
٦١٥	الكبائر لا تخرج المرتكب عن الايمان
١١٥	تنفع الدعاء والصدقة لدفع البلاء
٦١٧	العدل والفضل
١٢٠	الجزاء بالجنة والنار عدلا وفضلا
١٢٢	رؤية المؤمنين لله تعالى في الآخرة
٦٢٤	الايمان بالملائكة
١٢٩	الايمان بالانبياء والرسل الكرام
٦٣١	التفاضل بينهم
١٣٣	أولو العزم منهم
١٣٤	تعريف الرسول والنبي
٦٣٥	عصمة الانبياء والرسل
١٣٧	رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الى الجن والانس تكليفا
١٤٣	نحن لا نرى الجن في الدنيا الا بخرق العادة
١٤٣	فضائل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
١٤٨	الاسراء والمعراج
٦٥٣	الرؤية
١٥٤	معجزاته ومعجزات غيره عليهم الصلاة والسلام
١٥٨	فضائله صلى الله عليه وسلم
١٦٥	الاستعانة
٦٦٨	كرامات الأولياء
١٧٠	حكم الذكريات
٦٧٦	خيرية الأمة
٦٨٢	اسباب تفضيل القرن الاول
٦٨٤	ابو بكر رضي الله عنه
٦٨٥	عمر بن الخطاب رضي الله عنه
٦٨٧	عثمان رضي الله عنه

١٩٠	علي بن أبي طالب رضي الله عنه
١٩٢	الإمام الحسن رضي الله عنه
١٩٤	الأئمة المجتهدون
٢٠٠	البشر افضل من الملائكة
٢٠٢	الإيمان بالكتب المنزلة
٢٠٨	تأليف التابعين وتابعيهم لكتب الأصول والاصطلاحات
٢٢١	الإيمان بالقضاء والقدر
٢٢٦	لا تكفر أحدا من أهل القبلة
٢٣١	الإيمان باليوم الآخر
٢٣٤	أماراتها
٢٤٠	زلزلة الساعة
٢٤٣	البعث بالنفخة الثانية
٢٤٤	السوق للمحشر
٢٤٨	شفاعته صلى الله عليه وسلم
٢٤٩	وزن الأعمال والحساب والمرور على الصراط
٢٥٩	الفرق بين عالم الدنيا وعالم الآخرة
٢٦٢	قواعدها ليست كعالمنا
٢٦٤	رؤية المؤمنين لله تعالى في الجنة

٨١١٠٥

م ٤٤٥ المدرس ، عبدالكريم

جواهر الكلام في عقايد أهل الاسلام / تأليف عبدالكريم المدرس -

بغداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٩٣ .

ص ، ٢٤ سم

١ - الشعر العربي (الديني) ٢ - العقائد الاسلامية ١ - العنوان

م ٥٠

١٩٩٣/٤١٠

المكتبة الوطنية (الفهرسة اثناء النشر)

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق

بغداد ٤١٠ لسنة ١٩٩٣

دار الحرية للطباعة - بغداد

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

